

سورة العنكبوت

دراسة إجمالية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة

الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

<https://anaheedblogger.blogspot.com>

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من عمل الطالبات ولم تطلع عليها الأستاذة

حفظها الله.

- الكمال لله - عزّ وجلّ -، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده،

وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله.

والله الموفق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول من آية ١ - ٧

٣١ محرم ١٤٤١ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضل السورة

هذا مبدأ دراستنا لسورة آل عمران؛ هذه السورة العظيمة، التي هي وسورة البقرة قد ورد في الثناء عليهما وفي ذكر فضلهما أحاديث صحيحة؛ من أعظمها الحديث الواصف لحال حافظهما ودارسهما وفاهمهما، أنه يوم القيامة تأتي سورة البقرة وآل عمران بمثابة غمامتين تظللانه من حرّ ذاك اليوم العظيم.

وهذا فضل عظيم سببه أن سورة البقرة وآل عمران تجمعان الإسلام كله.

فمن عاش في ظلّهما استحق يوم القيامة أن يكون في ظل من الحر الشديد؛ فقد طابت حياته بالإسلام، والاستسلام لله؛ وطيب الله له ذلك اليوم بذاك الشأن.

نسأل الله أن نكون من أولئك القوم الذين تظلمهم هذه السورة العظيمة.

الآن في دراستنا لآل عمران: سنتبع نفس الطريقة التي اتبعناها في سورة البقرة العام الماضي؛ سننظر للسورة نظرة إجمالية.

وكما مر معنا أن كل سورة لها مقدمة وخاتمة.

المقدمة بالنسبة لآل عمران من آية: (١-١٧)

ثم خاتمة السورة من آية: (١٩٠-٢٠٠)

بعد ذلك تنقسم السورة إلى مقصدين:

• المقصد الأول من آية (١٨-١٢٠).

• المقصد الثاني من آية (١٢١-١٨٩).

إذا السورة عبارة عن:

- مقدمة، وخاتمة، ومقصدين.

- في مقابل لما درسنا سورة البقرة كانت: مقدمة، وخاتمة،

وأربعة مقاصد.

فهذا إشارة إلى أن سورة البقرة أكثر تفصيلاً من آل عمران.

أول سؤال يأتي: **مادامت سورة البقرة، وآل عمران متجاورتين،**

فما العلاقة بينهما؟

وهذا -كما مر معنا- سابقاً من علوم القرآن (علم المناسبات).

أول ما نفكر في العلاقة تفهيم هذه القاعدة؛ أي سور متجاورة

الترتيب لها علاقة ببعضها؛ وهذه العلاقة قد تكون ظاهرة في اللفظ،

وأكيد أنها علاقة ظاهرة في المعنى.

فقبل أن ندخل في تفاصيل السورة سنتكلم عن ظهور العلاقة في

المعنى؛ ووقتاً نقرأ سنلاحظ أن هذه الكلمة بنفس الطريقة قرأناها في

سورة البقرة؛ ويصير معنى ذلك وأنا أقرأ سورة آل عمران كأني أراجع سورة البقرة.

حين نفكر في البقرة وآل عمران سنجدهما تامتا التعلق بسورة الفاتحة.

المناسبة بين سورة الفاتحة وسورتي البقرة وآل عمران

لماذا نفكر الآن في سورة الفاتحة؟

لأن البقرة وآل عمران مرتبطتان بالفاتحة؛ فلا بد أن أنظر أولاً للفاتحة ثم أنظر للبقرة وآل عمران كيف يتعلقان بها.

أولاً: الفاتحة

تجديها مقدمة، وخاتمة:

● مقدمة الثناء على الله.

● خاتمة ذكر الطريق المستقيم، والطرق المنحرفة.

● في الوسط المقصد الرئيس من سورة الفاتحة.

● {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ

الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فهذه كلها مقدمة.

● {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

الضَّالِّينَ} هذه هي الخاتمة.

● ما هو المقصد لسورة الفاتحة؟

{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}

إذا المقصد في سورة الفاتحة بيان وإظهار أهمية طلب الهداية.
معنى ذلك أنك كل يوم تُثنين على رب العالمين، وتتقدمين بين يديه
منكسرة **لتطلي ماذا؟** الهداية إلى الصراط المستقيم.
وهذا هو دليل الإنسانية؛ لأن الجرائم كل يوم تبحث عن ماذا تأكل؟
وماذا تشرب؟

والإنسان من أول الفجر؛ أول ما يستفتح يصلي ركعتي الفجر،
اللتين أخبرنا عنهما النبي -صلى الله عليه وسلم- أنهما: «**خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا**
وَمَا فِيهَا»^(١)

أول شيء يقرأ سورة الفاتحة.
إذا يُشهر أن غايته أن يهتدي إلى الصراط المستقيم، إذا طلب
الهداية للصراط المستقيم دليل إنسانية الإنسان؛ لأن الإنسان
والهيممة يشتركان في طلب الطعام والشراب وكل اللذات على اختلاف
الأشكال؛ فإذا وجدت نفسك كلما نمت وقمت لا تفكر إلا فيما تأكل
وتشرب، وفيما تلبس وأين تذهب وأين تأتي، والصراط المستقيم ليس
شاغلك لابد أن تنتبه لإنسانيتك.

إذا الإنسان مطلبه: الهداية للصراط المستقيم، هذا مقصد
سورة الفاتحة.

(١) أخرجه مسلم (٧٢٥).

ثانيًا: وماذا تقول لنا سورة البقرة على هذا الموضوع وهو الهداية
للصراط المستقيم؟

تقولين في الفاتحة: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}.
فكان هذا الجواب في سورة البقرة: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ}.

يعني إذا كنت طالبًا صادقًا للهداية؛ فالهداية للصراط المستقيم في
الكتاب.

ولذلك اقرئي الآيات التي تليها:

من هم المتقون؟

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
(٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

انظروا كيف ظهرت لنا هذه مرة ثانية {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ}
فإذا إذا طلبت الهداية، فالكتاب فيه الهداية؛ والتقوى هي عنوان
المهتدين.

إذا معنى ذلك أن الهداية ظهرت لنا في سورة الفاتحة مطلبًا؛ وأتت
سورة البقرة تدلنا على طريق الهداية.

الآن لابد أن نعرف **سورة آل عمران أين موطئها من قضية**

الهداية؟

سنعبر بتعبير يجمع بين سورة البقرة وسورة آل عمران.

سورة البقرة تؤسس الهداية إلى الصراط المستقيم.

وسورة آل عمران تدفع الشبه عن هذا الصراط.

إذا سورة البقرة تؤسس عقيدتك؛ وسورة آل عمران تدفع الشبه

عن عقيدتك؛ وأنت لكي تهتدي للطريق؛ لابد أن تعرفي أن هذا هو

الطريق، ولابد أيضًا أن تنتفي عنك أي شبهة على الطريق.

وسيتبين لنا ذلك حين نتناقش بالأمثلة؛ ولا يوجد أحد يهتدي إلى

طريق إلا ويجمع بين أمرين:

• بين أن يعرف طريق الحق.

• وبين أن يدفع عنه شبهة الباطل.

وهذا الأمر إذا صح للإنسان صح اعتقاده وقوي وإذا ضعف؛ يعني

عنده معرفة بالصراط المستقيم، لكن دخلت عليه شبهات **فماذا**

تفعل في عقيدته؟ تضعف عقيدته بسبب ذلك.

هذا أول ربط بين البقرة وآل عمران مع سورة الفاتحة.

الربط الثاني بين البقرة وآل عمران والفاحة

في سورة الفاتحة بعدما طلبت الهداية للصراف المستقيم؛ وصفت المهتدين للصراف المستقيم.

{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} يعني يا رب، اهدني الصراف المستقيم، وأنا أعرف أن هناك قومًا مهتدين سبقوني إلى الصراف المستقيم؛ لذلك ماذا تقولين بعد {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}؟
{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}.

وكما تُثبتين أن هناك جماعة أنعم الله عليهم؛ وتثبتين أن هناك جماعتين تودين ألا تكونين معهم؛ وهم المغضوب عليهم والضالين.

أصبح عندك ثلاثة فروق:

١- {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}.

٢- {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}.

٣- {الضَّالِّينَ}.

من هم المغضوب عليهم؟ أين أتى بيانهم؟ في البقرة.

من هم الضالين؟ أين أتى بيانهم؟ في آل عمران.

إذاً هذا رابط ثانٍ بين الفاتحة والبقرة وآل عمران.

في البقرة بيان المغضوب عليهم حتى لا تسير على طريقهم؛ وفي آل

عمران بيان الضالين حتى لا تسير على طريقهم.

يوجد ربط أكثر بين البقرة وآل عمران وحدهم، وسيظهر لنا أثناء الدراسة، وسيكون الربط وقتها باللفظ أكثر ظهورًا، وقتما نقرأ آل عمران مباشرة يتبين لنا مباشرة صلة بسورة البقرة.

دراسة المقدمة من آية (١)-(١٧)

نقرأ الآن من آية (١)-(٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)

أولاً المقدمة سنضع لها عنوان:

بيان عظمة منزل الكتاب و أثر ذلك في صحة الاعتقاد.

هذه هي المقدمة.

والمقدمة فيها مقاطع.

(١) آل عمران: ١-٦.

المقطع الأول: من آية ٦-١

عنوان المقطع الاول:

مقدمات لرد الشبهات في موضوع التوحيد.

آل عمران هي أصلاً لرد الشبهات؛ وهذه المقدمة أتت مجموعة مقدمات؛ سلّم بهذه المقدمات؛ اعرفها وسلّم بها؛ فإذا استفدت منها، ووضعتها في مكانها؛ أول ما تأتي الشبهة، فما نحتاج نناقش كثيراً فيها لأن معك المقدمات التي تجعلك ترد بها الشبهات مباشرة.

وليتضح هذا المعنى جيداً لا بد أن نفكر في شبهات النصارى؛

فالنصارى ما مشكلتهم الأساسية مع النبي -صلى الله عليه وسلم- أو

مع التوحيد؟

لما أرسل الله عيسى -عليه السلام-، ميّزه بميزات، وجعل معه آيات تبتدئ من خلقته على خلقه خاصة وتنتهي هذه الآيات بأنه كان يُعلمهم شيئاً من الغيب، وأنه كان يصنع من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.

هذه الأمور التي حصلت من عيسى -عليه السلام-؛ أوقعت في نفوسهم رفع عيسى -عليه السلام- من مرتبة النبوة إلى مرتبة الألوهية. وهذا متوقع بسبب أن النفوس إذا لم تقف عند الحق؛ لا بد أن تنتقل من الحق إلى الباطل.

ونحن إذا تيسر لنا -إن شاء الله- أثناء النقاشات

سنفهم كيف تحولت النصرانية من دين توحيد إلى دين وثنية؟

لكني أسألكم: عيسى -عليه السلام- أصلاً أرسل لمن؟

الجواب: عيسى -عليه السلام- أرسل لبني إسرائيل؛ الذين هم أصلاً قوم موسى -عليه السلام-.

إذا أنت الآن ترين في الواقع أن أتباع عيسى -عليه السلام- هم بنو إسرائيل؟

الجواب: لا. بل ناس آخرين.

ما اسمهم؟ نصارى؟ لا؛ هم اسمهم نصارى لأنهم تبناوا هذا الدين.
لكن من حيث الجنس اسمهم الروم، وهم الآن في أوروبا؛ فهؤلاء الروم هم قوم آخرين غير بني إسرائيل.

فالآن ابدئي من عند إبراهيم -عليه السلام-؛ كم ابن عنده؟
إسماعيل وإسحاق.

الأنبياء أتوا من ذرية إسحاق، وأتوا من ذرية إسماعيل.
من ذرية إسحاق: يعقوب و(هو إسرائيل).

ثم اذهبي لسورة يوسف -عليه السلام-، تجدين يعقوب -الذي هو إسرائيل- **كم ابن عنده؟**

اثنا عشر ابناً -الذين هم الأسباط- منهم يوسف -عليه السلام-.
من الأسباط هؤلاء أرسل موسى -عليه السلام-.

والآن تذكّرتم عاشوراء، والمعجزة العظيمة، وخروج موسى -عليه السلام- من مصر، وأتت المعجزة العظيمة التي شكر ربنا عليها أنه ضُرب له في البحر، **كم طريقًا فُتح له؟ اثنا عشر.**

لماذا؟ لأنهم اثنا عشر قبيلة، فيهم أرسل موسى -عليه السلام-.
ولما تقدمت الأيام، أرسل فيهم عيسى -عليه السلام- لهم أنفسهم؛ لبني إسرائيل.

حين تقولين: "بني إسرائيل" يعني سترجعين ليعقوب؛ يعقوب سترجعين لإسحاق؛ إسحاق سترجعين لإبراهيم -عليه السلام-.
إذا الآن هذا الفرع الذي هو فرع إسحاق.

أمّا فرع إسماعيل، فما ظهرت النبوة إلا لما وصلنا لمحمد -صلى الله عليه وسلم-.

الآن حين ننظر لأنفسنا، ولبني إسرائيل ماذا يُعتبرون لنا في القرابة؟

أبناء العمومة؛ لأن إسماعيل وإسحاق إخوان، إذا هؤلاء شعب ولهم خصوصيتهم.

الروم آخرون تمامًا، وليسوا من ذرية إبراهيم؛ لا بد ونحن نتناقش بعد ذلك، أن نطرح هذا السؤال ونفهمه:

كيف انتقلت النصرانية المسيحية التي أتى بها المسيح -عليه السلام- من بني إسرائيل إلى الروم؟

إذا جاوبتِ هذا السؤال ستعرفين كيف تحولت من دين سماوي إلى دين وثني؛ لأن الذي هُم عليه يعتبر وثنية.

إذا هؤلاء الآن الذين اسمهم (نصارى)، ما أرسل لهم عيسى -عليه السلام-، إنما حصل انتقال لدين عيسى -عليه السلام- لهم، ومن ثم انتقل من دين توحيدي إلى دين وثني.

لكن هُم ما يعترفون أنه تحوّل، بل يعترفون أن عيسى -عليه السلام- أرسل لبني إسرائيل؛ ولهذا عندهم في كتبهم يكتبون: (العهد القديم) و(العهد الجديد)؛ فالقديم يقصدون به التوراة، والجديد يقصدون به الإنجيل.

هذه المعلومات التاريخية ضرورية جدًا كي تفهموا مع من نتناقش. الشاهد الآن: بني إسرائيل لما أتاهم عيسى -عليه السلام- انقسموا فيه قسمين:

● قسم كذبوه تكذيبًا تامًا.

● وقسم صدّقوه.

لكن القوم الذين صدّقوه لأسباب كثيرة نتناقش فيها فيما بعد؛ انتقلوا من تصديقه أنه نبي إلى اعتقاد أنه إله.

إذا ماذا فعل بنو إسرائيل مع عيسى -عليه السلام-؟

انقسموا قسمين؛ قسم صدّقوا، وقسم كذبوا. والذين صدّقوا، هل بقوا على تصديقهم فقط؟

الجواب: لا.

لكن هناك جماعة بقيت على التصديق وهم الحواريون، وهناك جماعة أخرى وهم الأكثر انتقلوا من التصديق إلى الغلو، وللوصول إلى الغلو أسباب.

الغلو معناه: أنهم قالوا إن عيسى إله.

واستدلوا بالمعجزات التي أرسل بها، ابتداءً من أنه خلق من غير

أب، وأنه يخبرهم عن الغيوب التي في بيوتهم، فيقول لهم: "أنت في بيتك كذا، وأكلت كذا، وفي بيتك مدخر كذا"

والأمر الثاني من آياته: أنه كان يأخذ الطين ويُسكله على صورة طير، أو حيوان ثم ينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، هذا جعلهم يعتقدون أنه إله.

المقدمات الآن لن تناقش تفاصيل عقيدتهم، إنما ماذا ستفعل لنا هذه المقدمات؟

رد الشبهات في موضوع التوحيد

سنبدأ الآن من (١)-(٦) ونتناقش في الموضوع ونرى أن كل آية من

هذه الآيات تؤسس قاعدة ومقدمة:

{**الْم**} الحروف المقطعة - كما مر معنا- في سورة البقرة؛ إنها ليس لها

معنى، ولها مغزى؛ يعني لا تجمعها وتقول: "معناها أسماء الله أو رموز لأسماء الله."

وعندما تدرسين في علوم القرآن ستعرفين:

• إن كل سورة بدأت بالحروف المقطعة مكية أصلاً ما عدا

البقرة وآل عمران.

وإذا ربنا يسر لنا نقول لماذا ابتدأت البقرة وآل عمران بالحروف المقطعة.

• هناك شيء آخر وهو أنه غالبًا بعد الحروف المقطعة يأتي

ذكر الكتاب تصريحًا أو تضمينًا.

تصريحًا:

مثل:

• {طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} (١)

• {حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} (٢)

أو تضمينًا أو إشارة:

مثل {كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ} (٣) معناها ذكرت رحمة الله في

الكتاب.

(١) [سورة طه: ٢-١]

(٢) غافر: ٢-١.

(٣) مريم: ٢-١.

• أي سورة فيها حروف مقطعة إذا ذكر فيها الكتاب يُذكر مباشرة في الآية الثانية؛ أي بعد الآية التي بها الحروف المقطعة ما عدا آل عمران فصل بين الحروف المقطعة وذكر الكتاب هذه الآية العظيمة {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}.

هذه الآية العظيمة مباشرة تذكرنا بسورة البقرة؛ سماعنا لهذه الآية يذكرنا بآية الكرسي.

إذا تصورت نوع علاقة بين سورة آل عمران وسورة البقرة في الآية الثانية.

دلالة الآية الثانية على المقدمة

أفكر فيها كمقدمات لرد الشبهات في التوحيد -الذي هو عنوان المقطع- وهم اعتقدوا أن هناك أحدًا غير الله إله؛ فأول الكلام أسس في نفسك، أن الله لا إله إلا هو، وأن الله هو الحي القيوم.

هذا التأسيس سيفيدنا جدًّا في الرد على من اعتقد أن عيسى إله. لماذا؟ فكري في الحي القيوم.

ما معنى اسم الحي؟

الذي له الحياة الكاملة، التي لم تُسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، الحياة المستلزمة لكمال الصفات، هنا جوهر القضية التي هي كمقدمة.

نشرح الحياة المستلزمة لكمال الصفات عند المخلوقين:

فكري معي في منحني للناس، حياة الناس ليست مثل حياة رب العالمين، قبلها عدم وبعدها زوال.

يعني قبل أن تولدي كنتِ لا شيء؛ غير موجودة، بعد ذلك صرتِ موجودة، ثم هذه الحياة الدنيا لا بد لها من نهاية.

حين يولد الانسان، كان بعد أن لم يكن، فكري في صفاته؛ تبدأ الحياة معه والصفات ناقصة، **ناقصة في ماذا؟** في عقله؛ سمعه؛ بصره؛ قدرته على الكلام؛ قدرته على المشي... وكلما كبر كلما زادت الصفات قوةً، حتى يصل إلى ريعان الشباب، ثم تبدأ هذه القوة تنزل وتنتهي.

إذا حين تكون الإنسان حياته ناقصة؛ فستكون صفاته ناقصة.
الإله الرب العظيم، حياته كاملة؛ إذا صفاته كاملة، نحن نربط بين الصفات والحياة:

عيسى -عليه السلام- لما جاءهم؛ جاءت حياته ناقصة، وُجد بعد أن لم يكن موجودًا، وأُعطي القدرة على الكلام في ذلك الموقف؛ لما أشارت إليه كما في سورة مريم {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا} (١) فأجاب تلك الإجابة في ذلك الموقف، لكن عادت حياته بعد ذلك طبيعية، يعني نشأ رويدًا، رويدًا، كما ينشأ أي صغير صفاته كانت ناقصة ثم اكتملت.

(١) مريم: ٢٩.

هل يصلح هذا أن يكون إلهًا؟

الإجابة: لا؛ لأن الإله ما وصفه؟ الحي القيوم.

فالمقدمة تقول لنا {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ} فظهر لنا أنه الحي دليل

على أنه الإله الذي لا يشاركه أحد.

تعالى نرى اسم القيوم:

ما معنى اسم الله القيوم؟

القائم بنفسه، المستغني عن غيره، القائم على غيره.

هل هذه كانت صفات عيسى -عليه السلام-؟

الإجابة: لا؛ كان يأكل ويشرب، ويحتاج كما يحتاج الخلق؛ فهو ليس

قائمًا بنفسه، مستغنيًا عن غيره.

إذا مادام أنه يحتاج، لا يمكن أن يكون إلهًا.

الإله ما صفته؟ حيّ له الحياة الكاملة؛ قيوم قائم بنفسه،

مستغني عن غيره، قائم على غيره.

إذا هذه الآيات الستة سنجد في كل آية منها، إشارة وتقديم في مسألة

التوحيد؛ هي مقدمات لا تناقش نفس الشبهة وترد عليها؛ وهم قالوا

كذا ونحن نقول كذا؛ لا؛ بل أسس في نفسك أن الإله لا بد أن يكون

حيًا حياةً كاملة، قائمًا قيومية كاملة، قائمًا بنفسه، مستغنيًا عن غيره،

قائمًا على غيره.

علاقة الآية الثالثة بالآية الثانية ودلالة الآية الثالثة على المقدمة
{نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ} (١)

لاحظوا أن الآية وقفت هنا.

أولاً سنربط بين الآية الثانية والآية الثالثة:

• آخر كلمة في الآية الثانية: {الْقِيَوْمُ}.

• وأول كلمة في الآية الثالثة: {نَزَلَ}.

إذاً ماذا سنقول؟ من آثار قيوميته على خلقه تنزيل الكتاب.

إذاً {نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ} لأنه قائمٌ على خلقه.

الخطاب لمن؟ للنبي صلى الله عليه وسلم.

انظري للآية الثالثة تؤسس ماذا؟

يعني الآية الثانية كانت تؤسس عقيدتنا في رب العالمين، أن الله لا

إله إلا هو الحي القيوم.

الآية الثالثة تؤسس عقيدتنا في ماذا؟

الكتاب والرسول؛ لأن الكتاب لا بد أن يكون أنزل على رسول.

أسست مسألة عقيدتنا في الرسالة والرسول.

كيف تكون عقيدتنا في الرسالة والرسول من بين المقدمات؟

(١) آل عمران: ٣.

ما هي الكلمة في الآية التي تستطيعين أن تقولي إن موضوعنا:
(الرد على شبهة النصارى)؟

الإجابة: الإنجيل.

كأنه يقال: "الذي أرسلك رسولاً، أرسل قبلك رسلاً وأنزل معهم كتباً" ففيه إشارة للرسول -صلى الله عليه وسلم- أنزل عليه الكتاب؛ وفيه إشارة لموسى -عليه السلام- أنزل عليه الكتاب؛ وفيه إشارة لعيسى -عليه السلام- أنزل عليه الكتاب.

فكأنه يقال: الله لا إله إلا هو الحي القيوم وعيسى وموسى ومحمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم رسل.

كأن في هذا تأسيس لعقيدتك في الكتاب، وعقيدتك في الرسول.

من الإله؟ {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} ما وصفه؟ {الْحَيُّ الْقَيُّومُ}.

طيب هؤلاء الذين أتونا، ولهم أوصاف الكمال البشري؟ ماذا يكونون؟ رسل معهم كتب.

كأنه يقال كما نُزِّل عليك الكتاب، نُزِّل على موسى وعيسى من قبلك.

إذا ماذا تعتقد في عيسى بناءً على هذا؟

أنه رسول، وأن له كتاب.

إذا لا قول من غلا في عيسى بأنه إله، ولا قول من كذب عيسى وأنكر

النبوة؛ أي هذان القولان غير صحيحين.

إنما {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} (٢) نزل عليك الكتاب بالحق
مصدقًا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل

كل هذا عن الرسل

إذا ما عقيدتي في النبي صلى الله عليه وسلم؟ رسول.

إذا ما عقيدتي في موسى؟ رسول.

👉 إذا ما عقيدتي في عيسى؟ رسول.

وكل واحد من هؤلاء الرسل، أنزل عليه كتاب إذا هذه وظيفة
الرسل.

👉 هناك شيء آخر ممكن أستعمله كرد أيضًا على شبه

النصارى: {بالحق}

{نزل عليك الكتاب بالحق} يعني كل ما هو موجود في هذا الكتاب

حق؛ فالأخبار التي جاءت عن عيسى في هذا الكتاب هي الحق.

إذا عندي في آية (٣)، كلمتين نرد بها الشبه:

● الأولى: كلمة الإنجيل، كأنها مفتاح تقول عيسى -عليه

السلام- رسول، وكتابه الإنجيل.

● الثانية: أن هذا الكتاب فيه أخبار الحق عن عيسى -عليه

السلام-.

دلالة الآية الرابعة على المقدمة

{وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ} ٣

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ {

نأتي للآية الرابعة، وأيضاً فيها بيان ومقدمة للرد على الشبهات

فحين نقرأ نهاية الآية الثالثة مع الآية الرابعة:

{وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ} لماذا؟ {هُدًى لِلنَّاسِ}

هدى للناس، وهذه ستذكرني بماذا؟ ستذكرني بسورة البقرة،

وتذكرني بسورة الفاتحة.

{وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ} عند المفسرين لها معانٍ كثيرة، لكن والله أعلم

الذي يتفق مع المعنى؛ يعني أنزل في الكتاب أي القرآن، وأنزل في

التوراة، وأنزل في الإنجيل، ما يفرّق به الناس بين الحق والباطل.

بهذا تكون واضحة في عطفها على {هُدًى لِلنَّاسِ}

يعني أسألك: ما وظيفة الكتب من الآية الرابعة؟

الإجابة:

١- الهداية.

٢- وتفرق بين الحق والباطل.

يعني تهديك للحق، وترد الشبهات.

أي أن الكتاب هدى للناس من جهة، ويزيل عنهم الشبهات من جهة أخرى.

لكن في التفاسير يوجد اختلاف عند المفسرين، وكله يعود لهذا المعنى أنه هدى وفرقان.

فمن اختلط عليهم الأمر: هل لهم عذر، أم كان المفترض أن يطلبوا الحق؟

المفترض: يطلبون الحق؛ لأن الكتاب نزل هدى، وفرقانا يفرّق فيه بين الحق والباطل.

أكملوا آية (٤)؟

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو

انتِقَامٍ}

ما الصلة؟

من كفر بآيات الله بعد كل هذا الهدى والبيان، فلهم هذا الوعيد؛ **{لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ}** يعني هذا تهديد لهم.

وسيتبين لنا بعد ذلك، حين نفهم الآيات، أن النصارى لما انتهى نقاشهم مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ومحاجتهم بغير نتيجة لأنهم معاندون أمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بحل؛ وهو المباهلة.

المباهلة ما معناها؟ يأتون هم وأولادهم وأهلهم ومالهم، ويأتي الفريق الثاني الذي يريد مباهلتهم يأتي بنفسه وأهله وماله ثم يدعون على أنفسهم؛ يقولون: "لو كنا أهل باطل يهلكنا الله." فالنصارى لما سمعوا هذا الكلام باتوا من ليلتهم، وأصبحوا معتذرين للنبي-صلى الله عليه وسلم-، عن المباهلة، وهربوا؛ لأنهم يعرفون أنهم على باطل ويعرفون {أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ} يعني وقتها سيكونون عرضوا أنفسهم للانتقام.

السورة في الست آيات الأولى بينت كل القواعد التي تفكر بها:

بحيث أنك تقول: الإله لا بد أن يكون حيًا قيومًا.

هناك حولنا أشخاص كاملين كمالًا بشريًا وهم الرسل: محمد وموسى وعيسى، صلوات الله عليهم وسلم.

فمن يكون هؤلاء؟ رسل؛ نزلت عليهم الكتب.

هل الأمر كان واضحًا؟ نعم؛ لأن هذه الكتب نزلت هدىً للناس، وفرقت بين الحق والباطل.

ومن يكفر بعد ذلك؟ له عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام.

دلالة الآية الخامسة على المقدمة

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي

يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)

تلاحظون طبعًا في نهاية الآية السادسة، أعيد علينا عقيدتنا في

ألوهية الله {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

نفكر في الآية الخامسة والسادسة من جهة أنها مقدمات للرد على

الشبهات في التوحيد.

تكلّمنا عن عيسى -عليه السلام- وأن من آياته أنه كان يخبرهم

بالغيوب التي في بيوتهم؛ فيقول لهم: "أكلتم كذا وكذا، وفعلتم كذا في

بيوتكم، وادخرتم كذا" فهذا نوع من أنواع الغيب.

لكن هل هذا غيب كلي أم غيب جزئي؟

الإجابة: غيب جزئي

ما معنى الغيب الجزئي؟ يعني يخفى على أناس، ويعلمه أناس.

مثال: أنت الآن الذي تفعليه في المدرسة بالنسبة لأهلك في البيت

يعتبر غيبًا، لكن هل هو غيب مطلق لا أحد يعرفه؟ لا؛ بل أنت

تعرفينه والمتواجدون حولك.

إذًا الغيب الجزئي يخفى على بعض الناس، لكن بقية الناس

يعرفونه.

(١) [سورة آل عمران: ٥-٦]

كون عيسى -عليه السلام- يخبرهم بما في بيوتهم؛ **هل يكون غيبًا كليًا أم جزئيًا؟** جزئيًا؛ لأن الذين هم في البيت يعرفونه.

اليوم الناس هل ما يستطيعون أن يعرفوا الغيب الجزئي؟

فكري في الأدوات الحديثة التي تعرفينها؛ كثير ممن عنده في البيت كبير في السن أو مريض، فيضع هذه الكاميرات ويربطها بشاشته في الجوال، فيخرج ويراقب من في البيت؛ فيكون ليس معه، غائب عنه، لكن مع ذلك يستطيع أن يراه، فالآن بسهولة تستطيعين أن تتصورى هذا الموضوع: أنه يوجد غيب جزئي يمكن للإنسان أن يصير ليس غيبًا جزئيًا بالنسبة له ويكتشفه ويتبين له.

فالذي شَعَرَ به النصارى في ذلك الوقت كأنه دليل على الغيب، يمكن الآن فعله بكل سهولة، كما في برامج التجسس؛ أليس من الممكن لأحد أن يضع لأحد ما يكشف به حقائق ما في بيته؟ حين يفعل هذا هل سنقول: ما شاء الله هذا يعلم الغيب وفيه جزء من الألوهية؟! لا؛ بل نقول: أكيد عنده برنامج من برامج التجسس.

فهم الآن لما رأوه يخبرهم عن شيء عن الغيب ظنوا أنه إله.

ردى عليهم بالآية الخامسة؟

يعني الإله ليس الذي يعرف بعض الأشياء إنما الإله الذي **{لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}** أما علمه بشيء كما سميناه بعض الغيوب الجزئية فلا يدل على الألوهية.

إذا الآية الخامسة في موقف النصارى من عيسى -عليه السلام-، **هم**
ماذا اعتقدوا؟ إخبار عيسى -عليه السلام- بشيء من الغيوب الجزئية
يدل على الألوهية.

والصحيح أن الغيوب الجزئية يمكن كشفها اليوم بأدوات كثيرة،
لكن الله {لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} سبحانه وتعالى.

فالنصارى جعلوا عيسى إلهًا، ثم همّ أنفسهم -النصارى-، لما أتت
الثورة الفرنسية والحرية، وشعارات الثورة الفرنسية؛ انسلخوا من
الدين، وجعلوا لهم إلهًا آخرًا؛ وهو العلم يعني التطور، فأعطوه نفس
الصفات؛ فجعلوا العلم يعلم الغيب، ويخلق من لا شيء!

هم يرون أنهم نتيجة أدواتهم يعلمون الغيب، فأنت ستردين بنفس
الرد؛ أن العلوم الجزئية مهما حصل فيها معرفة لازالت ليست غيبًا
مطلقًا و{إِنَّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}

الصلة بين الآية الخامسة والآية السادسة

ودلالة الآية السادسة على المقدمة

الوجه الأول:

{إِنَّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} من آثار علمه
الغيب المطلق أنه {يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ} هذا وجه في الآية
السادسة.

الوجه الثاني:

نفس هذه الآية لها متعلق بعيسى -عليه السلام-؛ يعني خِلقَة عيسى من غير أب لا يعجز عنها الله -عزَّ وجلَّ- لأنه **{يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ}**.

👉 فممکن يكون التصوير في الأرحام نتيجة الوضع الطبيعي الإنساني وهو التقاء الذكر بالأنثى ووصول الماء إلى الأنثى؛ فيأتي من ذلك التصوير الطبيعي الذي جعله ربنا سنة في كونه.

أو لا يُشترط ماء الذكر لتحمل الأنثى؛ **متى يكون هذا؟** حين يشاء الله **{يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ}**.

الوجه الثالث:

عيسى -عليه السلام- تقلَّب في بطن أمه كما يتقلب أي جنين؛ أي حملت به تسعة أشهر كاملة؛

فمن صوره، وحوّله، ونقله من طور لطور؟ الله -عزَّ وجلَّ-.

إذاً هو مفعول به، وليس فاعل طُورٍ من حال إلى حال.

فالإله يفعل ولا يُفعل به. لكن عيسى -عليه السلام- مفعول به.

لاحظي كل هذه مقدمات عن نفس الشبهة، لكنها فيها قواعد تفكرين بها.

حين يقول أحد: كيف يكون جنينًا بلا أب؟ ترددين عليه

{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ} ما علاقتنا نحن؟ ربنا

شاء ذلك؛ فحصل ذلك.

خصوصًا أنك تسمعين بعدها {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} ليس هناك إله إلا هو؛

يفعل ما يشاء.

لماذا يفعل هذا الفعل؟ اقرئي ختام الآية: {الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

لأنه العزيز الذي متى شاء نفذ أمره بلا مُمانع؛ فإذا كان ينفذ أمره بلا

مُمانع، فمعناه إطلاقًا سيفعل ما يشاء؛ لكن وأنتِ معتقدة أن كل ما

يشاؤه ويختاره حكمة.

مهما أُعطيتِ سلطة، فلا يمكن أن تفعلي ما تشائين إطلاقًا؛ مهما

كان عندك أدوات، وسلطة وخدم وحشم، ويسمعون كلامك لأنهم

يعملون عندك؛ لكنك لا تقدرين أن تجعلهم يحبونك مثلًا.

حين تصلين عند قلوبهم لا تستطيعين، وإذا كنتِ مهما كنتِ إذا

غلبك النوم لا تستطيعين؛ لذلك لا تنسي أن هناك الحي القيوم.

ولو كان عندك السلطة وتصرفتِ مئة تصرف فعلي الأقل خمسين

من أصل مئة -مهما كنتِ حكيمة- تصرفًا ليس في مكانه الصحيح.

فمن له التصرف التام؟ هو العزيز؛ الله له التصرف التام في كل

شيء بلا ممانع.

وهذا يجعلك تزدادين انكساراً بين يديه؛ أنتِ عندك مئة ممانع
لشيء تبغينه؛ فحين تطلبين هذا الشيء تطلبينه ممن؟
الذي لو شاء وأراد فعل بلا ممانع؛ وهو العزيز سبحانه وتعالى.
أنتِ تقولين: إن الله عزيز وعلى كل شيء قدير؛ وأنا طلبت وطلبت
كثير وما جاني؟! سنقول لأنه حكيم.

مقصد الآيات (٧-٩)

نبدأ الآية السابعة:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ
وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ
ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي
الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾
الآيات الستة السابقة، كانت في تقرير مقدمات للرد على الشبهات في
التوحيد.

هذه الآية السابعة إلى التاسعة: تقرير الابتلاء بالكتاب.

هنا سؤال: ما علاقته بالكلام السابق؟

حين يتبين أين الابتلاء بالكتاب، ستعرفين علاقتها بالكلام السابق.
● فالآيات الستة السابقة كانت بمثابة قواعد للرد على
الشبهات.

● من آية (٧-٩) فيها بيان للابتلاء بالكتاب.

كيف ابتلينا بالكتاب؟

لاحظوا في الآية الثالثة والرابعة أتى الخبر بأن ربنا نزل الكتاب.
في الآية السابعة مرة أخرى أتى الخبر {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ}
وقارنوا بين هذه الآية، وآية البقرة في الكلام عن الكتاب.

✓ هنا ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ
أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾.

✓ وفي البقرة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾

فيوجد فرق كبير بين الخبر الذي جاء في البقرة، والخبر الذي جاء في
آل عمران.

● في البقرة كان يُؤسَّس أن هذا هو الحق.

● وفي آل عمران يرد على الشبهات.

فالكتاب ابتلينا به فيه آيات محكمات، هن أم الكتاب وأخر
متشابهات.

ما معنى متشابهات؟ ما معنى محكمات؟

بالمثال نقول المعنى وهذا المثال هو الذي يبين لنا علاقته في سورة آل
عمران:

وفد نجران النصرارى لما أتوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- قالوا له:

إنك تقول عن عيسى -عليه السلام- إنه كلمة الله وأنه روحٌ منه؛ فهذا

يدل على أن عيسى ابن لله!

يعني ماذا فعلوا؟

فهموا كلمة الله وروح منه؛ فهموا الإضافة روح من الله؛ يعني جزء من الله؛ فهموها على التبويض. وهذا ليس الفهم الصحيح.

وروح منه: يعني روح من الأرواح التي خلقها الله؛ فأضيفت روح عيسى -عليه السلام- خاصة لله من باب التشفير.

مثال آخر: سمعوا قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ (١)

فقالوا: ﴿نَحْنُ﴾ معناها أنه ليس واحدًا، بل آلهة كثيرة!

هل هذا معنى الآية؟ لا، ليس هذا معنى الآية، إنما نحن في لغة

العرب يُقصد بها التعظيم.

فتمسكوا بهذه الأشياء؛ وهذه الأشياء في القرآن ماذا تُعتبر؟

متشابهة.

وهكذا في حياة الناس؛ حين يكون هناك جماعة عندهم أجندة مكتوبة لهم من الجهات الأجنبية الكافرة، فيدخلون ديار الإسلام ويأخذون المتشابهات، ويخرجون في الإعلام وينشرون المتشابهات؛ فالذي لا يفهم يعتقد أن هذه دلالة الدليل.

ما علاقة الآية السابعة بالسياق؟

إن النصارى في شبههم اعتمدوا على المتشابهات.

(١) الحجر: ٩.

إِذَا آيَةُ (٧) تَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّصَارَى اعْتَمَدُوا عَلَى الْمُتَشَابِهَاتِ فِي شُبُهِهِمْ؛
وَاللَّهُ قَدْ ابْتَلَى الْخَلْقَ بِالْكِتَابِ، فَمِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ وَأُخْرٌ مُتَشَابِهَاتٌ.

نغلق لقاءنا اليوم بتقرير:

ما موقف المؤمن من المتشابهات؟

عرّفوا ما هي المتشابهات؟

المطلوب إجابة سؤال:

ورد في القرآن وصف للقرآن بأنه:

محكم كله.

وأنه متشابه كله.

وورد الجمع بين وصف المحكم والمتشابه للقرآن.

يعني ثلاثة أوصاف للقرآن، المطلوب للأسبوع القادم بيان معنى

المحكم كله والمتشابه كله؛ ومعنى الجمع بينهما؟

فآية آل عمران هي الوحيدة التي جمعت بين أنه محكم ومتشابه.

عندما تبحثين ستأتين بآية تدل على أن القرآن وُصف كله أنه محكم

وتقولين ما معناها؟، وآية تدل على أن القرآن وُصف كله أنه متشابه

وتقولين ما معناها؟ وهنا في آل عمران هي الآية الوحيدة التي جُمع فيها

بين المحكم والمتشابه وتقولين ما معناها؟

وإذا رجعت للشيخ السعدي فمباشرة سيظهر لكم.

اللقاء الثاني من آية ٧ - ١٣

٢٠ محرم ١٤٤١ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله.

نبدأ من مكان ما انتهينا المرة الماضية، وكنا المرة الماضية وصلنا للآية السابعة، واتفقنا أن في هذه الآية السابعة تقرر شيء مهم في وصف الكتاب، وهو أن **{ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ }** واتفقنا أن هذين الوصفين يقابلهما وصفان مثلهما..

ما هما الوصفان؟

- الآن هنا في سورة آل عمران وُصف بأنه محكم ومتشابه معا.
- وفي موطن آخر وُصف بأنه محكم كله.
- وفي موطن آخر وُصف بأنه متشابه كله.

👉 الدليل على أنه محكم كله:

{ الرَّكِيْبُ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } (١)

👉 الثاني الدليل على أنه متشابه كله:

(١) [سورة هود ١]

{اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ
هُدَىٰ لِلَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} (١)

إذا عندي ثلاثة مواطن:

الموطن الأول: وُصف فيه القرآن أنه كله محكم، وهو ليس
الموطن الوحيد لكنه من أشهر المواطن الذي يُستشهد به مطلع
سورة هود.

الموطن الثاني: وُصف بأنه كله متشابه في آية الزمر

الموطن الثالث هنا في آل عمران وُصف بأنه محكم
ومتشابه في نفس الوقت.

الآن نفكر في الفرق، ما معنى أن يوصف كله أنه محكم، وأنه كله
متشابه، ثم يُجمع بين الوصفين محكماً ومتشابه؟

● القرآن كله محكم:

فكروا أن القرآن لفظ ومعنى

فلما تقولين محكم، فكيف محكم في لفظه، وكيف محكم في معناه؟

(١) [سورة الزمر ٢٣]

أحكامه غاية في العدل والإحسان، أخباره غاية في

الصدق - هذا إحصاءه في معناه

ألفاظه غاية في الإحكام والإتقان.

إذا القرآن عبارة عن لفظ ومعنى:

١- لفظه: فقل هو غاية في الإحكام والحسن والبلاغة (أمدح الألفاظ).

٢- معناه: ففيه أخبار وأحكام؛ الأخبار غاية في الصدق، والأحكام غاية في العدل؛ فالقرآن محكم كله.

فلا تخطئوا لأن الشيخ السعدي ذكرها مجملة على أنك تقرأيها وتنسبين كل واحدة لمكانها الصحيح.. وهذا هو أسلوب الشيخ السعدي يقول لك الكلام مجمل.

• القرآن كله متشابه:

كما في سورة الزمر؛ يعني أنت الآن تقولين أنا أقرأ خبر عن آدم عليه السلام مثلاً في سورة البقرة،

ثم أقرأ خبر عن آدم في سورة الأعراف؛ هل الأخبار هذه كلها متضادة؟ لا، بل متشابهة، إذاً متشابه لا يناقض بعضه بعضاً، فما تسمعين خبراً وتسمعين نقيضه في المرة الثانية لكن هنا تسمعين وصف الجنة وهنا تسمعي وصف الجنة، هنا تسمعي وصف النار وهنا تسمعين وصف النار، أوصاف متعددة، ومختلفة، لكنها لا تتناقض.

يشبه بعضه بعضًا في الحسن، والكمال، وعدم الاختلاف، وقال الشيخ السعدي مطابقته يعني لا يتناقض.

وهذا الشيء تفهمونه أكثر لو تابعتم مثلاً: قصة موسى عليه السلام ووصفه للعصا التي تتحول إلى حية هنا وإلى ثعبان هنا؛ أسماء متعددة، فكلها تدل على معنى متكامل لا يتناقض، كلما وضعنا وصف على وصف تكتمل الصورة.

بهذا تبين لنا وصف القرآن كله محكم، ووصف القرآن كله متشابه بقي علينا وصف القرآن أنه محكم ومتشابه؛ وهذا هو موضوعنا الآن في السورة:

• القرآن وُصف محكمًا ومتشابهًا:

مادام وُصف محكم ومتشابه في نفس الموضع يصبح:

المحكم: الإحكام بمعنى الوضوح فلا شبهة فيه ولا إشكال. 

المتشابه: يعني قد يشتبه معناه على كثير من الناس. 

من هؤلاء الناس الذين اشتبه عليهم؟

سنقسم المتشابه لقسمين:

١- قسم يشتبه على جميع الناس.

٢- قسم يشتبه على بعض الناس.

القسم الأول: الذي يشتبه على جميع الناس: 

إذا **كل** الناس لا يعرفون معناه (**حقيقته**): بقراءة الوقف على قوله تعالى {**إِلَّا اللَّهُ**}

أما القسم الثاني: **بعض** الناس إما **لا يعرفون معناه**، أو يقصدون التشبيه به؛ يعني يقصدون **إيقاع الشبهة به**.

سنقرأ جزء من الآية ونرى: {**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**} فإذا وقفنا هنا يعني بقراءة الوقف، إذا هذا سيكون المتشابه على **جميع الناس**؛ هذا مثل ماذا؟ حقائق اليوم الآخر- صفات الله عزوجل.

يعني أنت تسمعين عن الصراط لكن حقيقته لا تعرفينه، وتسمعين عن نعيم الجنة لكن حقائقها لا تعرفينها، مثلها صفات الله، علمه، رحمته، حلمه، فهذا أنت تفهمينه لكن ما تستطيعين أن تدركي كيفيته؛ نزوله الى السماء الدنيا تعلمينها لكن لا تدركين كيفيتها فهذا تفهمينه بقراءة الوقف.

إذا كيف نقرأ الآية ؟

{**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**}

هذا نوع **المتشابه على الناس كلهم**؛ مثل حقائق اليوم الآخر.

حقائق معناها: ليس الخبر عن اليوم الآخر وإنما حقيقة الحدث، ومن هنا نعرف خطأ من يرسم رسوماً ويكتب عليها آيات جنات عدن؛ أو يرسم رسوماً وفيها خط ويقول هذا الصراط.. لماذا؟ لأن هذا {مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}.

الآن نقرأها بقراءة الوصل:

{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}

إذا هذا النوع يعلمه من؟ الله، والراسخون في العلم يعلمونه أيضاً

هذا النوع الثاني: التفسير والإيضاح وردّ المتشابه للمحكم.

مثال: النصارى لما أتوا للنبي صلى الله عليه وسلم قالوا له أنت تُنكر أن عيسى ابن الله وأنت تقول {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ} فقالوا (نحن) لا تدل على الانفراد، بل تدل على الجماعة! فهذا يعتبر من المتشابه. هل تشبه عليهم لأنهم جهال، أم لأنهم فاسدي الارادة؟ لأنهم فاسدي الارادة.

إذا نجاب على المتشابه الذي أتوا به؛ نجاب عليهم بمحكم {وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ} (١)، {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} (٢) وكل الآيات التي فيها انفراد الله.

إذا هذا ما معنى؟ {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}

(١) [البقرة: ١٦٣]

(٢) [الإخلاص: ١]

يعني والراسخون في العلم يعلمون تفسيره وإيضاحه.

وكيف يعلمون تفسيره وإيضاحه؟

يعني يأتون إلى المتشابه الذي دخل تشابُهه على الناس، ويردونه إلى المحكم، ثم يفسرون المتشابه.

يعني يقولون (نحن) في لغة العرب لا تدل على التعدد، إنما تدل على التعظيم.

دعونا نسأل مجموعة أسئلة هنا حول المتشابه؟

الاشتباه يحصل بسبب ماذا؟ إما الجهل، وإما سوء القصد.

ماذا نقصد بسوء القصد؟

يعني هم قوم يريدون إفساد الدين مثل موقف النصارى مع النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا يريدون أن يردوا الدين فيأتون بآيات متشابهة من أجل ان يأتوا بحجة على باطلهم.

فاسد القصد يريدك أن تتزعزع عن دينك، فلا تقول وماذا عليهم من ديني!! لأن ربنا في القرآن يقول **{وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}** ^(١) يعني معناه أن الكافرين كارهون لدين الله، وكارهون للاستقامة عليه.

وللتصوري هذه المسألة بسهولة -الله يحفظنا ويحمينا ويحمي الشباب جميعا- الجماعة الذين يدخلون في المخدرات، لما واحد من أصحابهم يخرج منهم يُعالج مثلا، فما يستقر لهم قرار حتى يسعوا في إعادته...!

(١) [التوبة: ٣٢]

فلماذا هذا الحقد؟! هم يعرفون أنها رذيلة، لكن أنفسهم ما ترتاح في كونه يطهر ويكفونهم أذناس، بل لازم يشاركونهم في البلاء، بل يكون هناك ناس بعيدين عن هذا البلاء ثم هم يسعون لإدخالهم فيه ولإفسادهم.. **لماذا؟** لأن النفس إذا سيطر عليها الخساسة والباطل، **تكره أهل الحق والرفعة.**

فكري في هذه المشاعر ستجدونها موجودة، تكره أن يكون في أحد أحسن منها، فلازم ترددها؛ ولذلك الله قال **{وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}**.

فما حال أهل الكفر مع أهل الإسلام؟ كراهيتهم بقاءهم على الإسلام. فأنت تقولين (نحن حضاريا متخلفون وما عندنا؟! لا تتصوري هذه المسألة آتية من هذه الجهة، لأنك عندك من الميراث الذي يصلحك، ويصلح أجيالا كثيرة بعدك ما يقهرهم، تاريخك الماضي يقهرهم، مستقبلك لو تمسكت بالحق يقهرهم..

فلكي يحلوا مشكلتهم في هذا القهر ماذا يفعلوا؟

يخرّجوا عليك بالقاء المتشابه، وهذا شأن عجيب في النفس الإنسانية. وبعيدا عن المسائل الكبيرة خلونا في المسائل الصغيرة جدا؛ هذه واحدة مثلا شعرها قصير وليس ناعما وهذه شعرها طويل وناعم؛ فالتى شعرها قصير وليس ناعما تقول لتي شعرها طويل وناعم (الله يعينك على غسل شعرك وعلى تمشيطة!) تخرج شوية مما في نفسها فتقول

لها هذا الكلام؛ يعني انظري كيف نفسنا عندنا قدرات ومهارات في قلب
الجميل إلى قبيح، وفي قلب العطية إلى نعمة!

مثل لما يقولوا لك أنت عندك ولي أمر؟! لماذا عندك ولي أمر؟!
فكري بعقلك الآن هل الذي عندها ولي أمر أحسن أم التي ما عندها
ولي أمر؟ تائه ومسكين وما أحد داري عنه، أم الذي في أحد يتولى
مسئوليته؟! لكن هم يوصلون لك إياها قبيحة هكذا، لتتخلى عن
العطية التي أعطاك الله إياها..

إذا ليصلوا لهذا المكر يأخذون المتشابهات، انطلاق أي أمر فيه فساد
وأنت في مجتمع متمسك يبدأ من المتشابهات؛ فيهزّون لك المعاني،
ويأتون لك بآيات من كتاب الله، فيوصلونك إلى هذه النتيجة بعد فترة
من الزمن.

الآن تبين لنا المحكم وحده، والمتشابه وحده، والمحكم والمتشابه معا،
وماذا يقصد به؟

وكيف ان المحكم معناه الواضح، والمتشابه معناه الذي يحصل فيه
غموض على بعض الناس لجهلهم وهذا شيء طبيعي، ثم يأتي العلماء
يكشفونه لهم.

لكن المشكلة عند الذي ليس جاهلا وإنما عنده سوء القصد؛ فاسد
القصد، فيأتي للمتشابهات ويشهرها بين الناس، فلما يشتهر المتشابه
فالمفروض نرده للمحكم، ثم نبين له المتشابه.

لكن إذا تتابع نشر المتشابه وقع في النفس حجب عن المحكم، فيصير الناس ما يستطيعون أن يستوعبوا المحكم من المعاني؛ المهم هذه قضية طويلة.

الآيات (٧-٩) الراسخون في العلم

نبدأ من نهاية الآية ٧ الكلام عن الراسخين في العلم.

آية ٧ قسمت المستقبلين للكتاب إلى كم قسم؟

إلى قسمين:

١- الذين في قلوبهم زيغ.

٢- الراسخون في العلم.

سنرى حال الراسخين في العلم:

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (١)

{وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} ماذا يقولون؟

(١) {يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ} آمنا بماذا؟ آمنا بالكتاب محكمه ومتشابهه.

(١) [سورة آل عمران ٧]

(٢) يقولون أيضا {كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا} محكمه ومتشابهه كلُّ من عند ربنا.

يعني آمننا وصدّقنا وتيقّنا بالمحكم والمتشابه معتقدين أن كلا المحكم والمتشابه من عند الله هنا انتهى كلامهم.

الله عزوجل يقول {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} يعني الله عز وجل وصف الراسخين بأن معهم عقل أي لب وهم أولوا الألباب.. وركزوا في هذا الوصف لأننا سنعرف الجماعة الآخرين الذين ما عندهم عقل نأتي لما قالوه بعد ذلك ودعائهم:

{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} (١)

إذا هذا دعاؤهم؛ بعدما قالوا آمنّا به وأظهروا أنهم متيقنين أن {كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا}؛ خافوا على أنفسهم..

خافوا من ماذا؟ من الزيغ.

لماذا؟ لأن الدخول في المتشابه يؤدي إلى الزيغ.

دعاؤهم قالوا فيه {رَبَّنَا}؛ ولاحظي الدعاء باسم الرب؛ هذا متكرر في كتاب الله،

(١) [سورة آل عمران ٨ - ٩]

كانهم يقولون كما ربّيتنا، وأعطيتنا، ووهبتنا العقل، ووهبتنا الدلالة على الصراط المستقيم؛ فاحفظ علينا هذا.

{ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا } فأقروا بأن الله هداهم، وأظهروا أنهم خائفين على هذه الهداية، وأظهروا أن ما يحفظ لهم الهداية إلا الله.. فعلموا أن الثبات بيد الله.

أول شيء: اعترفوا أن الله هو الذي هداهم.

والأمر الثاني: خافوا على الهداية.

الأمر الثالث: علموا أن الثبات بيد الله.

كل صاحب لبٍ لازم تكون هذه العقائد موجودة في نفسه:

- أن الله هو الذي هداه.

- وأن الهداية أهم عطية أعطاها الله إياها.

- وأن ما يثبته على الهداية إلا الله.

ولذا انظروا لموقف النبي صلى الله عليه وسلم كان من أكثر ما يقول:

« يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ » (١) لعلمه صلى الله عليه

وسلم اليقيني بهذه المعاني.

نقرأ الجملة الثانية من دعائهم { وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۗ إِنَّكَ أَنْتَ

الْوَهَّابُ }

(١) [صحيح الجامع للألباني: ٧٩٨٨]

طلبهم {وَهَبْ} من {الْوَهَابُ}
ماذا يريدون؟ {مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً}.

فما تظنون هذه الرحمة في هذا الموقف؟ الرحمة عدم التعرض
للفتن؛ فعدم الزيغ معناه ممكن تدخل فتنة -الله يعيذنا- وما تزيغ فيها
إنما الرحمة ألا تتعرض لها.

فالرحمة من ربنا الوهاب، أنك أصلاً ما تدخل شيئاً ويكون فيه اختبار
عظيم عليك، وهذا يشبه فيما سبق في سورة البقرة {رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا
طَاقَةَ لَنَا بِهِ} ^(١) يعني {وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً} ولا تبتلينا بالفتن.

ولذلك -الله يعيذنا- من يدخل في قلبه الشك، ومثل هذه الأمور تصير
حياته جحيم، ولذلك لما يصفون هؤلاء الذين دخلوا هذه الفتنة
العظيمة وسلّمهم الله فيقولون دائماً، أن أصعب شيء عليهم لحظة ما
يضعون رأسهم على وسادتهم ويريدون أن يناموا؛ ففي لحظة صعبة
جداً؛ لأن فيها يواجهون الحقائق فطول النهار يحاولون أن يتلها ويتلها
لكن في النهاية ما يجدون أنفسهم إلا وقد واجهوا هذه الأسئلة الفطرية
التي في داخلهم.

ولذلك غالب الذين يدخلون فتن من هذه النوع، إما يدخل باب
المخدرات، وإما يدخل باب الانتحار؛ لأن في داخله جحيم.

(١) [البقرة: ٢٨٦]

ولذلك من رحمة الله ألا يُدخلنا سبحانه وتعالى في هذه الأمور التي فيها متشابهة أو التي فيها شك؛ ولذلك قالوا {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً}؛ فارحمنا ألا ندخل أي باب من هذه الأبواب التي تعتبر جحيم في الدنيا.

{إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} يعني مؤمنين بأن الله عز وجل هو الوهاب الذي يهب لمن يشاء الرحمة.

عرفنا أن الرحمة عدم الدخول في الفتن.

الآية (٩) هم طلبوا، أم قررُوا، أم ماذا فعلوا؟

تقرير، ماذا يتضمن؟ بالمطابقة هو إقرار، يعتبر اعتراف.

{رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}

{رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ} فهب لنا في ذاك اليوم من لدنك رحمة، والرحمة ستكون بهذا معناها الجنة؛ لأن الجنة تُعتبر رحمة الله، يعني إذا جمعت الناس في ذاك اليوم فارحمنا فيه، وأعطنا ما وعدتنا.

ماذا وعد الله المؤمنون؟ وعد المغفرة، وعد الجنة.

فالجمله ظاهرها تقرير متضمنة التوسل لله، يعني اعترفوا بيوم القيامة واعترفهم هذا يريدون من ورائه أن يعطيهم الله ما وعدهم في

ذاك اليوم؛ وهذا سؤال كان لازم يأتي في الذهن لأنهم قالوا {رَبَّنَا إِنَّكَ
جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}

ماذا يريدون؟ يريدون الرحمة

واضح الكلام عن أولي الألباب، تذكري صفاتهم

- أنهم راسخون في العلم؛ يعني عندهم، علم وراسخون فيه.
- ويقولون آمنا به كل من عند ربنا؛ يعني مؤمنون بما نزل من
عند رب العالمين

- وما اتكلوا على رسوخهم في العلم وقالوا خلاص نحن فاهمين
ومتعلمين ومتأكدين؛ وهل أنا ممكن بعد هذا العلم كله يأتي في
قلبي أي شبهة؟! فما قالوا هذا؛ وإنما قالوا ربنا لا تزغ قلوبنا
بعد إذ هديتنا؛ فعلموا أن الرسوخ في العلم إنما جاء من نعمة
الله، والبقاء على هذا الرسوخ ما يكون إلا من الله.

الآيات (١٠-١٣) الصنف الثاني

سيأتينا الآن ضدّهم:

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠) كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (١)

(١) [سورة آل عمران ١٠-١١]

أول ملاحظة تلاحظونها أنه ما في حرف عطف بين هذه الآية والآية السابقة؛ دليل على انفصال المعنى هذا عن المعنى السابق، يعني لا يمكن يُعطف الذين كفروا على الذين آمنوا.

وهذا يشبه ماذا؟

يشبه سورة البقرة:

{أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (١)

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (٢)

كلام آخر تماماً منفصل؛ فما في حرف عطف.

أيضاً نلاحظ أشياء كثيرة لا تُعد في المقارنة بين هذا الجزء والسابق:

نبداً بأهم صفة جعلت الراسخين في العلم لما يطلبون ويسألون الهداية؛ يسألون الثبات على الهداية..

أهم صفة واضحة في الآيات القادمة بالعكس؛ يعني لماذا هؤلاء مع رسوخهم في العلم، ما قالوا "يارب وسع علينا الدنيا، وزوّجنا ونشتري"، بل قالوا {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا}.

فلماذا ما طلبوا أشياء أخرى؟

ستظهر العلة من الصنف الثاني:

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا}

(١) [سورة البقرة ٥]

(٢) [سورة البقرة ٦]

يعني الذين كفروا **ماذا كان شاغلهم؟** أموالهم وأولادهم، يعني شاغلهم الدنيا، ولذلك سعيهم كله وراء الدنيا، ولو طلبوا يطلبوا الدنيا.

كما قرأنا في سورة البقرة {فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ} (١) ؛ فكل همه الدنيا.

أما الثاني قال {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (٢)

ثم لما تمشي في البقرة تسمعي {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (٣)

ثم تسمعين عن صنف رابع {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} (٤)

فكري في هذا الصنف الأخير، وفكري في الراسخين في العلم، وفكري في الذين كفروا.

الراسخون في العلم كان ماذا شاغلهم؟

(١) [البقرة: ٢٠٠]

(٢) [البقرة: ٢٠١]

(٣) [البقرة: ٢٠٤]

(٤) [البقرة: ٢٠٧]

شاغلهم الثبات؛ يعني مشغولين عن الدنيا بالثبات، فيصير هؤلاء الذين سمعت عنهم في سورة البقرة أنهم **يشرون يعني يبيعون الحياة الدنيا، ويشتروا بدلا عنها الآخرة، هؤلاء هم أولوا الألباب** يعني الذين عندهم لب وعقل يتركون الدنيا، ويحافظون على شأن الآخرة. إذا معنى هذا أن علة الكافرين، ومعهم ضعفاء الإيمان ومعهم المنافقين هي **انشغالهم بالدنيا.**

إذا هذا أول وصف نفهمه بالمقارنة: أن أولي الألباب (الراسخين في العلم) ما حالتهم؟ منشغلون بشأن الآخرة وراضون بما قُسم لهم في الدنيا، لذلك لما يدعون يكون شاغلهم الهداية.

ونؤكد عليكم أن هذا ما معناه أنك ما تطلبين الدنيا بالدعاء؛ لأن من قال **{رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}** كان ممدوحًا.

فلما نأتي نطلب الترقى فما نقفز ونحن نطلب الترقى، بل لازم نزداد علما وبقينا حتى يأتينا شيئا من الرسوخ في العلم، حتى تكون الدنيا ضئيلة، وتقل مكانتها.

المشكلة أنه لما يضعف اليقين بالعلم، اليقين بحقيقة الدنيا، فيجري الإنسان عليها حتى سؤاله لرب العالمين، يكون على هذا الشيء المحسوس.

وسأقول لكم قصة:

لما جئت يوم عاشوراء وفطرتهم هنا، وفطروا الصغار هنا، وعلى السفرة قيل لهم هيا ادعوا؛ فقالوا " يارب يؤذن المغرب!" ما رأيك في هذا الدعاء؟ هو كان سيؤذن وما يحتاج تدعي، لكن خلاص هذا تفكيرهم، الذي يأتي بسرعة؛ في أشياء كثيرة من طلباتنا، سترجعين وتضحكين عليها، وهي كانت آتية آتية، وكان في أهم منها..

فأولوا الأبواب عندهم عقول سليمة، عرفوا ماذا يقولون:

{ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ } عندهم هذا اليقين، عارفين يوم لا ريب فيه هذا هو القضية

في مقابل الذين كفروا:

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ }

يعني كانوا منشغلين بالأموال والأولاد. **هذه الصفة الأولى.**

إذا أهم سبب جعل أولي الأبواب هكذا، هو مكانة الدنيا عندهم أو مكانة الآخرة عندهم ومعرفتهم حقيقة الدنيا، وحقيقة الآخرة.

وانظروا لآية (١٤) سيأتي في السياق وتفهمين أن مشكلتنا الأساسية الشهوات، وأنها زُينت واختبرنا بتزيين الشهوات؛ فصاحب اللب لا يغتر بالشهوات.

ولذلك اقرئي في السياق آية (١٥) ليتبين المعنى: {قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا} ماذا خير من ذلك؟ أول شيء {عِنْدَ رَبِّهِمْ} يعني لهم {عِنْدَ رَبِّهِمْ} هذه هي البشرية أنكم ستتركون الدنيا ؛ لكم عند ربكم، وهذا يذكر بـ {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ} (١)

فأول الشيء العندية وهذا أول النعيم أن يكونوا عند ربهم {جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ}

الآن أولوا الأبواب أهم ميزة فيهم، أنهم قدموا شأن الآخرة على الدنيا، وواضح جدا عندما قالوا: {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ} ثم يأتينا الأمر الثاني:

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} كفروا اسم أم فعل؟ يعني فعل قاموا به؛ الآن نحلل الفعل الذي قاموا به لنفرق بينهم وبين أولي الأبواب.

الذين كفروا وأولوا الأبواب قبل أن يصلوا لهذه النقطة التي تفصل بينهم؛ كان كلهم عندهم عقول، وفطر سوية، وآيات كونية؛ فكلهم عندهم نفس المواد التي توصلهم إلى الحق؛ عندنا ثلاث مواد توصل للحق:

١- الفطرة السوية التي خلقنا عليها داخل نفوسنا

(١) [سورة آل عمران ٩]

٢- والآيات الكونية التي هي حولنا

٣- والرسالات.

فهذه ثلاث مواد الوصول للحق.

الفطر السوية، والآيات الكونية هذه كاملة تامة عند الناس كلهم،
ويزيد عليها إرسال الرسل؛ قد لا يصل لبعض الناس إرسال الرسل،
لكن العاملين الأولين عند الناس كلهم.

لذلك لما تفكرين في قصة أصحاب الكهف تفهمين هذا المعنى؛ أن
الفطرة السوية، والآيات الكونية أوصلتهم لهذه الحال أي الإيمان.
على كل حال هؤلاء قبل أن يصلوا أن يكونوا راسخين في العلم، وقبل
أن يصل هؤلاء أن يكونوا كافرين، كلهم عندهم نفس أدوات الوصول
للحق.

دعونا نرى سير من وصل في الأخير أنهم كانوا راسخين في العلم: **ماذا
فعلوا بلهم وعقلهم؟** انتفعوا منه، يأخذون ويدخلون على عقلهم
ويستعملونه.

الطرف الثاني الله يقول { **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا** } يعني فعلوا فعل الكفر؛
الكفر في أصله، أصل الكلمة معناها التغطية، يعني هذا قلبه وعقله
مكانه، وهذه الآيات الكونية حوله، وهذا قلبه يقول له: "لابد للفعل
من فاعل، ولابد من شكر من أحسن إليك"؛ فيأتي للحقائق حوله
يغطيها، ويأتي لقلبه يغطيه ويستتره.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} فعل يعني مستمرين

● غطوا الأسئلة الفطرية من جهة: من أنا؟ من أكون؟ لماذا أنا موجود؟ كل هذه أسئلة فطرية غطوها

● ويأتون لدلالات الآيات الكونية حولهم ويغطونها.

يغطونها وبماذا يشتغلون؟ يشتغلون بأموالهم وأولادهم.

أولوا الأبواب ماذا فعلوا؟ أولوا الأبواب أتوا إلى عقولهم وانتفعوا بها، واستفادوا من الآيات الكونية حولهم، واستفادوا من الأسئلة الفطرية التي في داخلهم، ووصلوا إلى الحق، وكل يوم يزيد عليهم؛ يزدادوا يقيناً، يعني كل يوم يقرؤون نصاً من النصوص يزدادوا يقيناً.

مثلاً احكي لكم اليوم نصاً، وغداً اقرأ لكم نصاً، فكل يوم النص من القرآن أو السنة ماذا يفعل لكم؟ يزيدكم إيماناً.

مثلاً اضرب لكم مثال: لما تُصلين جماعة وتلبسين حذاءً، أين سنضع أحذيتنا؟ في الدواليب بالخارج؛ طيب نفترض هذه الطريقة ماهي موجودة، خصوصاً الناس الذين يدخلون الحرم، أو يخافون عليها من السرقة.

هل في الشريعة شيء؛ هل هناك خبراً أتى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه أين نضع أحذيتنا؟

الجواب: **نعم**، فقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بوضع أحدىنا بين أقدامنا^(١)، فلما تقفين تصلين ضعي حذاءك بين قدميك، ولا تضعيه على شمالك، ولا على يمينك، ولا وراءك؛ ولا أمامك، لأنه سيكون في أحد يصلي؛ يعني حتى أين تضعين حذاءك وصفته الشريعة؛ فهذا كل يوم تسمعينه، تسمعينه، فتفهمين أن الشريعة أتت إلى تفاصيل التفاصيل ووصفتها لك.

والنبي صلى الله عليه وسلم يبين لنا أننا ممنوع أن نؤذي المصلين من حولنا.

جاءت الشريعة تقول بالتفصيل: لا تؤذوا طيرا، لا تؤذوا أرضا.

فحتى الأرض التي تمشي عليها، فالشريعة أمرتك ألا تؤذيها

تذكرون آيات سورة الفرقان {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى

الْأَرْضِ هَوْنًا}^(٢) يعني حتى الأرض ما تتأذى منهم؛ فالشريعة أمرتهم أن

يكونوا بهذا الشأن، ولا تمشوا وما يسلم منكم أحدا!

يعني فكروا نحن ماشيين مستقيمين على شريعة أتت غاية في

الاستقامة، غاية في وصف التفاصيل؛ لازم يهرك مثل هذا؛ فكل يوم

تسمع نصا يزيدك يقينا.

(١) ((إذا صلى أحدكم فخلع نعليه فلا يؤذ بهما أحداً ليجعلهما بين رجليه أو ليصل فيهما)) رواه أبو داود في سننه.

(٢) [سورة الفرقان ٦٣]

أما الجماعة الآخريين تأتي لهم بالنصوص، لكنهم وضعوا ساتر، وكلما يأتيهم نصاً يردونه {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني لازال الشأن مستمر، كلما جاءهم النص الذي يلزمهم بالحق يردونه.

لماذا يردونه؟ لأنهم لو التزموا به، واستقاموا عليه، ستذهب أشياء كثيرة من شهواتهم، فيقدمون شهواتهم على الاستقامة. فهذا جزء من المقارنة / يعني قارنا بين أمرين:

١- بين الكافرين والراسخين في العلم الذين هم أصحاب الألباب في

عنايتهم؛ يعتنون بماذا؟

كيف أن هؤلاء عندهم شأن الآخرة مقدم على شأن الدنيا وكيف أن هؤلاء عندهم شأن الدنيا مقدم على الآخرة.

٢- قارنا في استقبالهم للحقائق:

• **الراسخون في العلم** أصبحوا راسخين في العلم لأنه كلما أتاهم نصاً يزيدهم يقيناً وانهاراً وإحساساً بكمال هذا الدين.

• **الكافرين** كلما أتاهم نصاً يصدونه، يصدونه، يصدونه، حتى تعودت نفوسهم على عدم الإيمان.

ويأتي وراء المقارنتين، مقارنات كثيرة تفصيلية.

لا تنسوا أبداً بعد ما تقرؤون أن الراسخين في العلم يقولون {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} مباشرة

تنتقلين إلى صفة الكافرين؛ وكيف الفرق الكبير بين اهتمامات
الراسخين، وبين اهتمامات الكافرين.

الراسخين أهم شيء عندهم {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ
هَدَيْتَنَا}

الكافرين أهم شيء عندهم أموالهم وأولادهم فقيل لهم
{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا}

الآن ستسمعين الشيء الذي خاف منه الراسخون {وَأَوْلِيكَ هُمْ وَقُودُ
النَّارِ}

والذين كفروا مثل من؟ أول كلمة ستقولونها الكاف
{كَدَّابٍ} كدأب يعني: هؤلاء مثال؛ مثال لأي شيء على أن {إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا}
يعني يأتي أحد يقول لك " لا تقول إن هذا ملياردير وما في فرق بيني
وبينه! فأكيد أنه عايش حياته، وأنه أكيد في أحسن حال!"
نقول له: "هل في أحسن من فرعون عزة وسلطة.. الخ؟"
لا، ما في أكثر منه كمثال عالمي، ووصل الحال أن يقول: "أنا ربكم
الأعلى" من كثرة امتداد سيطرته وقوته! لكن انظري في النهاية هل أغني
عنه ماله وولده وجنده؟! لا.

فلازم تفهمين أن هذا الكتاب العظيم يريك نهاية الأشياء.
ضعي بدل فرعون هنا من أردت من أشخاص أو دول أو منظمات.. الخ،
وسترين نهايته، فالكتاب يصف لكِ نهايات البدايات التي تريها.
لو كنتِ مؤمنة بالغيب، مؤمنة بالله، حتى لو متِ وهذه النهايات ما
حصلت، فستلقين الله وأنت متيقنة أن هذه النهايات ستحصل؛ أهم
شيء لا تباتوا ليلتكم، إلا وأنتم متيقنين أن فرعون أهلكه الله ولم يغنِ
عنه ماله وولده، وكل أحد مثل فرعون سيحصل له نفس النتيجة؛
عشتِ ورأيتِ الحمد لله؛ متِ قبل أن تري؛ سيخرج هذا الاعتقاد عند
ربنا في ميزان حسناتك؛ فهذا الشيء لازم نعرفه؛ أننا ونحن نقرأ الكتاب
حتى الذي لا نراه بعيننا؛ لازم نكون واثقين أن هذه هي الحقيقة وأنها
ستكون.

والصغار ما عاشوا الشيوعية، وكيف كانت تلك الشيوعية الحمراء
التي أخذت الناس بالحديد والنار، وارتفعت على الخلق، حتى أنهم من
أجل أن يبنوا طريقًا في منطقة قطبية ثلجية في طريق سيبيريا؛ كان من
الصعب جدًا الوصول لها، استعبدوا الناس وبنوه، ومات في هذا
الطريق مليون إنسان لأجل أن يشقوه؛ هذه هي الشيوعية الحمراء!
فالآن هذا الجيل ما يعرف الشيوعية الحمراء، ولا يدري عنها أي خبر؛
ولا يعرف كيف وصلت؟ وأين كانت؟ وهي عن قريب كانت.

فكل الذي ترونه اليوم شيئاً عظيماً {لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا
أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً} لازم تعرفون هذا الأمر، ول لازم أن تباتوا عاقدين
في قلوبكم الثقة في هذا؛ أن كل هؤلاء الذين كفروا، وتجبروا سيذهبون
{لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ
النَّارِ}

اقرئي لنا آية ١١ جملة، جملة، فكروا في الكاف {كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ
العِقَابِ} (١)

{كَذَّابٍ} يعني مثل {آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}
{كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} هذا فعلهم {فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ} وهذا فعل الله
{وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} وهذا وصف الله.

{كَذَّابٍ} فيها معنيين

الدأب المقصود به: كسنة

في الآية خبر عن سنتين:

١- سنة أهل الأموال الكافرين.

٢- سنة الله فيهم.

فاقرئي الآية بهذا المعنى:

(١) [سورة آل عمران ١١]

✓ {كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} هذه

سنة أهل الأموال الكافرين.

✓ {فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} هذه سنة الله

فيهم.

فصارت {كَذَّابٍ} تصلح للمعنيين: كسنة الله مع هؤلاء وكسنة هؤلاء

مع رسلهم.

سيأتيك الآن خطاب لك أنت لتكون متيقنة:

{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} (١)

{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا} وهم في قوتهم أم في ضعفهم؟ في قوتهم أكيد.

المعنى: يا أيها المؤمن كن على يقين أن أهل الكفر سيُغلبون ويُحشرون

إلى جهنم.

طيب أنت الآن ترينهم يتقلبون في البلاد! في آخر آل عمران قال الله {لَا

يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ} (٢).

👉 يعني الآن لما عرفتِ {أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ

أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا}

(١) [سورة آل عمران ١٢]

(٢) [سورة آل عمران ١٩٦]

أتى مثلاً عليهم {كَدَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} 

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ {

بعد هذا الله عز وجل أمر أهل الإيمان أن يقولوا لأهل 

الكفر {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ} وَبئسَ

المهادُ

طيب هم الآن في قوتهم وعزهم.. كيف ستُغلبون وتُحشرون؟! **طيب**

تأتي الآية بعدها التي هي أيضا مثل للآية التي قبلها {قَدْ كَانَ لَكُمْ

آيَةٌ فِي فِتْنَةِ التَّقَاتِ فِئَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ

مِثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً

لِأُولِي الْأَبْصَارِ} (١)

{قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ التَّقَاتِ} قد كان لكم آية كيف أن أهل الكفر

ولو كانوا أهل قوة سيُغلبون.

ثم نرى الفئة الأولى {فِئَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} النبي ﷺ وأصحابه في

بدر.

{وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ} أي قريش {يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ} يعني يرى

المؤمنون الكافرين أنهم ضعفهم {مِثْلِهِمْ} يعني ضعفهم.

{رَأَىٰ الْعَيْنُ} يعني ليست أخبار أتهم؛ بل إنهم أمامهم، ورأوهم رأى

العين أنهم ضعفهم، ثم ماذا حصل؟ {وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ}

(١) [سورة آل عمران ١٣]

أُكِيدُ أَنْ جَعَلَ اللَّهُ النِّصْرَةَ وَالْغَلْبَةَ لِلْفِتْنَةِ الَّتِي تَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَغْمَ
أَنَّ الْفِتْنَةَ الثَّانِيَةَ أَكْثَرُ

فَبِمَاذَا عُلِّلَ أَنْ فِتْنَةً أَقْلَ تَغْلِبُ فِتْنَةً أَكْثَرَ؟ الْجَوَابُ {وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ
مَنْ يَشَاءُ} وَخُتِمَتِ الْآيَةُ؟ {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ}
فَالَّذِي عِنْدَهُ بَصَرٌ سَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ
اللَّهِ شَيْئًا.

إِذَا الْمَعْنَى بَدَأَ مِنْ آيَةِ (١٠) وَوَصَلَ إِلَى آيَةِ (١٣).

إِذَا كَانَ أَوْلَا الْأَلْبَابِ مَعْتَنِينَ بِشَأْنِ الْآخِرَةِ، فَالْكَافِرُونَ مَعْتَنُونَ بِشَأْنِ
الدُّنْيَا، لَكِنْ {لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا}، وَفِي
الْآخِرَةِ {وَأَوْلِيكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ}.

👉 وَفِي الدُّنْيَا سَيُغْلِبُونَ لَكِنْ مِنْ مَنْ سَيُغْلِبُونَ؟ مِنْ فِتْنَةٍ تَقَاتَلُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مِنْ فِتْنَةٍ فِيهَا الرَّاسِخُونَ، مِنْ فِتْنَةٍ فِيهَا أَوْلَا الْأَلْبَابِ؛
يَعْنِي لَا يُغْلِبُونَ لِأَنَّكُمْ أَنْتُمْ اسْمُكُمْ مُسْلِمُونَ.. لا؛ بَلْ سَيُغْلِبُونَ لَمَّا
أَنْتُمْ تَكُونُونَ أَوْلَا الْأَلْبَابِ، وَلَمَّا أَنْتُمْ تَأْتُونَ بِجِيلٍ رُبِّيٍّ عَلَى الْإِيمَانِ
وَالْيَقِينِ، لَمَّا الْجِيلُ يَكُونُ مَتَأَكَّدُ بِ {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ
وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ} مِنْ جِيلٍ لَيْسَ مَهْزُومًا نَفْسِيًّا، يَعْنِي مَا
يَصْلَحُ يَنْتَصِرُ حَرْبِيًّا وَهُوَ مَهْزُومٌ نَفْسِيًّا، بَلْ لِأَنَّ الْمُنْتَصِرَ
حَرْبِيًّا مَعْتَزُ بِقِيمِهِ، وَلَيْسَ هَذَا الَّذِي يَقْلُدُ هَذَا وَهَذَا، بَلْ لِأَنَّ هُوَ
بِنَفْسِهِ يَكُونُ مَعْتَزُ بِقِيمِهِ؛ اللَّهُ يَرْزُقُنَا الْإِعْتِرَازَ بِالْقِيمِ.. اللَّهُمَّ آمِينَ.

اللقاء الثالث من آية ١٤ - ١٨

٢٨ محرم ١٤٤١ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله؛ نكمل ما بدأناه في دراسة سورة آل عمران. وكنا قد قررنا فيما سبق أن القرآن في هذه السورة وُصف بأنه محكم، ومتشابه.

في غير هذه السورة وصف القرآن بأنه كله محكم، وكله متشابه ✓ من أدلة ذلك آية سورة هود {كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ} ^(١) هذا في الإحكام.

✓ في التشابه آية {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} ^(٢) ولما أتينا عند التشابه قلنا إن هذا القرآن يشبه بعضه بعضًا في الحسن والبلاغة، ويصدق بعضه بعضًا، وكيف لما تقرئين القصة الواحدة في القرآن، تجددين هذه القصة في كل موطن تؤيد الموطن الآخر وتزيده بيانًا.

(١) [سورة هود ١]

(٢) [سورة الزمزم ٢٣].

ومن هنا كان سؤالنا: مواطن ذكر عصا موسى عليه السلام،
وتحولها إلى حية، واتفقنا ستجمعون في القرآن كيف عبّر عن هذه

المسألة؟

الإجابة:

أنت بثلاثة ألفاظ: ثعبان، حية، جان
كل واحدة لها معناها، ولما تجمعينها معاً يكتمل المعنى.

كل منهم لها معناها

١- **الثعبان**: هو ذكر الحية؛ يعني ضخم وكبير، هذا أكبر وصف

للحيات أن يقال عنها ثعبان

٢- **الحية**: هذا اسمها المميز لها.

٣- **جان**: هذا وصف للحية شديدة السرعة.

فهذه الثلاثة أوصاف، يعني الثلاثة الأسماء أتت بصورة كاملة للحية
التي تحولت إليها العصا.

فكيف دخل الرعب لفرعون؟ من عظمتها وضخامتها (من كلمة
ثعبان)، وسرعة حركتها (من كلمة جان).

ففهمنا أنه لا تناقض في القصة، والمقصود التكامل بحيث يصبح
عندك صورة كاملة، واعتبري هذا في كل شيء ورد في القرآن؛ لما تجدين
القصة هنا عبّرت بلفظ ثم هنا بلفظ آخر ثم هنا عبّرت بلفظ ثالث؛ ما

المطلوب منك؟ نفس الطريقة التي اتبعناها؛ أفهم معنى كل كلمة ثم أكيد جمعها تعطيني صورة كاملة.

لماذا وردت هنا بهذا اللفظ، وهنا بهذا اللفظ؟ هذا أمر متقدم - لماذا في سورة طه أتت بهذه الصورة؟ لماذا في الأعراف أتت بهذه الصورة؟ هذا أمر متقدم في البحث لكن في النهاية ستجدين جواباً أيضاً. فهذا دليل على أن القرآن متشابه؛ يشبه بعضه بعضاً، وما فيه تناقض أبداً، إنما صور متعددة لتكتمل الصورة في ذهنك، من تصور كل المواطن.

يعني لو الشيطان مر عليك في ذهنك أثناء تلاوتك للقرآن؛ كأن في اختلاف وتضاد بين الكلام هنا والكلام هنا.. ماذا ستقولين؟ {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} يشبه بعضه في الحسن والكمال وتصديق الأخبار، فما يقع في نفسك أي شك؛ فأني نقص في المعلومة فهذا نقص علم، وأي إشكال يطرأ على ذهنك فهذا نقص علم، لأنك أنت ناقصك علم، والمطلوب منك ترى ما ينقصك من علم وتتعلم.

نعود لسورة آل عمران

بعدما تكلمنا عن الراسخين في العلم، تكلمنا مباشرة عن ضد الراسخين في العلم، هم الذين كفروا، وتبين وصف الكافرين أنهم لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً..

إِذَا مَا مُشْكَلَةُ الذِّين كَفَرُوا؟ انشغالهم بأموالهم وأولادهم.
في مقابل هذا ارجعوا مرة أخرى للراشخين في العلم، لما ترون دعاءهم؛
تعرفون ما الذي شاغلهم؛ الذي شاغلهم شأن الآخرة.
إِذَا الناس واحد من حالتين لا ثالث لهما:

١- إما مشغولين بالدنيا

٢- أو مشغولين بالآخرة، وما في حالة في الوسط.

تقولين طبيعي أن أعيش في الدنيا! نقول تعيشين في الدنيا هذا هو
السر الآن، تعيشين في الدنيا، غير تنشغلين بها، وتكون غاية آمالك
حتى تجدي نفسك ما تسعين إلا لتبرزي في الدنيا، وتكون لك مكانة في
الدنيا، وتحصلي شيئاً في الدنيا!

تعيشين في الدنيا لكن ليس لأجل الدنيا؛ لأن الدنيا حقيرة، وما تستحق
أن تُصرف فيها الأعمار، إنما الذي يريد أن يهلك نفسه هو الذي
يُصرف قوته في الدنيا.. **لماذا؟** لأن الدنيا محدودة معاشها، ضيقة
مكانها؛ يعني الذي سيصير رئيساً في أي مكان لازم يكون واحد، والذي
سيصير غنياً ويكسب لازم يكون معه أعداد محدودة؛ هذا هنا في
الدنيا، فلما تدخلين في منافسة في الدنيا؛ يعني لو نقول مائة ألف
يتنافسون على منصب لن يصل منهم إلا واحد، والباقي هؤلاء
سيكونون قد انطحنوا طحنا، وتألّموا ألماً ثم خرجوا خسرانين! وواحد
فقط يكسب؛ هذا في الدنيا..

أما في شأن الآخرة فالجميع مَرَضِيٌّ، راضٍ، ولذلك يُنادَى على هذه النفس، كما في سورة الفجر

{ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً } (١)

الجميع يكونون راضين، والجميع لهم من المنازل والأماكن ما يكون فيها السعادة والهناء.

ولهذا قال رب العالمين { وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ } (٢)

المهم سنخرج بتقرير مهم هنا:

أن من أسباب إهلاك النفس وضيقها واكتئابها؛ أن يكون مقصود الإنسان التنافس في الدنيا؛ لأنه في النهاية الدنيا **محدودة الموارد، ضيقة المكان**، وما يكون للإنسان إلا ما قد كتبه الله في الأقدار.

محدودة الموارد يعني الله خلقها بهذه الصورة أشياءها محددة؛ فمهما وصلت لشيء في الدنيا فلازال أمرا ضيقا، لكن الله عزّ وجل نادى الخلق وأمرهم بأن يسارعوا ويسابقوا إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

على كل حال كل هذا الذي اتفقنا عليه ليس معناه أنك ما تعيشين في الدنيا، بل لازم تعيشين في الدنيا، لكن سيتبين في الآيات الآن كيف أعيش في الدنيا.

(١) [سورة الفجر ٢٧-٢٨].

(٢) [المطففين: ٢٦].

الراسخون في العلم شاغلهم الآخرة، بدليل لما دعوا قالوا:
{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ}

بعدين يفكرون في ماذا؟ في الآخرة {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ
فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} هذا الذي يفكرون فيه؛ في اليوم الذي لا
ريب فيه، وهو الذي سيحكم تصرفاتهم، الآن سيتبين لنا أحوالهم

تابع شرح المقدمة (١-١٧)

{زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أُوْنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ
ذَلِكَ ۗ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦)
الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ
(١٧) شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۗ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا

اختلفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ {^(١)

الآن فيما مضى تبين لنا حال الراسخين في العلم، أولي الالباب، أهل العقول السليمة، وتبين لنا حال الذين كفروا المغطيين للحقائق غير المنتفعين بعقولهم، وعرفنا أن الرابط بين هؤلاء الاثنين موقفهم من الدنيا؛ أي اختلفوا وتميّزوا بسبب موقفهم من الدنيا.

ثم تبين لنا أن الله عزّ وجل قد أوعد الكافرين النار {وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ
النَّارِ}

وضرب لنا أمثلة:

المثال الأول: فرعون {كَذَّابٍ آلٍ فِرْعَوْنٍ}

والمثال الثاني: قريش في بدر.

هذا مثالان دالان على أن الله أوعدهم النار

علة الانشغال بالدنيا والآيات والتقوى سببا للنجاة (١٤-١٧)

الآن ما علتهم؟ ما وقع من تزيين الدنيا لهم، ففي الآية (١٤) تبين العلة التي تسبب للإنسان الالتئام بالدنيا والكفر.

والعلة هي حب الشهوات {زِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ}، ثم عُدت هذه الشهوات من النساء والبنين؛ إذ المعدود هو الشهوات التي ابتلي

(١) [سورة آل عمران ١٤-١٩]

الناس بحبها؛ من ذلك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة إشارة إلى الأموال.

معنى ذلك أن هذه الأمور التي ذُكرت في الآية، قد وقع غريزياً في النفوس حبها بلا علة.

بمعنى الآن لو أتينا نرحب الناس للذهب والفضة:

الذهب والفضة عبارة عن معادن؛ إذا لماذا لم يحبوا الحديد أو النحاس؟! لأن الناس ما أعطوها قيمة إلا لأنهم قد ابتلوا بجعل لها مكانة؛ يعني الذهب والفضة وُضع في القلب لها مكانة من الخلقة عن غيرها.

فعندما يضعونها في التصانيف يضعونها من ضمن المعادن؛ وفيه معادن كثيرة غيرها، لكن هذين المعدنين (الذهب والفضة) من أن خلق الله الخليقة إلى أن تقوم الساعة وهما بالنسبة للناس لهم قيمتهم..

وما عندنا تعليل لهذا إلا أنه قد زُين للناس هذا الشأن.

لما نأتي لما قبل ذلك (النساء)؛ أكيد يُقصد بتزيين النساء للرجال، فقد زُين النساء في أعين الرجال والنساء بالنسبة للرجال سبب من أسباب الشهوات؛ فتأتي تقول أنا لست جميلة، ولوني ليس كذا، وطولي ليس مناسب، وعرضي كذا ولا أحد ينظر لي!

فما الجواب؟ الجواب: مثلما قلنا على المعادن أن هذا ابتلاء - لا نقول: فطرة، لكن نقول: "تزيين للشهوات في طبع الناس" يعني ما تخرج امرأة

عن كونها سبب في الشهوة بالنسبة للرجل؛ فما يأتي أحد ويخرج نفسه من هذه الدائرة، وتقول ما في الشيء الذي يفعل وما يحصل! فمثلما أنت ليس عندك تعليل أن الناس ابتلوا بالشهوات في الذهب والفضة فمثله في المرأة؛ بمعنى أن هذا شأن عام. من أجل ذلك أتت الشريعة للذهب والفضة ووضعت قوانين؛ وضعت محذورات؛ وضعت فيه زكاة وضعت فيه طريقة للبيع والشراء؛ لأن في النفس لها شهوة؛ فما يصح بيع الذهب بالذهب، وما يصح كذا وما يصح كذا؛ حتى هناك أحكام للمناجم، وهل هي بوضع اليد أم بكذا.. بكل التفاصيل في الفقه الإسلامي.

كذلك المرأة التي هي أحد الشهوات الخطيرة التي ابتدأت الآية بها فوضعت لها قوانين في العلاقة بها ووضعت لها طرق للحماية: **من أهمها على الإطلاق الحجاب؛ بحيث المرأة تبقى عفيفة مستورة لا تنالها يد المشتري؛** لأن الطرف الثاني أيًا كان حاله اسمه داخل تحت المشتري لأنه **{زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ}**

أي واحد واقف أمام الذهب رجلٌ كان أو امرأة سيكون في قلبه حب الذهب؛ فالمرأة لتتزين به؛ والرجل ليتاجر به؛ فهذا موقف الناس أمام الذهب.

أمام النساء فما موقف الرجل؟ المرأة مكان للشهوة، سواء كانت صغيرة، أو كبيرة، طويلة، أو قصيرة فما عنده مشكله، كلٌّ على حسب

ما ابتلي به في نفسه؛ فأنت الشريعة ووضعت قوانين، ثم صانت هذه المرأة من شهوة هذا الرجل.

فلما تنظرين للحجاب، تنظرين له على أساس أنه من فضل الله علينا، لأنه بمثابة الحاجز عن الشهوة التي من الطرف الثاني؛ وما ينال هذه الشهوة إلا بالقوانين الشرعية، مثل ما ينال الذهب والفضة لا ينالها إلا بالقوانين الشرعية.

فلازم نعرف أن في أمور ما ندركها بعقلنا؛ فما نأتي ونقول: "ما الذي جعله ينظر لهذه! وماذا فيها من جمال! ولماذا يحصل كذا!"

الجواب واضح في الآية أن الناس ابتلوا بتزيين الشهوات في نفوسهم؛ وهذه بلوى ما تستطيع تفسيرها كما أنك ما تستطيع تفسير لماذا النساء شديدي الحرص على الذهب؟ شديدي الحرص على الفضة والاهتمام بها؟ ويشعرون كلما ادخرت مال اشترت به ذهب وفضة. فهذه النظرية مالها تفسير!! متوارثة منذ القدم؛ فتفسيرها أننا ابتلينا بتزيين هذا الشيء في نفوسنا، فإذا فهمت هذا فقيسي عليه حال الرجل مع المرأة، وافهمي أن الشريعة وضعت للذهب وللفضة قوانين في التعامل؛ كذلك وضعت للتعامل مع المرأة قوانين بحيث أنه ما يحق للرجل أو المرأة الهجوم على الذهب أو على الفضة وسرقتها وأخذها من المناجم ما يجوز حرام.

أعظم من ذلك ما يجوز للرجل الاتصال بالمرأة إلا بالطريقة الشرعية.

والمرأة ماذا وُضع لها؟

حجاب يمنع الرجل من الهجوم عليها؛ مثلما يخبئون الذهب والفضة في أماكن ويخافون عليها، فأغلى منها بناتنا؛ أغلى من الذهب والفضة، بل الرجل يفتدي عرضه زوجته وبناته وأولاده بالمال؛ يعني -الله يحفظنا كلنا، وما نتعرض كلنا لموقف مثل هذا- إذا هجم سارق وفي البيت أعراض وبناتنا؛ فيفتدي الرجل بماله أهل بيته وما يهم المال الآن، لكن المهم أعراضنا تبقى محفوظة؛ لأن الرجل رب البيت إذا ما استطاع أن يحمي عرضه، ما استطاع أن يرفع رأسه أبدا.

ولذلك من أعظم الآثام التي ممكن ترتكها النساء، أن يدنسوا أعراضهم فيكسروا رؤوس آبائهم.

وكم من رجال ماتوا قهراً بسبب أنه حصل من أعراضهم ما حصل. فكل هذا الشريعة راعته، وبينت أنت مُبتلى بهذا، والرجل مُبتلى بهذا؛ وطبعا الرجال ليصلوا للمرأة بطريقة غير شرعية مثل المحتالين الذين يصلون إلى الذهب بالاحتيال؛ فيكذب وهي مسكينة تصدق هذا الكلام ويخطفها ويخلص منها شهوته ثم يرميها؛ مثلما يحتال الرجل على صاحب الذهب ويسرق منه

هذا كله بسبب ماذا؟ لماذا يكذب ويدور ويحتال ويصبر؟!

هذا كله لأنه مبتلى بالشهوة.

وهذا يفسر لك لماذا يبذل كل هذا البذل؛ ليصل إلى هذا، وهو في هذه الشهوة يكفيه أحياناً النظرة يكفيه، يكفيه الكلمة، أحياناً الابتسامة يكفيه، أحياناً الاهتمام يكفيه، أحياناً الالتفات يكفيه.

مثلاً تذهب المرأة أمام الذهب وتدور وتدور؛ هل عندك فلوس تشتري؟ لا: ما عندي! لماذا تدورين إذاً؟ لتشبع عينها، وتقول لعل لو عندي فلوس سأذهب واشتري، فهي تتمتع لما تنظر عينها..

فتصوري أنتم كيف مع الذهب، فأنتم يا بناتي أغلى من الذهب. ولهذا الشريعة بدأت بهذا، وقدمت النساء على الذهب والفضة والخيول والقناطير المقنطرة؛ لأن التعامل مع النساء من أجله يُبذل الأموال؛ فالمال ليس مهماً بالنسبة للرجال إلا لأجل هذه الشهوة التي هي الأولى.

فلذلك قال الله أول شيء **{زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ}** ثم البنين الذين يأتون من وراء هؤلاء النساء ثم القناطير والذهب والفضة كله من أجل أن يصلوا إلى النساء.

فصارت هي قمة الشهوات **ولهذا هي كانت قمة ما حُفظ في الشريعة.** ولذا قُرر المهر، وقُرر الخطبة، وقُرر الولي وقُرر هذا كله، حتى لا يصل إليها إلا وهي عزيزة غالية عند أهلها، وعند هذا الرجل.

على كل حال فهمنا كيف الناس ممكن يسارعون للشهوات؛ لأنهم ابتلوا بتزيينها، ومن ذلك الخيل المسومة، والأنعام، والحرث.

الله عز وجل بعد أن بيّن أن الناس قد زين لهم الشهوات في هذا أشار إلى هذا كله فقال **{ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}** فكل هذا الذي مضى مجرد متاع.

في مقابله لنرجع لأولي الألباب الراسخين في العلم **{وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}** يعني حسن المآب عند الله مقابل متاع الحياة الدنيا.

ثم أتت الآية التالية تزيد الأمر بيانا **{قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ}** **{ذَلِكُمْ}** إشارة إلى كل ما ذكر سابقا من الشهوات؛ معناه أن الله يخبرك أنت أيها الإنسان بخير من ماذا؟ مما مضى من الشهوات. **هذا سيكون لمن الذي خير من ذلكم؟ {لِلَّذِينَ اتَّقَوْا}** فهؤلاء أهل الربح بهذا الخير.

فلا تنسي ما الذي يخرج الناس من شهواتهم؟ ما الذي يخرجهم من الخسارة؟ **التقوى.**

إذا ما الفرق بين الراسخين في العلم أولي الالباب، وبين الذين كفروا؟ التقوى.

معنى ذلك أن أولي الألباب اتقوا فنَجَّوا، والكافرين تركوا التقوى فأقبلوا على الشهوات؛ فكانت النتيجة **{وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ}**

ما هو الخير من ذلكم للذين اتقوا؟

١- **أولاً: {عِنْدَ رَبِّهِمْ}** يكفهم أنه سيكون هذا الخير عند ربهم؛ ابتدأت الآية بالعندية يعني معنى ذلك سيكون لهم فضل عظيم بأن يكونوا **{عِنْدَ رَبِّهِمْ}** في مقعد صدق عند مليك مقتدر هذه الإشارة الأولى.

٢- ثم ثانياً: **{جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}**

ولازم تعرفين أن هذه ميزة عظيمة عجيبة؛ لأن الأنهار لا تبقى إلا بالماء، والماء في الدنيا ما يجري من تحتها وإنما يجري فوقها؛ فكل مرة تسمعين فيها **{جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}** فلازم تتعجبين! في الدنيا تجري الأنهار من فوق الجنات، أما عند رب العالمين تجري الأنهار من تحت الجنات.

الجنات تأتي معها الأنهار دليل بقاء حياتها خضراء، تامة الحياة؛ ما دام هناك ماء بالنسبة للجنات يكون هذا دليل على تمام حياة الجنات؛ وأما جريانها من تحتها فهي آية عجيبة.

لكن نحن من كثرة ما تعودنا قراءة تجري من تحتها الأنهار ما صرنا مستوعبين أنه في شيء مميز مع أننا نعرف أن الأنهار تجري من فوق الأرض؛ لكن في جنات النعيم الأنهار تجري من تحت الأرض

٣- {خَالِدِينَ فِيهَا} وهذه أيضا ميزة مُميزة وهي الخلود؛ مميزة لسببين:

• خلود الإنسان

• وخلود الجنات.

فالجنات في الدنيا مثال للموت السريع، في ثلاثة أمثلة ضُربت في القرآن: مثل الله فيها الدنيا؛ مُثلت بالزرع، بالجنات وكيف أنه سريع الانقضاء.

انظري هنا هم خالدين في الجنات التي تجري من تحتها الأنهار؛ معناه هم خالدين والجنات خالدة؛ وهذه ميزة لا تكون أبداً إلا في جنات عدن.

أما في جنات الدنيا الأنهار من الأعلى، والخلود لا يكون للجنة أبداً؛ بل لازم تمر عليها كل الفصول الأربعة، أي جنة أو بستان في الدنيا لازم يمر عليه الفصول الأربعة ولازم يأتيه الخريف وتتساقط الأوراق ثم لما يعود الربيع تعود فتزدهر، لكن جنات النعيم ميزتها الناس خالدين فيها، وهي ستبقى خالدة أيضاً.

٤- {وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ} إشارة لما سبق {زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ}

٥- {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ} وهذا أعظم العطية لهؤلاء الذين قالوا {رَبَّنَا

لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً} فأتت

الرحمة الآن وهي الرضوان.

{وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} ما مناسبة ختم هذه الآية؟

{قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا} التقوى أين تكون؟ في

القلب، وماذا يناسبها؟ أن الله بصير بالعباد وبصير بما في قلوبهم.

فأهل التقوى يقابلها أهل النفاق أو أهل الرياء، التقوى يمكن أن تكون دعوى لكن الله بصير بالعباد.

يعني ما في كذب على الله ولا خداع لرب العالمين أبدا؛ فهذا المنصب والمكان ليس إلا للأتقياء حقا.

هل الأتقياء هم الذين ما يخطئون أبدا؟ لا

• يجاهد نفسه ويبذل جهده ومشغول عقله أنه يسير على الصراط المستقيم.

• وإذا أخطأ-يمكن أن يُخطئ - ما ييأس من روح الله، بل باب التوبة مفتوح.

إذا جمع بين أمرين: (الاجتهاد والجهاد).

اجتهد أسير على الصراط المستقيم وأجاهد. هذا رقم (١)

رقم (٢): الخطأ وارد؛ لأن وصفك أنك إنسان وما أنت كامل العلم، ولا كامل القدرة، ولا كامل الإرادة؛ فلأزم يصير خطأ.

فالأصل أن أجتهد وأجاهد؛ فإذا حصل الخطأ أتوب وأستغفر.
هذا كله يعتمد على ما في قلبك من إرادات؛ فلأزم يكون أصل إرادتك
أنك تريد السير على الصراط المستقيم.
الآن سيوصف هؤلاء الذين اتقوا بما يؤيد هذا المعنى، وكيف هذه
الأوصاف تأتي بالأمرين:

● الجد والاجتهاد في الجهاد.

● والتوبة والاستغفار.

١- {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا} وهذا الجزء الأول: وهو الاجتهاد في

الجهاد..

كيف الإيمان فيه جهاد؟ الإيمان ماذا يفعل في النفس؟ الإيمان
كيف يأتي بالجهاد؟

ما هو الإيمان؟ التصديق الجازم بأركان الإيمان.

إذا ما معناه واقعياً؟ أن تكون مؤمناً يعني تكون غاية في اليقين؛ اليقين
الذي يجعل صورة الآخرة أمام عينيك؛ فالإنسان المؤمن يرى الآخرة
أمام عينيه.

نضرب مثلاً: الآن سأتصور سور الوقف، ولما تخرجون لسور الوقف
تتكلّموا بصوت عالي وتعيشون حياتكم العادية، وكل شيء وتمرون
بدون عباياتكم؛ لأن سور الوقف مبني من طوب؛ فأنتم متأكدين أن

الذي وراء السور لا يراكم، تصوروا لو هذا السور أصبح زجاجاً شفافاً؛ فهل ستكون حركتكم مثل حركتكم وهو طوب؟ الجواب: لا.. السبب أنكم سترون ما وراءه، وما ورائه هو من الأول موجود ورائه سواء أكان من طوب أو زجاج لكن أنت الذي اختلف شعورك بهذه الحقائق.

لماذا لما كان من طوب ما كنت متحفظة؛ ولما صار زجاج تحفظت؛ لأنه لما صار زجاج صار كأن عينك تراه، كأنه وصل إلى مشاعرك وأحسست به؛ مجرد الإحساس به جعلك تتحفظين وتتجيبين، لأنك عارفة أن وراء هذا الناس يرونك؛ لأنك رأيتهم تأكدت أنهم يرونك.

خلينا نمثل بهذه الصورة علاقتنا بالغيب: الله في السماء يقيناً، ينظر إلى الخلق يقيناً، وينظر إلى قلبك يقيناً؛ في كل وقت يقيناً؛ هذه الحقيقة إذا كان الإنسان قوي الإيمان فكأن بينه وبينها زجاج؛ يرى الحقيقة من وراء الزجاج؛ فسيكون متحفظ مؤدب، يعرف قلبه أين يتحرك.

وإذا كان ضعيف الإيمان فيصير كأن بينه وبين الحقيقة كالطوب.. فالحقيقة موجودة لكن الفرق شعور القلب بها؛ فمعنى ذلك قوي الإيمان ما حالته؟ يشعر بماذا؟

المؤمن قوي الإيمان يشعر بالحقائق الغيبية كأنه يراها.

وضعيف الإيمان؟ لا يشعر بالحقائق الغيبية شعورا تاما؛ هي معلومة عنده، لأنني لو سألتك والسور مبني من طوب هل في سيارات بالخارج؟ ستقولين نعم، في رجال بالخارج؟ أكيد نعم؛ فأنت تعرفين الحقائق. ففي فرق بين أن تعرفي الحقائق وتُقرِّي بها وهذا أصل الإيمان وبين تشعري بالحقائق وهذا قوة الإيمان.

وكلما زاد شعورك بالحقائق كلما كان إيمانك أقوى.

فهؤلاء {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنا آمَنَّا} يعني إيمانهم يقيني جعلهم يشعرون بالحقائق الغيبية، وهي كل ما تتصورينه من عظمة الله، من أن لقاء الله سيكون، من الجنات، من النعيم، من العذاب، من الصراط، من وجود الملائكة، من نزولها، من كتابتها على اليمين، من كتابتها على الشمال، من أنها تجلس معك في مجلس الذكر، من أنها تبسط لك أجنحتها وأنت خارجة من البيت طالبة للعلم؛ فكلما زاد الإيمان كلما زادت المشاعر.

لكن أين المشكلة؟

إن الناس يعتقدون أن مشاعرهم من حقهم ويصرفونها أينما أرادوا، وكل يوم يحبون شيئا جديدا؛ فيوم يحبون ساعتهم، ويوم يحبون شنطهم، ويوم يحبون صاحباتهم، وهل من مزيد!

فرأسمالهم وهي المشاعر ماذا يصير لها؟ تتوزع ثم لما يأتي مكانها الصحيح فيجد الإنسان نفسه ما عنده رأس مال.

لكن في المقابل هؤلاء تركوا الشهوات وما أعطوها المشاعر، وحافظوا على مشاعرهم، فقالوا **{رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا}**؛ تصوروا اللقاء؛ فلما تصوره آمنا وبذلنا جهودنا نتيجة هذا الإيمان، واجتهدنا ما استطعنا. لكن عارفين أننا أكيد نخطئ فقالوا **{فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}**

فانجمع الأمرين:

١- يجتهدون في الجهاد.

٢- وإذا أخطأوا يطلبون المغفرة.

وهم متصورون مع قوة إيمانهم أنهم مقصرون في حق رب العالمين، ولذلك مباشرة قالوا **{فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}** فالفاء لها سرها؛ يعني رتبت ما بعدها على ما قبلها.. نكمل معا ما صفاتهم:

فعرفنا أنهم آمنوا، وأن هذا الإيمان أورثهم طلب المغفرة؛ والخوف والشعور بالحقائق.

فالإنسان يعبد مهما عبد إذا آمن بالله حق الإيمان وعرف ما بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فأكيد أنه سيجد نفسه مقصرًا في شكر رب العالمين، وسيجد نفسه في لحظات كثيرة عاجزًا عن شكره؛ لأنه متقلب في نعمائه؛ فما له في هذا الموقف إلا أن يقول **{ءَامِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا}**

فالفاء هذه تدل على شعورهم الشديد بالتقصير؛ فجعلوا الاعتراف بالإيمان سُلماً لطلب المغفرة.

وهذا سيأتينا بعد ذلك لما نتكلم عن المجاهدين في سبيل الله، وكيف أنهم في حال جهادهم رغبتهم أن يغفر الله لهم؛ وهذا كله من قوة إيمانهم، فما يقولون أدخلنا جناتك، وأعطينا، بل يقولون فاغفر لنا؛ **فقوة الإيمان أورثتهم تعظيم الرحمن والشعور بالتقصير في عبادة الله**؛ فجعلوا الإيمان سُلماً في طلب المغفرة، يعني خلاص لو غفرت لنا حُلّت كل المشاكل وانتهى الامر؛ وهذه الحقيقة فإذا غفر الله عزوجل للعبد التقصير فخلاص حُلّت كل مشاكله.

حتى في الدنيا لما تضيق الدنيا عليكم؛ فما في حل حقيقي وسريع إلا أن تطلب المغفرة من رب العالمين، وتلزمي الاستغفار؛ فإذا لزمَتِ الاستغفار زالت العوائق بين العبد وبين الفلاح؛ وبين العبد وبين النجاح لكن بشرط أن يكون هذا ناتج الإيمان وما هو ناتج أنك تريد المصلحة؛ يعني ما تستغفرين لأجل أن ربنا يعطيك. لا؛ بل تستغفرين لأنك تعرفين أن لو رضي رب العالمين حُلّت كل الأمور؛ فأنت مقصدك رضا رب العالمين.

لماذا تعسر على الإنسان الأمور؟ وأحيانا يضيق عليه صدره بدون سبب؟

لأجل أن يعود لرب العالمين ويطلب المغفرة؛ فإذا غفر الله رضي الله،
وإذا رضي الله خلاص كل شيء أحسن ما يكون، وكل الأمور تيسر،
وحتى الذي كنت ترينه قبيحًا أو ترينه عسيرًا أو ترينه ليس في
مصلحتك؛ فبسبب الاستغفار وانسراح الصدر عينك ترى شيئًا آخر
وهو نفس القدر.

فأعظم آمال المؤمنين مغفرة رب العالمين.

وسنرى هؤلاء المؤمنين ماذا بهم من صفات؟

{الصَّابِرِينَ} هذه أول صفة، وأهم صفة لتأتي بالتقوى؛

فالتقوى ما معناها؟ تأتيني شهوة فأمتنع عنها؛ الآن أول صفة لتصيري
قوية أمام الشهوة، وليس كلما دعاك داعٍ تجري عليها وتقولي فرصة وما
أجد مثلها! فالشيطان يفعل هذا بالناس؛ يحضر لهم الشهوات
ويُشعرهم أنها فرصة ولن تكرر

فأول صفة؛ أول قيمة لازم تكون ضخمة كقاعدة في نفسك وبها
تنتصرين على الشهوات، أن تكوني صابرة.

الصبر ضده العجلة، والغضب، والتهور. فلا تقولي لنفسك أنا
عصبية فماذا أفعل؟! هي نفسك التي بين جنبيك تحت يدك؛ فهل
تترك نفسك كلما حزنت أو شيء أزعجك ما يكون عندك إلا الصوت
العالي والصراخ؟! فيصير ما عندك صبر.

والذي ما عنده صبر على الأمور اليسيرة فبعيد عن النجاح؛ حتى في الحياة الدنيا بعيد عنه النجاح؛

تصوري تريدان أن تنجزى أى عمل، وكلما فتحت باب من المشاريع تقولى لنفسك مالى نفس!!

فلو تنتظرين يكون لك نفس، لن يكون هناك نتيجة، ولا تنجحين فى أى مجال.

فلازم الصبر؛ فأعظم قيمة يعيش فيها الإنسان الصبر، فهذا هو قاعدة كل القيم.

فعلى الفلسفات اليوم التى يتكلمون عنها: النجاح، الشخصية الناجحة؛ كل هذا الكلام هذه هى أهم قيمة؛ أن تكون صابراً.

ولا تنتظر كل المصائب تنزل عليك لتصير صابراً، فالصبر هنا ليس المقصود به وقت نزول المصيبة؛ لكن المقصود تحكمن نفسك بالصبر، فلا تركيها تأمرك وتهاك؛ تتصبرى لتقومي الفجر، وتتصبرى لتصلي الوتر قبل ما تنامي، وتتصبرى لتصلي السنن، وتتصبرى لتصومي الإثنين والخميس؛ تتصبرى وتأمريها وهي تقول (لا) وتزعجك وأنت تأمريها "ستلتزمين أيتها النفس ستلتزمين" فأنت الأمرة لنفسك، وليست هي على هواك تأتي بك وتذهب بك.

لذلك الناس الذين يأتون ويذهبون على حسب نفسهم يصبحون الصباح يبتسمون لنا ويسلمون علينا ويحبوننا؛ ثم غداً بسم الله

الرحمن الرحيم ولا كأننا نعرفهم ولا يعرفونا! ثم تقول لك أنا ما كان لي نفس! يعني أنا أقعد على نفسك وقت ما يكون لك نفس تسلي عليّ، ووقت ما يكون لك نفس ما تسلي عليّ! فتكون النتيجة أن خلاص وقت ما تسلي عليّ ما أرد عليك السلام! وهذا الذي يصير مقابل ردة فعلك الطبيعية التي تساوي فعلك؛ لكن أنت تصبر فهذا له حقوق تعطيه حقوقه، وهذا له حق السلام فتعطيه حق السلام، وهذا له حق التبسم تعطيه حق التبسم، وما تجلس في الكرسي مسكين لا تقدر، وما تفهم ماذا حاصل!

فهذا كله لأن الصبر ناقصنا؛ فما فيه شيء ممدوح ولا أحد وصل إلى نجاح حتى عند أهل الدنيا وصل لنجاح إلا لما كان صابراً.

فأهم قيمة لأهل التقوى، بل لأهل الدنيا هي الصبر.

فهذه القيمة أس وأساس التقوى.

{**وَالصَّادِقِينَ**} أما هذه فهي من أصعب الأشياء حقيقة؛ فهي تلحق الصبر في الصعوبة؛ والمقصود هنا بالصدق- وأنتم معلوم عندكم الصدق مع الناس أن ننقل أخبار صادقة، وما نتكلم مع الناس إلا بالصدق – لكن هنا المعنى أعلى من هذا المعنى وهو أن تكون صادقاً مع الله.

وهذه الكلمة سهلة على اللسان لكن لكي تقع حقيقةً فهي والله من أصعب الأمور، والإنسان لما يكون أكثر ذكاءً، وأكثر حيلةً فهذا أقرب أن يكون كاذبًا على الله وعلى نفسه، للأسف لأن الذكاء والحيلة تجعل الإنسان يستطيع أن يُخرِّج نفسه من المواقف ويخرِّج نفسه من الأحوال، ويأتي لكل شيء بسبب ولكل تصرف يريد أن يتصرف بحيلة وتبرير لكذا وكذا!

فأنتم الآن لما تتصرفون أو تتكلمون أو تتخذون قرارات؛ فلا بد أن تراعوا أن الله ينظر إليكم فتقديرون أن تكذبي على الناس كلهم في سبب قرارك لكن الله بصير بالعباد؛ فما في مجال أبدًا.

فلما أحد يقول لك **هذا ترك كذا من الدين لأنه قابل ناس مسلمين وأذوه!**

نقول لو كنت صادقاً، وتريد وجه الله وصادق في معاملتك مع الله فما يصلح منك هذا، **فالصادق مع الله يعرف يتخذ قراراته**، أنت تسربت من الدين لأنك تريد أن تتسرب من الدين، تريد أن تجري وراء الشهوات وأتيت لنفسك بأعذار؛ يأتون لأنفسهم بأعذار؛ هذا يقول لك قابلت ناس من الإسلام وكرهوني في الإسلام! وهذا يقول أنا دعوت ربنا وما استجاب لي!

فكل هؤلاء كاذبون في دعواهم؛ بمعنى أنهم أرادوا شأنًا واعتذروا لهذا الشأن بأعذار كاذبة؛ لكن الله بصير بالعباد.

إذًا القيمة الأولى صابرين؛ والثانية صادقين خاصة في معاملتهم مع الله، ولا تنسوا الصادق هذا ما يضع قدمه في مكان إلا وهو مُقدم عذره لرب العالمين، لماذا ذهبت هنا؟ ولماذا فعلت هذا الفعل؟ ولماذا اتخذت هذا القرار؟ ولماذا مشيت هذا الطريق؟ ولماذا أنت تحفظ القرآن؟ ولماذا مجتهد في حل تكليفك؟ ولماذا لست مجتهد في حل تكليفك؟ أي تصرف تتصرفه فلزم تعرف أنك تعدّ لكل سؤال جواب، وعند الله ما في كذب، الحقائق تظهر.

{وَالْقَانِتِينَ} ما معناها؟ القانت هو دائم الطاعة؛ وهنا المعنى أن هذا ملازم للاستقامة..

ضد أن يكون قانتا، ملازمًا للاستقامة؟ **ضدها فاسقًا.**

ما صورة الفاسق؟ الفاسق الخارج عن الطاعة هذا ضد القانت الملازم للطاعة.

لكن في واحد آخر **يعتبر ضد القانت وهو الذي يعبد الله على حرف؛** فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه.

فالقانت ملازم للطاعة؛ أُعطي مراده فالحمد لله، ما أُعطي مراده فالحمد لله؛ هو باق يصلي، وبقا يصوم، لكن لا يصلي لينجح، أو يصلي قيام الليل عند الاختبارات، ثم إذا لم تكن النتيجة التي يريدتها خلاص يوقف، أو حتى لو أتت النتيجة التي يريدتها، فخلاص خلص

غرضه انتهى الموضوع! فهذا خلاف للكانت الملازم للطاعة وانظري للنبي صلى الله عليه وسلم خير مثال حتى أنه لما كان صلى الله عليه وسلم يشرع في عبادة فما كان يتركها بعد ذلك أبدا وتبقى من سنته أن يفعلها.

ولذلك خشي النبي ﷺ لما صلى التراويح أن تُفرض لأنها في حقه كانت بمنزلة الواجب من شدة التزامه بقيام الليل.

{وَالْمُنْفِقِينَ} وهذا من المؤكد أنها من قيم المتقين؛ ومفهومٌ معناه؛ أي شيء عندك ستنفق منه؛ عندك علم ستنفق منه، عندك مال ستنفق منه، عندك قدرة على الإصلاح بين الناس ستنفق منها؛ فما أعطاك الله ستنفق منه.

الإنفاق يقصد به **الشعور بعطية الله وبذلها في سبيل الله**؛ يعني أي شيء أعطاك الله إياه والناس بحاجة إليه فلازم تشعر أن ربنا أعطاك وتبذل به.

فنفترض أنك أنتِ الأخت الكبيرة وإخوانك الصغار بحاجة لرعاية، بحاجة إلى عطية واهتمام؛ فلا تأتِ تقولين أنا دائماً أعطي، وأنا دائماً أسوي لهم! ربنا أعطاك سعة صدر وقوة على العطاء وبيت واسع؛ فأنتِ تجمعين الإخوان وتقربين بينهم، ولا تقولي كل مرة عليّ، فالمنفق يعطي ما استطاع بدون ما يفكر في غيره، ولا تقولي ربنا أعطاهم كمان!

فالله أعطاك انشراح الصدر؛ فالبيت الضيق لما يكون أهله منشرحين
الصدر يصبح واسع؛ السعة في الصدور وليست في الدور.
فالمقصود بالإنفاق هنا؛ عندك كلمة طيبة أنفقيها؛ كلكم تقدروا
تتبسّموا، وتبسمك في وجه أخيك صدقة، فالناس أُعطوا ما
يستطيعون أن ينفقوا منه إلا أن الناس لا يقدرّون نعمة الله؛ وهنا
الأزمة.

هناك كثير من النساء عندها قدرة تتكلم ساعة متصلة؛ فلو صار فيه
قوة في حفظ أحاديث الإصلاح، وحفظ أحاديث الود، والنصوص التي
تذهب بها بين اثنين متخاصمين وتصلحين بينهما، فاليوم القضية أننا
نحتاج واحد عنده انشراح في الصدر يتحمل أن يتكلم ليصلح بين
الطرفين.

فلو عندك ستنفقين مما عندك، المهم أن نعرف ماذا أعطانا الله
لندخل في باب المنفقين، أحيانا تقابلون أحدا لا يحسن قراءة الفاتحة
فمن الإنفاق أن تعلميه، ما يعرف ما هي أذكار الصباح والمساء، ما
يعرف ماذا يقول بعد الصلاة، علميه؛ هذا من الإنفاق، فالحمد لله
الذي وسّع باب الإنفاق سعة لا تخطر على البال، لكن الأبواب العباد
يجهلونها أو ينسونها وإلا تبسمك في وجه أخيك صدقة هذا من الانفاق
في سبيل الله .

{وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} ملاحظين كيف المغفرة متكررة؟

في الآية التي قبلها {فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا} (١)، وفي مطلع السورة {رَبَّنَا لَا تُزِغْ

قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} (٢)

ففي مطلع السورة دعاء الراسخين في العلم حاملين همّ الذنوب وخائفين من آثارها؛ لذا تجددين أنه من صفاتهم أنهم مستغفرين بالأسحار.

وكما ذكر الحسن البصري عن المستغفرين بالأسحار: (هم قوم امتدت صلاتهم بالليل فإذا جاء السحر استغفروا) يعني إشارة لقيام الليل أيضا.

فصار عندنا في الأصل خمس صفات، خمس قيم

١- الصبر قيمة.

٢- الصدق قيمة.

٣- القنوت قيمة.

٤- الإنفاق قيمة.

٥- الخوف من الذنوب قيمة الذي يأتي بالاستغفار وقيام الليل.

بهذا نكون انتهينا من المقدمة ١٧ آية تبين لنا فيها:

(١) [سورة آل عمران: ١٦]

(٢) [سورة آل عمران: ٨]

- الصنفين: أولي الألباب الذين عندهم عقول، ويقابلها الكافرين
 - والفرق بينهما التقوى؛ **تقوى ماذا؟** تقوى الشهوات.
 - **ما هي الصفات التي لو كانت في الإنسان كان تقيًا؟**
- الصبر. الصدق مع الله. لزوم الطاعة. الإنفاق مما وهب له. الخوف الذي يُلزمه بالاستغفار.

المقصد الأول من السورة (١٨-١٢٠) مناقشة أهل الكتاب

نبدأ بالمقصد الأول من السورة:

{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (١)

{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} وهذه الجملة الأولى.

ونبدأ بمعنى {شَهِدَ اللَّهُ}؛ ولنفهم شهادة الله نرجع **لاسم الله المؤمن** الذي ورد مرة واحدة في القرآن في سورة الحشر ومعناه يدور حول:

١- المصدِّق.

٢- المؤمن.

هنا الأقرب لنا المعنى الأول وهو المصدق.

(١) [سورة آل عمران ١٨]

المصدق معناه مثلما في سورة يوسف {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} (١)

يعني ما أنت بمصدق لنا أن الذئب أكل يوسف ولو كنا صادقين؛ فيصير كلمة مؤمن في اللغة بمعنى مصدق.

ما معنى مصدق بالنسبة لله؟

- ١- مصدقٌ لنفسه بما أظهر من آيات وحُجج دالة على أنه لا إله إلا هو.
- ٢- مصدقٌ لرسله بما أظهر من آيات دالة على أنهم مرسلون.
- ٣- مصدقٌ لعباده المؤمنين ما وعدهم؛ ففي الدنيا وعدنا الله بوعود إذا فعلت كذا يفعل الله لك كذا {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} (٢)
- ، {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} (٣)، {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} (٤) فهذه كلها اسمها وعود الله؛ فإذا أنت مؤمنة أن الله مؤمن فأنت متيقنة إن شكرت سيأتيك المزيد.

الآن انظري للآية وانظري أي من هذه الثلاثة معاني مناسب؟
{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}

(١) [يوسف: ١٧]

(٢) [الطلاق: ٢]

(٣) [غافر: ٦٠]

(٤) [إبراهيم: ٧]

الله عز وجل شهد أنه لا إله إلا هو بما أظهر من آيات وأدلة على ذلك؛
{شَهِدَ اللَّهُ} يعني أشهد خلقه.

المعنى الثاني للمؤمن: **مُؤْمِنٌ لِعِبَادِهِ جَمِيعًا فِي الدُّنْيَا** من المخاوف؛
فالناس كلهم مُؤْمِنِينَ أن ينقص عليهم الهواء أو الماء وحتى في الأماكن
التي فيها مجاعات إلا وتأتي أرزاق الله، وفي الآخرة **التَّامِينَ لِعِبَادِهِ**
المؤمنين.

اللقاء الرابع من آية ١٨ - ٢٧

٤ صفر ١٤٤١ هـ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله؛ نبدأ مباشرة من مكان ما توقفنا الأسبوع الماضي عند الآية (١٨)

وكنا قد توقفنا عند أول جملة في الآية وقلنا معنى {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} سنتذكر هنا اسم المؤمن ومعنى شهادة الله عزوجل لنفسه يعني إشهاده لخلقه.

ما معنى اسم المؤمن؟

يدور حول معنيين أساسيين:

• المصدّق

• والمؤمّن.

معنى المصدّق مثل قوله تعالى في سورة يوسف {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} ما أنت بمصدق لنا.

والمعنى الثاني المؤمّن كما في سورة قريش {الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ} آمنهم من خوف، من مؤمن.

والآية هنا المعنى دائر حول المصدق:

والمصدق دائر حول ثلاثة معاني:

١- مصدق لنفسه بما أظهره من الآيات والأدلة والحُجج الدالة على صدق ما دعا إليه الرسل؛ يعني الدالة على صدق لا إله إلا الله.

٢- مصدق لرسله بما أنزل معهم من آيات بينات ومعجزات.

٣- مصدق لعباده المؤمنين ما وعدهم مثال على ذلك: **{لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}** **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}**

ونحن بالنسبة لنا في هذا الموطن:

هو المعنى الأول من المعنى الأول: يعني مؤمن أي مصدق لنفسه يعني أظهر الأدلة الدالة على صدق أنه لا إله إلا هو.

ما الأدلة الدالة على أن لا إله إلا الله؟

الآيات الكونية مع الفطرة السوية، فالآيات الكونية وحدها ما تدل أحد إلا لما هو بنفسه لما ينظر لها يعرف أن لها فاعل؛ إذا لا تقولي أبدًا الآيات الكونية وحدها؛ وإنما الآيات الكونية من طرف، والفطرة السوية من طرف.

فنحن عندنا ثلاث طرق توصل الى الحق:

١- الآيات الكونية.

٢- الفطرة السوية.

٣- رسالة الرسل.

هذه الثلاثة تدل على الله، وكل الناس عمومًا يتوفر عندهم الاثنان (الآيات الكونية والفطرة السوية) ثم ناس ربنا يرزقهم أن يكون عندهم الرسل.

طيب ذكروني بسورة تقرؤونها كل أسبوع فيها مثل على من اجتمعت لهم هاتان الطريقتان؟ **أصحاب الكهف**.
ما في إشارة إلى أن هناك رسول قد أتاهم، يعني كأنهم في مرحلة فترة من الرسل.

فكيف وصلوا للحق؟ بالآيات الكونية، والفطرة السوية.

فالآيات الكونية والفطرة السوية معًا توصل الإنسان لمجمل الإيمان، ثم تأتي الرسل والكتب تدل على تفصيل الإيمان.
هذا كلام لازم يكون واضح تمامًا، لأجل لما يأتي أحد يشوشك أن الناس ما بلغتهم الرسالة، فلازم تعرفين أن الله قد ركب في نفوسنا الفطر السوية، وجعل أماننا الآيات الكونية؛ والإثنين معًا توصل إلى الحق إجمالًا، لكن التفصيل لازم يكون عن طريق الرسل.
بهذا انتهينا من شهادة الله لنفسه.

نأتي الآن لشهادة الملائكة وأولي العلم:

مقدمة المقصد الأول (١٨-٣٢)

بيان معنى الإسلام

يقول تعالى:

{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (١)

هذه الآية فيها شهادة الله عز وجل وهي كافية، شهادة الله على أنه لا إله إلا هو، يعني لا يستحق العبودية إلا هو، ولو بدأت من عند الألوهية سأقول لا يستحق المحبة والتعظيم الكاملين التامين إلا هو ومن ثم لا يستحق العبادة إلا هو.

لا إله إلا هو: يعني (لا معبود بحق إلا الله)

يعني (لا معبود) ما علاقتها ب (لا إله)؟

أنت لازم تجيبها من أصل الكلمة، أي من حروفها؛ **أول شيء ستنفون ماذا؟ لا إله إلا الله:** يعني أنفي **تأليه** غير الله.

ما معنى تأليه الله؟ الألوهية جاءت من المحبة والتعظيم؛ يعني الإله هو الذي تأله القلوب؛ يعني تحبه غاية المحبة، وتعظمه غاية التعظيم.

السؤال: هل الناس كلها تؤله الله؟

لا؛ لأنهم ممكن يؤلّوها غير الله.

(١) [سورة آل عمران ١٨]

لو سألتك الآن عن الهندوس ماذا يؤلهون؟ البقرة هي إلههم، يعني يحبونها ويعظمونها، ومن يعبد بوذا؟ يؤلهوه يعني في قلوبهم له المحبة والتعظيم.

إذا الناس في الأرض ألّوا غير الله؛ والمؤمنون ألّوا الله.

ما معنى ألّوا الله؟ أحبوه وعظموه.

{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ} ^(١) يعني أهل السماء

يحبونه ويعظمونه، وأهل الأرض يحبونه ويعظمونه.

ومن أجل ألا تنسيها تذكري **الوله** أي شدة المحبة مع التعظيم.

الآن النفوس مبطورة على ماذا؟ على محبة الكامل؛ تحب وتعظم الكامل، والحقيقة أن لا كامل إلا الله.

فالآن الهندوس لما عبدوا البقرة، عبدوها لأنهم اعتقدوا أنها كاملة! والذي عبد بوذا اعتقد أنه كامل!

إذا بناءً على هذا الاعتقاد تحصل المحبة والتعظيم.

فكيف يعطوها هذه الصفة وهي تموت! وهي لا تسمع ولا تبصر! وهي

لا تنفع؟

إذا أكيد في مدخل آخر وهو مدخل الخرافة؛ يتوارثون خرافة، وقالوا: "وجدنا آباءنا على أمة"، وفي كلام لغاندي وهو يعتبر نموذج معاصر

(١) [الزخرف: ٨٤]

لحامل الهندوسية والمدافع عنها؛ لتتصوروا كيف يعظمون هذا البقر ويعتبرونه إلههم الذي يحبونه ويعظمونه.

كمان فيه فكرة ضروري تتصوروها وهي أن عندهم مبدأ حلول الإله في أشياء؛ يعني يقولون إن الإله يحل في بقرة، يحل في بوذا!!

فلما تسألهم لماذا تعبدون الفئران؟ فيقولوا الإله حل فيها!! هو شيء يقرف ودليل أنه ما في عقل- لكن لما تمر مثل هذه الصور عليك

تتصورين كيف الناس ينحرفون، وكيف اجتالهم الشياطين كما في الحديث «**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهِمْ، وَإِنَّهُمْ اتَّهَمُوا الشَّيَاطِينَ**

فَاجْتَالَتْهُمْ عَن دِينِهِمْ» (١)

اجتالهم: يعني جعلتهم مثل الكرة يتقاذفونها من أردى لأردى.

إذا وصلنا إلى أن الله هو إلهنا، الذي نحبه ونعظمه؛ لما له من صفات كمال.

السؤال الآن: **أين رأيت صفات الكمال؟** في أفعال الله.

اشرحي الآن لا إله إلا الله:

لا أوله: يعني لا أحب ولا أعظم على وجه الكمال إلا الله؛ لا يستحق

المحبة والتعظيم إلا الله.

(١) صحيح مسلم (٢٨٦٥)

ومن هنا نصل لكلمة لا معبود؛ فلما تجتمع المحبة والتعظيم أتى الذل الشريف للمحبوب المعظم؛ فصار الإنسان منكسرا أمام محبوبه الذي يعظمه، إذا حصل الذل إذا حصلت العبادة.

لأن العبادة ما هي؟

التذل لله؛ لذلك العرب تقول طريق معبد يعني طريق مذل. الآن عرفت أن الإله هو المحبوب المعظم، بالنسبة لك الإله هو الله، وغيرك قوم يؤلهوا غير الله.

فما هو الشيء الذي يكون في نفسنا ليكون هذا هو إلهنا؟

نحبه غاية المحبة، ونعظمه غاية التعظيم؛ فإذا اجتمعا هذان الاثنان بالطريقة الصحيحة يأتي الذل؛ **والذل هو بالضبط العبادة.** فإذا قلت (لا أحب ولا أعظم) على وجه التمام والكمال إلا الله؛ يعني احذني (لا أحب ولا أعظم) وضعي مكانها (لا أتذل)؛ وأتذل احذفها وتضعي مكانها (لا أتعبد).

إله ← محبة وتعظيم ← ذل ← عبادة.

بقي علينا كلمة في السياق نأتي بها المرة القادمة لأنك لما تفسري لا إله إلا الله، تقولين لا معبود بحق إلا الله؛ **فكيف أتى بكلمة بحق؟** هذا سؤال للأسبوع القادم.

السؤال الأول: في تفسير (لا إله إلا الله) نقول (لا معبود بحق إلا الله) كيف ظهرت (بحق) في معنى لا إله إلا الله؟ ابدؤوا الإجابة بمعنى لا النافية للجنس هذه بداية الإجابة.

السؤال الثاني: ما معنى شهادة الملائكة وأولي العلم؟ فابحثوا في هذين السؤالين.

انتهينا من آية (١٨) نبدأ بالآية التالية ونرى ارتباطها بالآية السابقة:

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ} وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ} فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا} وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ} وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (١)

الآن أول تنبيه:

أنا من آية (١٨-١٢٠) هذا المقصد الأول في السورة:

المقصد الأول هو: مناقشة أهل الكتاب، رد شبه النصارى.

الآن نبدأ نقسم هذا الجزء الطويل من السورة:

(١) [سورة آل عمران ١٩-٢٠]

يعني المقصد الأول سنناقش أهل الكتاب في معتقداتهم؛ المناقشة لها مقدمة وهي الآيات من (١٨-٣٢)

الاستسلام لله بالتوحيد (١٨-٢٢)

الآية (١٨) وأول (١٩) على ماذا تدل؟

• إذا ماذا تقول لنا آية ١٨؟ {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} الدين هو توحيد الله.

• الآية ١٩؟ {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} تدل على أن الدين عند الله الإسلام.

كيف أجمع بين الإثنين؟ إن الدين عند الله هو الإسلام، وأن الدين هو التوحيد

عرّفني الإسلام؟ إذا كان الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد؛ فعرفنا لماذا تابعت الآيتان؟

فالآية (١٨) تبين وتؤكد أن التوحيد هو الدين، والآية (١٩) تطلب منا الاستسلام لهذا الدين؛ **يعني المستسلم مستسماً لله بالتوحيد.**

فصار ما هو الدين؟ التوحيد.

والمستسلم لله بالتوحيد يصير هو صاحب الدين، إذاً الدين هو الاستسلام لله بالتوحيد.

سنرى الإسلام، الاستسلام ما هو الشيء الذي هو ضده؟

انظروا للآية:

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} ثم اقرئي بعدها مباشرة
{وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا
بَيْنَهُمْ} فأصبح ضد الإسلام الاختلاف!
يعني الناس نوعين:

• نوع استسلم لرب العالمين

• ونوع اختلف على الاستسلام.

تصوري الآن اليهود كما مر معنا كثيرا، وتناقشنا في سورة البقرة أن
اليهود أتوا فاستوطنوا المدينة، رغم أن ديارهم كانت الشام تركوها-
والشام خضراء وفيها ماء - فتركوها وأتوا سكنوا يثرب مع قلة الماء، ومع
أن هذه ليست أرضهم.. فما السبب؟ ماذا يعتقدون؟

أن في هذا المكان سيكون مهجر الرسول؛ هم يعرفون في نبوءاتهم أن
هذا المكان هو مهجر للرسول الذي سيخرج في آخر الزمان.

عوامهم غشّوهم علماءهم بأن هذا الرسول سيخرج منهم، لكن
علماءهم كانوا يعرفون أن الرسول لن يكون منهم؛ يعرفون تماما أن
الرسول ليس منهم وما هو يهودي؛ فعوامهم ظنوا أن الرسول منهم؛
فلما أتى الرسول فالعوام ما صدقوه، والعلماء يفهمون هذا!

طيب تصوري قوم جاءوا لهذا المكان لينتظروا الرسول؛ فالمفروض أول
ما يأتي الرسول فماذا يفعلون؟ يستسلمون له، ثم ينقادون وراءه.

لكن لما أتاهم الرسول ماذا فعلوا؟ **اختلفوا.**

ولذلك في القصة المشهورة قصة والد صفية رضي الله عنها وعمها - وكانت صفية صغيرة رضي الله عنها - وخرج والدها وعمها ليتأكدا من أنه الرسول أو لا، وهم من الأخبار، ولما تأكدا عادا في حالة من الغم الشديد! يعني أنت الآن لو تبحثين عن الحقيقة ثم وجدتها.. فهل تفرحين أم تنغمين؟ المفروض تفرحين، لكن هم حصل لهم غم شديد؛ فسأل العم الوالد: "ماذا سيكون موقفك؟" قال: "عداوته إلى الممات!" في مقابل العم كما ورد في بعض الأخبار أنه أسلم.

فتصوري الاثنان أخوان، وقابلوا الحقيقة، والاثنان على علم متقارب؛ فالمفروض الإثنان يستسلمان، لكن اختلفا مع وجود العلم. إذا الدين عند الله الإسلام؛ المفروض عندما تعرف الحق أن تستسلم له.

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} يعني معناه أن تستسلم لله بالتوحيد {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} يعني بعدما عرفوا الحق اختلفوا بدلا من الاستسلام. إذا هنا أمام كلمة الاستسلام في كلمة الاختلاف.

{بَغْيًا بَيْنَهُمْ} هذا سبب اختلافهم وعدم استسلامهم. ما معنى بغيا؟ أقرب كلمة تقولها في معنى بغيا: أي حسدا؛ والمعنى أكثر من هذه لكن أسهل شيء نقول إنهم كبرًا وحسدًا ردوا الحق.

هذا البغي والحسد كيف أظهر الاختلاف؟

هل يقولوا أنت جئت بالحق ونحن ما نبغاه منك؟ لا، إذاً ماذا يفعلون؟ كل الذي درسناه في سورة البقرة من أفعال اليهود، منها إلباسهم الأمور؛ يلبسون الحق بالباطل؛ ومنها أيضاً أنهم كانوا يُظهرون أنهم يريدون الحق، ويأتون يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الحق، ومنها أنهم يؤمنون أول النهار ويكفرون آخره حتى يشك الذين آمنوا في صدق ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم.

إذاً معنى ذلك أن اختلافهم هذا ليس التصريح برد ما عند النبي صلى الله عليه وسلم، لكنهم يظهرون أنهم يريدون الحق، ثم يجادلون وي طرحون على الحق شبهات بدلاً من الاستسلام.

ممکن يحصل اختلاف قبل ما يأتي العلم، لكن بعدما يأتي العلم فالأمر يكون واضحاً، ولا يمكن يكون هناك اختلافًا إلا بسبب البغي؛ أي بسبب الكبر على الحق، والحسد لأهله؛ مثل حال إبليس بعدما رأى تكريم الله لآدم واستحقاق آدم لهذا التكريم؛ ففي هذا الوقت ظهر بغيه وكبره وحسده.

{وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}

إذاً الاختلاف والرد والمجادلة والعناد كل هذا يعتبر كفر؛ يعني ضد الاستسلام سيكون الكفر.

ففي الأصل **ضد الاستسلام هو الاختلاف**، ثم هذا المختلِف حكمه أنه **كفر بالحق**.

{وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ} يعني تأتية الآيات بينات دالات على أن ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو الحق وكانوا المفروض يكونون مستسلمين للحق، لكن هم ردوا هذا الحق؛ سَتَرُوهُ. فمعنى الكفر: السِتر والتغطية؛ فالآيات بينات وهم يسترون ويغطون. {فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} وهذا تهديد لهم.

بقي علينا أن نؤكد على مسألة مهمة وهي معنى كلمة الإسلام:

تطلق كلمة الإسلام على ثلاثة معاني:

١- اسم لدين جميع الأنبياء: بمعنى الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله.

٢- الإسلام بمعنى دين النبي صلى الله عليه وسلم: يعني اسم عَلم

على دين النبي صلى الله عليه وسلم؛ **لماذا؟**

لأن اليهود انحازوا لاسم اليهودية؛ والنصارى بنفسيهم انحازوا لاسم النصارى؛ وبقي أهل الإسلام على الاسم الذي سمّاهم الله به؛ فكلهم المفروض أن يكون اسمهم مسلمين؛ لأنهم استسلموا لله بالتوحيد، وانقادوا لله بالطاعة، وخلصوا من الشرك وأهله؛ فالمفروض هذه حالتهم كلهم، لكن الذي حصل أن اليهود انحازوا لليهودية، والنصارى انحازوا للنصرانية وحصلت منهم الانحرافات؛ وبقي اسم الإسلام اسم عَلم على دين النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- المعنى الثالث: كما في حديث جبريل سيكون الإسلام يقابل الإيمان والإحسان؛ فنقول: الإسلام اسم خاص بمرتبة من مراتب الدين كما في حديث جبريل.

نبدأ آية (٢٠)

{فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۗ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۗ} (١)

{فَإِنْ حَاجُّوكَ} أول الأمر يكون من أهل الكتاب محاجة

ما معنى يحاجوه؟ الجدل في الحق.

ما باعثهم على ذلك؟ البغي جعلهم لا يستسلمون، وفي نفس الوقت يحاجون.

إذا ممكن ما يستسلم لأنه مصاب بالكبر والحسد؛ لكن هو لا يستسلم ويجادل ويشوش على الحق؛ يحاجون في صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهم عندهم علم بكل التفاصيل التي تتصورونها؛ عندهم علم حتى بصفات صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ يعرفون أين مهجره؟ ويعرفون صفاته الشخصية وصفاته البدنية، ويعرفون أصحابه وأوصافهم؛ كل هذا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، بحيث لو

(١) [سورة آل عمران ٢٠]

في جماعة كبيرة من الأطفال أو الشباب فأکید الأب ما یختلف علیه
أین ولده من هؤلاء؟ هم الآن لو رأوا النبی صلی الله علیه وسلم مع آلاف
الناس سيعرفونه ويمیزونه تمامًا، وليس هو فقط، بل أصحابه.
إذا ما حصل لهم الاختلاف إلا بعد ما جاءهم العلم؛ فعندهم علم،
وجاء النبی صلی الله علیه وسلم بالعلم؛ فالمفروض العلم الذي عندهم
یطابقونه بالعلم الذي معه صلی الله علیه وسلم فيتأكدون أنه رسول.
وقد قال النبی صلی الله علیه وسلم: «لَوْ آمَنَ بِي عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ،
لَأَمَنَ بِي الْيَهُودُ» (١).

يقصد عشرة من الذين كانوا معاصرين له؛ فحتى عشرة ما آمنوا من
أولئك القوم الكثير؛ إشارة إلى بغیهم؛ هم ما وقع منهم البغي وسكتوا،
بل خرجوا للنبي صلی الله علیه وسلم فحاجّوه.
فالخطاب الآن للنبي صلی الله علیه وسلم وكل من يصلح له الخطاب،
إن وقع وحاجّوك فأنت ماذا تقول؟
{فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ} إذا رجعنا لكلمة الإسلام؛ مستسلم لله كما
يأتي في الوحي، فأنا مأمور.
{وَمَنْ اتَّبَعَنِي} إذا هذا طريقي وطريق أتباعي؛ يعني قل لهم أنت بنفسك
أسلمت، وهذه طريقة أتباعي.

(١) صحيح البخاري (٣٩٤١)

{وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَاسَلَمْتُمْ} ثم يخاطب أهل الكتاب

ماذا يطلب منهم؟ يسألهم (أأسلمتم)؟

{فَإِنْ أَسَلَمُوا فَسَدِ اهْتَدَوْا}

يعني ما عندنا إلا خيارين:

١- {فَإِنْ أَسَلَمُوا فَسَدِ اهْتَدَوْا} الإسلام والاستسلام هو الهداية.

٢- {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ} وهذه الحالة الثانية أن يتولوا

فعلى النبي صلى الله وسلم البلاغ.

{وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} ليطمئن النبي صلى الله عليه وسلم أن ما عليه إلا

البلاغ والله بصير بالعباد.

إذا الآن نضع أرقام على الآية:

لو حصلت المحاجة {فَإِنْ حَاجُّوكَ} (الجملة الأولى في الآية) فماذا

سيفعل النبي صلى الله عليه وسلم ومن يصلح له الخطاب في

خطوات؟

• أولاً: عن نفسه يقول {أَسَلَمْتُ وَجِهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي}.

• ثانياً يخاطب هؤلاء المحاجين وغيرهم {أَسَلَمْتُمْ} فما لكم طريق

للنجاة إلا أن تسلموا أي أن تستسلموا لله بالتوحيد، وتنقادوا

لرسوله بالطاعة، وتبرؤوا من الشرك وأهله؛ إذا هذه خطوتان
مطلوب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعلهما لو حاجّوه.

ثم يبين لهم إذا أسلموا ما حالهم؟ وإذا ما أسلموا ما حالهم؟
{فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ}

لاحظي الفاء رتبت آية (٢٠) على آية (١٩)

ما العلاقة بين آية (٢٠) وآية (١٩)؟

آية (١٩) الكلام عن أهل الكتاب الذين اختلفوا {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ} ثم هؤلاء سيحصل منهم
المحاجة؛ يعني فإن حاجك أهل الكتاب.

نبدأ بآية (٢١) التقرير العام عن أحوال هؤلاء الذين يحصل منهم
البغي:

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَئِكَ
الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} (١)

(١) [سورة آل عمران ٢١-٢٢]

علقي آية (٢١-٢٢) بالآيات السابقة؛ **ما الكلمة التي تربط هذه الآيات**

بما قبلها؟

{**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**} في آية (٢١) مرتبطة بآية (١٩) {**وَمَنْ**
يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}

الآن ظهر ما هي تصرفات {**وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ**} في الآية (٢١) لهم ثلاثة
تصرفات:

١- يكفرون بآيات الله.

٢- يقتلون النبيين بغير حق.

بغير حق: صفة كاشفة يعني ما يأتي وقت أبدًا يكون قتل النبيين
بالحق؛ لكن المقصود بيان أن قتلهم للنبيين بغير حق تسمى صفة
كاشفة يعني يكشف صفة قاتلي النبيين.

مثلاً: تقولين دم المسلم حرام دائماً إلا إذا ارتكب كذا وكذا؛ إذا من
الكبائر قتل النفس المحرمة بغير حق؛ إذا في وقت يصير لهذه النفس
المحرمة حق أن تُقتل؛ بهذا تُبينين الحال الذي تُقتل فيه.

أما هنا ما في وقت يُقتل فيه النبيين بحق؛ **ولهذا تسمى صفة كاشفة.**

٣- يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس.

ما الذي جعلهم يصلون لهذه الحال من الترددي؟

بدأوا بالاختلاف بسبب البغي؛ وهذا الاختلاف سبب أنهم كفروا، يعني
ستروا كل الآيات الدالات على صدق الرسول.

**ما الذي أرداهم وجعلهم بعدما كفروا يقتلون النبيين بغير حق،
وأيضا يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس؟**

ما الذي جعلهم يصلون لدرجة أن يقتلوا أصحاب الحق؟
لازم تفهمون أن الإنسان لما يكون يحمل البغي في نفسه؛ فالبغي ما
يتوقف؛ فأول شيء يتعدى على حقوقك الفكرية، وطول الوقت
يناديك بالحرية، وأنت ما أنت قادر تعبر بالحقائق التي عندك؛
يعني هم عندهم الحرية يفعلون ويقولون ما يريدون، لكن أنت لست
حرًا أن تردّ على حريتهم!

مثاله: الحجاب في فرنسا؛ الدولة الرئيسة في الثورة الفرنسية، التي
كانت من شعاراتها الحرية والمساواة والعدل..

إذا هذه حرة تتكشف وتصير سافرة.. لكن هذه ما هي حرة لتتجب؟!
المفروض على مبدأ الحرية تكون هي حرة أنها تتجب، لكن لا؛ الحرية
مفتاح لهم يعاملونك عليه؛ يعني يستفيدون منك به، ويضغطون
عليك به، لكن إذا كان تطبيقه الحقيقي فما هو تطبيق.

فهذا من البغي؛ بأن يعتدي عليك فكريًا، ويجعل حتى المعنى الواحد له
ميزانان؛ فالحرية عنده شيء والحرية عليك شيء آخر! هذا هو
الاعتداء الفكري، ولذلك **{فَإِنْ حَاجُّوكَ}** ما يتوقف الأمر هنا، بل
عندهم: (أنت تحمل فكر غير فكري) بالنسبة لهم، إذا (أنت ما تستحق

إلا القتل، ورموزك أيضا تستحق القتل!) ف **{وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقِّ
وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ}**.

أما الشعارات التي يرفعونها بالسلام فهذه واحدة من الكذبات الكبيرة التي عاشها العالم ؛ لأن هؤلاء كما وصف رب العالمين **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ}** لن يتوقف الأمر عندهم على الكفر بآيات الله لازم يتعدّون ؛ فالبغي ما يتوقف يعني الحسد والكبر وآثارهم ما تتوقف؛ فالذي ينغش ويظن أن هؤلاء الذين يخالفونك فكريا، وغير مستسلمين لرب العالمين، لو ظننت أنهم سيوافقونك في أمر آخر تكون ما فهمتهم ؛ فأول ما يأتي في نفوسهم البغي يحصل الحسد والكبر؛ والكبر يجعل الإنسان المتكبر من أهوائه وشهواته أن يدهس الباقين؛ الذي يشفي قلبه أن أي أحد يخالفه لازم يصير في السفول!

وهذا الذي يجعلهم شديدي التخطيط لفساد المجتمع الإسلامي؛ لأن البغي هذا لا يتوقف عند أن يحاجّوك فيغلبوك كذبا، بل لازم يتعدى الأمر كما هو واضح في الآيات.

على كل حال هؤلاء بقوانا نحن ما نقدر ندفعهم؛ لكن دائما نقول (لا حول ولا قوة إلا بالله)، والأمر المهم في هذا كله أن **تعرف عقيدتك،
وتعرف عدوك** ماذا يحمل؛ فلا يغشك عدوك؛ فهذا من أعجب الأشياء أن إبليس الذي وسوس لأدم عليه السلام ووسوس لحواء وأخرجهما من الجنة وهو دائما صاحب المشاكل، كل يوم وأنتِ تصلين

تجتمعين معه، وكل الأفكار من أول ما تُكَبِّرِينَ حتى تُسَلِّمِينَ وما أنت دارية! لذلك أول ما تنتهي من الصلاة تأتيك الفكرة وتنقلها مباشرة للمحيطين! وهذا بسبب الاجتماع الذي مع إبليس في الصلاة. فانظري كم هي المهادنة الحاصلة بيننا وبين العدو؛ لدرجة أنه هو يلقي الأفكار ونحن نقول له: سمعاً وطاعة؛ فهذا إبليس الكبير! وهناك أعوانه من الإنس يصبحون هم المستشارون، وهم الذين نتعامل معهم ونطلع على أذواقهم وأحوالهم ولبسهم، وشعرهم، ونأخذ منهم، والذي يعتبرونه ذوقاً يصير ذوقاً لنا! والذي يعتبرونه مرفوضاً يصير عندنا مرفوضاً!

وهم عند رب العالمين قال الله فيهم {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}

في الدنيا والآخرة حبطت أعمالهم؛ فما يصيرون لك أنت قدوة؛ فهؤلاء ليسوا أهل أن يكونوا قدوة أبداً، لكن الاغترار وعدم الاعتزاز والهزيمة النفسية! فالمغلوب دائماً مولعٌ باتباع الغالب!

فهذا الذي يصير في مجتمعنا؛ أن الناس بنفسهم يتطلعون إلى أهل الباطل؛ هم بنفسهم باختيارهم يتطلعون لأهل الباطل، ويعتبرون أهل الباطل قدواتهم!

وانظروا كل سنة يتغير حتى ذوقنا! فالسنة الماضية كنت تحبين اللون كذا، ثم السنة هذه تلبسين اللون الثاني! لماذا؟ لأنهم جعلوا هكذا

لونه! وأنتِ تحسبين نفسك حرة تختارين على كيفك! لكنك ما أنتِ حرة؛ بهذا، بل أنتِ تابعة مئة بالمئة.

نبدأ الآن آية (٢٣) ونرى ارتباطها بما سبق:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ (٢٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۗ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥) قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۗ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۗ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۗ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} (١)

(١) [سورة آل عمران ٢٣ - ٢٨]

في الآيات السابقة تبين لنا البغي و آثاره:

كم أثر للبغي في الآيات السابقة؟

- ١- الأثر الأول: الاختلاف وعدم الاستسلام والكفر.
- ٢- الأثر الثاني: المحاجة، يأتي من وراءها التشكيك وطرح الشبهات.
- ٣- الأثر الثالث: الاعتداء البدني بقتل الأنبياء، وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس.

فصارت المعركة فكرية، ثم تتحول من فكرية إلى اعتداء بدني، إلى اعتداء على الحريات، إلى سفك الدماء.

الاعتقاد الفاسد الذي سبب لأهل الكتاب عدم الاستسلام (٢٣)-

(٢٥)

انتهينا من هذا؛ سنبدأ الآن في أمر جديد وهو عقيدتهم الفاسدة التي سببت لهم الاغترار:

ما هي عقيدتهم الفاسدة؟

انظري آية (٢٣) و(٢٤):

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ} فماذا تتوقعين من قوم أوتوا نصيبا من الكتاب؟ أنهم سيعظمون الكتاب، ويحترمون الكتاب، ويحترمون ما دل عليه الكتاب

{يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ} أتى لهم دعوة من الرسول إلى كتاب الله؛ وهنا سنعتبر كتاب الله هو كتابهم هم وليس كتاب النبي صلى الله عليه

وسلم سنفترض هذه الفرضية {لِيَحْكَمَ بَيْنَهُمْ} لأنه حتى كتابهم يشهد بصدق النبي صلى الله عليه وسلم؛ يعني ليحكم كتابهم في دعوى النبي صلى الله عليه وسلم.

النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: "أنا رسول"؛ فقالوا: لا؛ حاجّوه ، فقال لهم: "هاتوا كتابكم ومن كتابكم سنرى أنا رسول أم لست رسول؟"؛ فلما دُعوا إلى كتابهم ليحكم بينهم ماذا فعلوا؟

{ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ} لأنهم يعرفون أن كتابهم سيشهد بصدق النبي صلى الله عليه وسلم، فما قبلوا التحاكم له. كيف أنتم متدينون وأوتيتم نصيبًا من الكتاب.. كيف تفعلون هذا السلوك غير المرضي؟

من أين لهم هذا السلوك غير المرضي؟ {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ}

إذا أنت الآن ستفسرين كل سلوك غير مرضي من أهل الكتاب تفسير كل سلوك غير مرضي من أهل الكتاب في آية (٢٤) {بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ}

يعني الآن لو تفسرين في الواقع كل سلوك غير مرضي من أهل الكتاب ما سببه؟ هذه العقيدة {قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ}

طيب نأتي عند المسلمين؛ لأن في مواطن يدخلون فيها المسلمين -لأنهم أهل كتاب أيضاً - **فهل المسلمون عندهم هذه الدعوى؛ أن لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات؟**

الجواب: بتصريحها مثلهم لا.

لكن عندنا قضية أخرى تشبه لها (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) فالناس صاروا يقولون مهما فعلوا، ومهما أفسدوا فأهم شيء يقولون لا إله إلا الله ويدخلون الجنة بذلك! فطبعاً أنتم تعرفون أن لا إله إلا الله لا بد أن تحقق شروطها؛ فليست مجرد الكلمة دليل على وجود الشروط؛ ولذلك نعرف أن في جماعة اسمهم المنافقين؛ فممكناً يكونوا مدعين هذه الدعوى لكنهم ليسوا بصادقين.

المهم ليس هم فقط يقولون لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات؛ ليس هم فقط من يسلكون مسلكاً باطلاً، ويتعذرون بما معهم من إيمان وأن إيمانهم سيدخلهم الجنة!

لا/ ليسوا هم فقط؛ حتى المسلمون يفعلون هذا لأنهم يرون أنفسهم أن معهم شهادة ترد كل الذنوب، ويكونون في هذه الحالة يظهر لنا الإرجاء؛ فرقة المرجئة.

معنى الإرجاء:

اليهود وقعوا في نفس معنى الإرجاء.

ونحن عندنا في المسلمين هناك فرقة اسمها المرجئة؛ وهؤلاء المرجئة جذورهم التاريخية؛ في النهاية السبب الرئيسي لظهورها عدم الاستسلام الكامل للدين، فعلقوا شئونهم في الآخرة على الرجاء في رحمة الله، ولم يخافوا غضبه وعذابه.

متى تظهر المرجئة؟

في حالة غلبة الشهوات على المجتمعات؛ يعني إذا الشهوات انتشرت، وأصبحت مسيطرة على المجتمع صار المجتمع يميل إلى الإرجاء.

{فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} (١)

ثم أتى التهديد لهم ولكل أحد يسير مسارهم؛ فليس شرطاً أن يقول: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات، بل يكفي أنه ما يفكر في حساب الله فيقول الله عزوجل **{فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}**

لن يكون هناك ظلم، بل سيكون حساب على الأعمال **{وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ}** يعني اعتماد على الرجاء لا ينفع الناس، إنما لابد من الجمع بين الخوف والرجاء

(١) [آل عمران ٢٥]

فكل عبادة تعبدن الله فيها، فلا بد أن تستشعري أن هذه العبادة رجاءً لرحمته، وخوفاً من عقوبته.

إذا انتهينا من الأمر الأول من (٢٥-٢٣) الاعتقاد الفاسد الذي سبب لهم البغي أو سبب لهم عدم الاستسلام وهو اعتقادهم أنهم لن تمسهم النار إلا أياماً معدودات.

بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم (٢٦-٢٧)

الآن ستأتي انتقالة عجيبة جداً في الآيات؛ وهذه الانتقالة لازم تكون على بالنا دائماً ونفسر بها الواقع الذي نعيشه:

{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ} الخطاب للنبي ﷺ ولكل من يصلح لهم الخطاب

{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ} فالصفة هنا الملك.

{تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ} هذه إشارة إلى أن بني إسرائيل لما كانوا على الدين كانوا أهل الملك، وكانوا خير أمة في ذاك الزمان؛ فلما فعلوا ما فعلوا، واعتقدوا ما اعتقدوا ماذا حصل؟ نُزِعَ منهم هذا الملك الذي رفعهم الله به.

{وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ} إذا هنا فيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم..

أين وجه البشارة؟

أنه {تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ} يعني سَيُنزِعُ الْمُلْكَ والشرف والسلطان من بني إسرائيل وَيُعْطَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

{وَتَعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} نفس المعنى مادام الأمر بيدك فأنت تُعزِّز أهل طاعتك، وتُذِلُّ أهل معصيتك..

فالأيات تحمل بُشرى للنبي صلى الله عليه وسلم في كون أن الله سيُبَدِّل العز والسلطان من بني إسرائيل إلى النبي ﷺ وأمته -هذا إذا كانوا أهل طاعة-، فإذا تكافؤوا مع أهل المعصية، وصاروا أهل معصية كان القوة والغلبة للأسباب الدنيوية.

فهذا كلام مهم جداً، لأن دائماً يأتي القول: أنا نحن أهل الإسلام فلماذا ليس لنا العزة؟

العزة تكون بالطاعة، وليست فقط بالنسبة للإسلام.

لاحظوا الآيات السابقة والآيات اللاحقة؛ فلما دخل اليهود في قول {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ} ودخلوا في غش أنفسهم هذا الغش قيل لهم {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ} يعني مادام مشيتم هذا المسار، وظننتم أن لكم صفة خاصة عند رب العالمين وأنتم لستم طائعين؛ فلازم أن تعرفوا أن الملك سيُنزع منكم ويُعطى للطائعين.

طيب لو تساوى الناس كلهم وما في طائعين، وكلهم صاروا عاصيين المسلمين وغير المسلمين؟

صار الحكم للأسباب المادية؛ يعني الذي عنده أسباب مادية أكثر تصبح له العزة.

طيب لو كان فيه طاعة؟ ستختلف المسألة كما سيأتي في نفس السورة؛ سيأتي الكلام عن أحد وعن بدر، وسيظهر لك في بدر كانوا قليلين ضعفاء؛ لكن كان معهم رب العالمين؛ وهكذا قرأنا في بداية السورة: **{قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ}** (١)

يعني معنى ذلك اعتبر بهذا واعرف؛ الملك يُنزع من من ويُعطى من؟ فلا يأت أحد يقول: لو أننا أهل الدين الحقيقي، كنا أهل النصره! طيب أنت كشخص فينك وفين الطاعة؟ وكمجتمع فينا وفين الطاعة؟ وهذه مسئولية فردية ما فيها الناس والناس؛ لأنه أسهل شيء يريح نفوسنا أن نقول المجتمع والناس؛ لكن الكلام عليك كشخص أنت ومن تصاحبهم؛ فلازم تعرف أن الملك بيد الله يؤتیه من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء؛ وهذا له سنّته عند الله؛ فإذا كان أهل طاعة فمهما ضعفت الأسباب؛ فالله يؤيد بنصره

(١) [سورة آل عمران ١٣]

من يشاء؛ إن كانوا أهل طاعة أيدهم مع ضعف الأسباب؛ وإن كانوا
أهل معصية نزع منهم الملك والسلطان

بل فليعلم أن من سنة الله إذا عصاه من يعرفه سلط عليه من لا
يعرفه؛ يعني أنت تعرف ربنا وعصيت ربنا؛ فيسلط عليك من لا يعرف
الله؛ يعني يسلط عليك أهل الكفر والمعاصي، ويصير هم لهم الدولة
عليك.

إذا أنت ذهبت للإرجاء وقلت {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ}
وقلت عندي لا إله إلا الله، ونحن الأمة المحمدية، ونحن أهل التوحيد
كله مجرد دعاوى!

وكلما جاءت دورة فيها تنمية وذهبت وصرت تقول: أنا أستطيع، أنا
أقدر، أنا افعل!، وأنت الموحد الذي يقول {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}
وأنت الموحد الذي يقول: (لا حول ولا قوة إلا بالله)!

أنت نفسك تقول هذا الكلام؟! وتقول الطاقة، والموج له طاقة، والبحر
له طاقة، والملح له طاقة! ويتحكمان في الكون! وأين رب العالمين يا
مؤمن؟!!!

كل هذا ويقول: نحن أهل التوحيد، نحن أهل لا إله إلا الله!
فأصبحت الكفة مائلة إلى القرب من الشرك وليس فقط من المعاصي؛
وإن كان هنا يُقصد به الشرك الأصغر على الأغلب لكن المهم أنه بدأ
يدخل علينا مثل هذا التفكير.

فلازم تعرفين أن الله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء، يعز من يشاء، يذل من يشاء.؛ دخلت باب المعصية خلاص أنت والعاصي الثاني سواء؛ فتكون هنا الغلبة للأسباب، بل المسألة أعلى من ذلك فإذا عصى من يعرف الله؛ فالله يسلط عليه من لا يعرفه.

فلا تأتِ تقول: نحن أهل الإيمان والمفروض نكون أهل العزة، الصحيح أن أهل الإيمان الذين يحملون الإيمان في قلوبهم، أصل شأنهم أنهم طائعين لرب العالمين، ثم يسخر الله لهم كل الأسباب؛ هذا هو الشأن أنه ما تعز بلد من بلاد الإسلام إلا إذا حملت الإسلام حقا..

إذا كيف يعز أهل الكفر؟

يسلطهم الله على أهل الإسلام لكن الملك ملك الله؛ ولذا كانت بشارة هنا للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام أنه سيُنزع من هؤلاء ويُعطى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وهذا كان تفسير لموقف عمر رضي الله عنه لما نُزع من قيصر ومن كسرى أموالهم وأتوه فكان يوم عز للمسلمين؛ لكن الصحابة الكرام كانوا يفهمون أن هذا العز ما تحول وأصبح ذلا إلا بسبب المعصية، ولذا يعبرون فيقولون ما أحقر العباد على الله إن عصوه!

فكانوا في عزهم وشأنهم وفي غلبة ثم ماهي إلا أيام قلائل ونُزع منهم ذلك العز كله؛ والسبب معصية الله؛ فالعبد يصبح لا قيمة له إذا ترك طريق الاستسلام لرب العالمين ودخل المعاصي.

طيب كلنا ذاك العبد العاصي؛ وحتى آدم عليه السلام أبونا المكرم
المحترم المرفوع عند رب العالمين، الذي أسجد له الملائكة أيضا وقعت
منه المعصية

لكن ما الفرق بين إبليس وأدم عليه السلام؟

التوبة التوبة؛ فكلنا ذاك العبد العاصي، هناك فرق بين من يسارع في
التوبة والعودة، وبين من يهمل مثل هذا الأمر، بين من يقع في المعصية
ويعرف أن له رب يتوب عليه وبين الذي يعصي ويدخل في هذه الأبواب
سواء كان مستهتراً أو يائساً من روح الله.

فنحن عندنا مشكلة أخرى؛ وهي اليأس من روح الله؛ فيقول الناس:
خلاص نحن على معاصي معاصي! ويمشون حياتهم على أساس أنهم
غير مرحومين وما عندهم أمل!

لدرجة من السفاهة ممكن يجري على اللسان كلام غاية في الإجرام
فيقول: (أنا داخل النار داخل النار!) نعوذ بالله من هذا الكلام؛ الذي
تقوله هو: (الله يرحمنا ويقينا ويحفظنا من أن نذوق نارا في الدنيا أوفي
الآخرة)؛ لكن لا تقول خلاص داخل داخل، فهذا كلام الشيطان لأن
الشيطان لما يجد الإنسان واقعا في الآثام يُبئسه من روح الله؛ فكلما
الطريقين يصبان في شيء واحد، وهو أن يستمر على المعصية.

فالشاهد أن هذه الآيات دالة على البشارة للنبي صلى الله عليه وسلم.

جاءت بعدها آيات دالة على شأن أكثر بياناً في بشارة النبي ﷺ:

{تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ}

الإشارة الى ماذا؟ الفعل هذا واضح معروف: إدخال الليل في النهار وإدخال النهار في الليل؛ لكنه يشير لشأنين والله اعلم:

١- **أولاً قدرة الله؛** وهذا أمر ظاهر إن الله على كل شيء قدير؛

ومن ذلك انظر كيف تكون الدنيا ظلام، ثم يبدأ يأتي النور، وكله يأتي بطريقة لطيفة عجيبة ما في نقطة انكسار أبدا؛ يعني ما تكون في الليل الدامس ثم تجد نفسك في وسط النهار، بل كله بطريقة لطيفة.

٢- إذا فهمت هذا فافهم أن الجهل والكفر والشرك ظلام

الدنيا؛ والله يولج في الليل النهار فببعثة النبي ﷺ الدنيا زال

ظلامها؛ **ففي بشارة للنبي ﷺ أن به يزول ليل الدنيا ويأتي**

نهارها، ويزول عن العرب ما كان فيهم من جهل وشرك

ويحصل لهم العلم والمملك.

{**وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ**} نفس الدلالة من جهة

القدرة، ومن جهة كيف الله عز وجل أخرج من أصلاب هؤلاء

المشركين ميتي الدين أخرج منهم أحياءً فجاء من أصلابهم مؤمنون

أتقياء؛ وأيضاً هم نفس الصحابة كانوا ميتي القلب ثم أحياهم الله عز

وجل.

{وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} لما يكون العبد سائرًا في الطريق
المستقيم ما يدري عن أبواب الأرزاق التي تُفتح عليه، وأعظم الأرزاق ما
يرزق الله العبد منه هو اليقين؛ أن يكون صاحب يقين، متيقن بكمال
الله، متيقن بجلال الله، متيقن بعظمة الله، متيقن بلقاء الله.
فنسأل الله أن يرزقنا اليقين، وأن نكون من أهل اليقين، وأن يقبضنا
على هذا اليقين، وأن تكون كلمة لا إله إلا الله هي آخر كلامنا من
الدنيا. اللهم آمين

اللقاء الخامس من آية ٢٨ - ٤١

١١ صفر ١٤٤١ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين. بسم الله توكلنا على الله
نبدأ من عند التكليف التي اتفقنا عليها في الأسبوع الماضي:

**كان عندنا السؤال الأول: ما معنى (لا إله إلا الله) - أو ما دلالة
(بحق)؟**

(لا إله إلا الله) في شق منفي، وفي شق مثبت.

النقاش في الشق المنفي:

(لا إله): (لا) هذه تسمى لا نافية للجنس؛ يعني تنفي جنس المذكور
بعدها.

أمثلة:

لا ناجح إلا فلانة: فالمنفي جنس النجاح؛ لا أحد ناجح؛ لا نافية لجنس
الناجحين.

لا ضعفاء هنا: تنفي جنس الضعفاء؛ يعني ما في أحد ضعيف.

(لا): في اللغة، لها اسم ولها خبر.

في اللغة الأصل أنك تحذفين الخبر، لكن تقدّرينه تقديرًا في نفسك؛
ماذا يُقصد.

مثلاً: لا رجال في هذا المكان؛ بماذا تقدرين خبر لا؟

نفينا جنس الرجال؛ فما تقدير الخبر؟

فممکن لا رجال موجودين في هذا المكان، أو لو تريدین تهزئینهم فتكون لا رجال على الحقيقة موجودين؛ فهي تحتمل الإثنين على حسب مقصدك.

إما خبر لا: موجودين، أو خبر لا: حقيقيين؛ فصار احتمالان.

الآن (لا إله): تنفي جنس الآلهة؛ لازم تقدّرين لي الخبر.. فما هو الخبر؟
لو قدرتي الخبر ب(موجود): تكونين قلتِ كلام باطل؛ لأن فيه آلهة
الناس يحبونهم ويعظمونهم غير الله.

إذا لا إله (بحق): يستحق أن يكون إلهًا إلا الله.

فالآن لما نشرح لا إله إلا الله:

لا: نافية للجنس؛ يعني لجنس المذكور بعدها؛ يعني كل جنس الآلهة
منفي.

اسم لا للنافية للجنس: إله.

ويُقدّر خبرها بأحد معنيين:

١- إما (موجود) وهذا المعنى باطل؛ يوافق اعتقاد الباطنية (الحلولية).

٢- وإما (بحق).

من هم الباطنية (الحلولية)؟

هم قوم من أخبث الناس، وأكثرهم باطلا، علّوا على الإلحاد في باطلهم؛ لأنهم يقولون إن كل أحد عبد أي أحد، فقد عبد الله. مثلاً: يرون أن الله –تعالى الله عما يقولون- حلّ في كل شيء، يعني من عبد البقرة كأنه عبد الله، ومن عبد الشجرة كأنه عبد الله، ومن عبد بوذا كأنه عبد الله.

لذلك من يقول لا إله موجود إلا الله، كأنه يقول كل من عبد أي أحد كأنه عبد الله؛ وبهذا تفهمين خُبث الدعوة أن كل الناس الذين يعبدون إنما هم في الحقيقة يعبدون ربنا! فمعناه يدخلون الهندوس والسيخ والبوذية وأي شيء يمر على خاطرك ومر على البشرية من عبادة غير الله تدخل في عبادة الله؛ لأنهم يقولون إن الله حلّ في كل شيء تعالى الله عما يقولون؛ فالباطنية من أخبث ما مر على العالم.

هذا المعنى ممكن توافقيه لو قلت لا إله موجود إلا الله؛ فمعناه أن أي أحد يؤله أي شيء فمعناه يؤله الله؛ وطبعاً الذي يقول لا إله موجود إلا الله هو لا يتصور المعنى ولا يقصده؛ إنما غالباً يخرج من جهل، لكن هذا لازم الكلام.

إذاً نقول: لا إله يستحق الألوهية إلا الله؛ وبهذا أنتِ تُقرين أن هناك آلهة أخرى، عُبِدت من دون الله، والإله الذي يستحق الألوهية هو الله؛ فتقولين إن الناس عبدوا آلهة غير الله؛ لكن لا يستحق الألوهية إلا الله.

إذا لا النافية للجنس لها اسم، ولها خبر، والخبر في لغة العرب ما يأتي
إلا تقديرًا يعني أنتِ تقديرينه على حسب المعنى الذي يكون في داخلك.
ودائمًا تذكّري (لا رجل) إما على نفي الحقيقة، أو على نفي المعنى؛ يعني
لا رجل (على الحقيقة)، أو لا رجل (موجود).

المفروض تكونوا كتبتم آيتي سورة يونس مع هذا البحث، لأن هناك
دليل يدل على هذه الكلمة، فلما فسروا (لا إله إلا الله) بـ (لا معبود
بحق إلا الله)؛ فكلمة بحق قدروها من النصوص.

أو آية الحج {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ
الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} (١)
ظاهرة في تقدير خبر (لا) بـ (حق).

بقي علينا ما معنى شهادة الملائكة، وما معنى شهادة أولي العلم؟
نؤجلها للأسبوع القادم.

البراءة من الشرك وأهله (٢٨-٣٠)

نبدأ بسم الله من الآية ٢٨:

(١) [الحج: ٦٢]

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَ ۗ وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨) قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢) ﴾ (١)

نراجع من أول الكلام، اتفقنا أن:

١- من بداية السورة حتى آية (١٧) تعتبر هذه **مقدمة للسورة:**

فيها بيان لعظمة مُنزل هذا الكتاب سبحانه وتعالى

- ومن ثمّ تضمنت السورة براعة الاستهلال
- ففيها من المعاني الأساسية التي يُرد بها على النصارى؛ ولذا تكررت كلمة لا إله إلا الله في السورة من بدايتها.

(١) [سورة آل عمران ٢٨ - ٣٢]

• وهي السورة الوحيدة التي ابتدأت بالحروف المقطعة؛ وأتى فيها ذكر الكتاب، وكان بين الحروف المقطعة وبين ذكر الكتاب فاصل؛ يعني كل سورة بدأت بالحروف المقطعة، يأتي فيها ذكر الكتاب صراحة أو تضميناً.

كل السور التي أتى فيها ذكر الكتاب صراحةً أتى مباشرة بعد الحروف المقطعة، ماعدا آل عمران: أتى {الْمَ}، ثم قُرر التوحيد، ثم أتى ذكر الكتاب؛ إشارة إلى أن هذا هو الموضوع الذي يراد بيانه في السورة وهو التآليه؛ ردًا على النصارى المشركين. كان هذا من الآية (١) إلى آية (١٧).

٢- ثم بدأنا من (١٨ - ١٢٠) مناقشة أهل الكتاب (النصارى) في موضوع عبودية عيسى عليه السلام.

وبدأت هذه المناقشة بمقدمة للمناقشة من آية (١٨-٣٢).

وآية (١٨) هي موضوعنا الآن {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ}

ثم تبين لنا أن **{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}** ^(١) وهذا هو الحق يعني الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله، ستجدين في مقدمة المناقشة هذه الثلاثة عناصر.

وجدنا أن الدين عند الله الإسلام: في كل الآيات السابقة، ففي آية (١٨) وجدت التوحيد.

وفي آية (١٩) قيل لك **{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}** وهو التوحيد الذي أتى في الآية السابقة.

وأمام هذا الإسلام بدلاً ما يستسلم الناس كلهم **{وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ}** فتفهمين إما الإسلام، وإما الاختلاف.

ونوقشوا في اختلافهم، وذكُرت أوصافهم، وبُشر النبي صلى الله عليه وسلم بانتقال الملك منهم إليه **{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ}**

الآن في هذا المقطع من آية (٢٨) سنبدأ بالبراءة من الشرك وأهله: يعني هذه مكونات الإسلام.

فالإسلام فيه ثلاثة عناصر:

(١) [سورة آل عمران ١٩]

١- الاستسلام لله بالتوحيد

٢- الانقياد له بالطاعة

٣- الخلوص من الشرك وأهله.

وهذه العناصر الثلاثة ظهرت في مطلع السورة:

فالاستسلام لله بالتوحيد في قوله: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} و {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}.

الآن نبدأ في البراءة من الشرك وأهله في آية (٢٨).. لماذا؟

لأن الله قال {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}

إذا أنت تكون من أهل الإسلام إذا كان التوحيد مستقر في نفسك؛ ويلزم هذا أن تبرأ من أهل الكفر.

سنرى كم يُكرَّر علينا مسألة البراءة وكيف أن جمل البراءة غاية في التهديد:

{لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}

هذه الجملة فيها نهي؛ وهذه البراءة الآن

ثم هذه الجملة سيأتي وراءها من التهديد ما يأتي:

فأول جملة فيها إلزام بهذا الأمر:

{وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} يعني يتخذهم أولياء {فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ} يعني يتبرأ الله منه.

إذا صنعت محبة، وولاية، وانهار وتعلق بأهل الكفر، إذا قطعت بينك وبين الله.

ثم أتى الاستثناء {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} يعني تكون معاملتكم على أساس التقوى فتتقوا شرهم، تستفيدوا منهم فيما يصلحكم، لكن ليس من باب الولاية والمحبة والانهار واعتقاد أن حياتهم أحسن من حياة المسلمين، وأن مسلكهم خير من مسلك المسلمين؛ فإذا فعل هذا فقد قطع علاقته مع الله.

ثم الأمر الثاني:

{وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}

هذه الجملة فيها تمام التهديد لولاية غير الله؛ يعني يحذركم أن يقع في قلوبكم محبة من يكره الله؛ لأن الله يكره هؤلاء المشركين، فاحذر أنت أن تحبهم؛ وفرّقي بين المحبة، وبين أن تعاملهم، أو حتى أن تحسن إليهم؛ فالإحسان شيء والمحبة والانهار والاعتقاد أنهم في خير حال شيء آخر.

تذكر قصة قارون لما خرج على قومه في زينته:

{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ

لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} (١)

هذا هو الانهار؛ هذا الذي يحذركم الله نفسه.

(١) [سورة القصص ٧٩]

{ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ } (١)

ويلكم تناسب {وَيُحَذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} يعني لا تفكروا بهذه الطريقة..
لكن ما حرّم عليهم التعامل مع قارون، لأنك لما تقرئين في الآيات
السابقة؛ تجددين أن قومه كلموه ونصحوه؛ فما هو ممنوع تتخاطب
معهم، لكن الممنوع أن تنهر بهم، وتشعر أن حياتهم خير من حياتك،
وأنهم ذو حظ عظيم.

١- الجملة الأولى: {فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ} براءة الله منهم.

٢- الجملة الثانية في التهديد: {وَيُحَذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}

٣- الجملة الثالثة: {وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} وهذه زيادة على الزيادة أنكم
ستلقون الله ويحاسبكم.

في الآية التالية سنجد شيئاً عجيباً جداً في هذا الباب، وهو باب الولاء
والبراء، ففي هذا الباب ممكن ما يكون فيه تصرفات ظاهرة؛ لكن
يكون في نفسه؛ فما يستطيع يشهر إعجابه وانهاره لأن سيهاجمه
المجتمع حوله فمممكن يبقى إعجابه خفياً؛ هذا الخفي سيحاسبنا عنه
رب العالمين:

(١) [سورة القصص ٨٠]

{قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ} بمعنى أنه مهما كانت مشاعرك خفية؛ يعلمها الله فيحاسبك عليها، أي موطن فيه يعلمه الله تفهمني منه إذا سيحاسبك.

{وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} وهذا زيادة بيان لعلمه سبحانه وتعالى؛ ليقع في قلبك الرهبة الواجبة عليك.

{وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} هنا في مناسبة لطيفة
بين آية (٢٨) وآية (٢٩) في صلاة:

{وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ماذا تكون الصلاة؟

اتفقنا أن الله يعلم أي يترتب عليه الجزاء، وأي كلام عن الجزاء فيه كلام عن قدرة الله على إعادة الابدان، على جمع الناس، على حسابهم؛ فالآية التي تليها تبين لك أن الله على كل شيء قدير:

{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا} هذه مباشرة انتقاله ليوم القيامة:

يعني في الآية السابقة: {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ} فيجازيكم عليه {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} قادرٌ على إعادتكم وعلى جزائكم يوم القيامة {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا}

فكأن آية (٢٩) إشارة إلى أن هذا الذي تخفوه في نفوسكم يعلمه الله فيجازيكم عليه، **ومتى يجازيكم عليه؟ {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا}**

{وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا} وهنا السوء هو محبة أهل الباطل وعدم البراءة منهم؛ يعني ستجد البراءة من أهل الباطل خيرا ستجده محضرا، أما مودتهم فهي سوء تود لو أن بينك وبينه أمدا بعيدا..

وسيعاد علينا جملة سابقة: **{وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}** ومن آثار رأفته التحذير؛ لأنه لا يريد منك أن تقع في هذا الباطل.

سنرى كيف أتى الكلام عن البراءة من الشرك وأهله غاية في القوة في آل عمران:

نبدأ من آية (٢٨) **عددي معي:**

١- **{وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ}**

٢- **{وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}**

٣- **{وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}**

٤- **{قُلْ إِنْ تَخْضُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ}**

٥- **{وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**

٦- **{وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا}**

٧- {وَيَحذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}

٨- {وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} يعني تنظرين لرأفة الله هنا، أنه يرأف بك فلا يعاجلك العقوبة على ما وقع في نفسك، فلا تغتر برأفة الله.

كلها تقول لك أنه يكفي أن تقطع حبال المودة من قلبك؛ فمرتين قال لنا ربنا {وَيَحذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} إذاً الاسلام هو:

- الاستسلام لله بالتوحيد {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}
- والانقياد له بالطاعة: لم نناقشها بعد.
- والبراءة من الشرك وأهله: فتذكري آية (٢٨) {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} وليس هذا فقط {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ}

الانقياد لله بالطاعة (٣١-٣٢)

الآن ننتقل للأمر الثاني وهو الانقياد لله بالطاعة:

{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ قُلْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} (١)

هاتان الآيتان فيهما الكلام عن الانقياد لله بالطاعة؛ هذا الانقياد ظهر
هنا بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم.

{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ} أي هذا ما في نفوسكم {فَاتَّبِعُونِي} وهذا هو
الانقياد لله بالطاعة؛ فالطاعة وما يتصل بها طريقها لك ما تعرفينها إلا
عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثم الكلام الواضح في الآية التي بعدها:

{قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} واضح هنا الانقياد لله بالطاعة.

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} الكافرون هم الذين يتولون
عن الطاعة.

إذا بهذا تحققت الأركان الثلاثة لكلمة الإسلام.

إذا هذه مقدمة المناقشة: بيان معنى الإسلام بثلاثة عناصر المشهورة
إلى الآية (٣٢) (الاستسلام لله بالتوحيد، الانقياد له بالطاعة،
الخلوص من الشرك وأهله).

(١) [سورة آل عمران ٣١-٣٢]

أحوال المصطفين الأخيار (٣٣-٥١)

الآن بعد أن انتهينا من مقدمة المناقشة؛ سنبدأ بأحوال المصطفين الأخيار وهذا هو المقطع الثاني من (٣٣ - ٥١)

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّתَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) ﴾ (١)

أولاً الكلام السابق كان فيه {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} معنى ذلك فيه رفعة لمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم. أتت الآيات التالية تقول إن النبي والأنبياء قبله لهم منزلتهم العالية التي من أجل ذلك كان حقهم المتابعة؛ فالمفروض في الإسلام أن نتابع الرسول صلى الله عليه وسلم.

(١) [سورة آل عمران ٣٣ - ٣٧]

هل يُقبل العمل إلا بالإخلاص والمتابعة؟ لا بد من الإخلاص، ولا بد من المتابعة

بل إن **محبة الله مربوطة بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم؛**
لماذا؟

لأن الله اصطفى هؤلاء؛ فبدأت الآيات ببيان أن محبته لا تتم إلا بمتابعة الرسل الذين لهم الاصطفاء وعلو المنزلة.

• يعني الآيات السابقة تقول إن محبة الله لا تكون إلا بمتابعة الرسل

• والآيات التالية تقول إن هؤلاء الرسل لهم منزلة عالية لأن الله اصطفاهم.

ولمَّا ذكر الاصطفاء سبحانه وتعالى كان ذكر الاصطفاء تمهيداً لما سيأتي بعده من الكلام عن مريم، وما يتصل بها كعائلة وحكايتها، وهذه السورة سميت آل عمران لمقصد عجيب.

لماذا سميت السورة بـ (آل عمران)؟

سبب تسمية هذه السورة بـ (آل عمران) للإجابة على سؤال وهو **(ما نسب عيسى عليه السلام)؟** فنسبه أنه من آل عمران.

أي إذا قالوا إن عيسى ابنُ لله، قلت: لا؛ بل عيسى ابنُ مريم، ومريم من آل عمران.

فيصير اسم السورة يذكرك دائما بحقيقة عيسى عليه السلام أنه من آل عمران؛ ولذا هنا حُكي لنا ثلاث قصص كأنها تحكي هذه العائلة ما حالها؛ لتعرفي أن عيسى عليه السلام ليس ابناً لله؛ إنما منسوباً لهذه العائلة التي فيها الاصطفاء؛ وهذا رد على اليهود والنصارى.

- أما اليهود فقد كانوا يتعرضون لعيسى عليه السلام وأمه بالإهانة والاتهام بالفجور وأنه حاشاه ابن زنا.
- والنصارى يرفعونه إلى أن يكون ابناً لله.
- وأنتِ تعتقدين أنه ابن مريم، ومريم من آل عمران.

لبيان منزلة عيسى عليه السلام وأمه ذكرت ثلاث قصص:

- ١- قصة ولادة مريم (٣٥ - ٣٧)
 - ٢- وقصة ولادة يحيى (٣٨ - ٤١)
 - ٣- وقصة ولادة عيسى (٤٢ - ٥١) عليهم جميعاً السلام.
- وكلها خوارق للعادة؛ أي الثلاث قصص كلها دالة في كل قصة على شيء خارق للعادة لتدل على قدرة العلي القدير سبحانه وتعالى، وفيها إظهار لكرامات الأولياء وإشارة إلى الاصطفاء.
- ركزوا معي من ذكر في الاصطفاء:

{**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ**} وهذا الاصطفاء قد ظهر لنا في سورة البقرة؛ كيف اصطفاه من بين المخلوقين جميعاً، وله حق عندنا المحبة؛ لأن

كرامة الإنسان إنما أتت من كرامة آدم عليه السلام؛ فحق آدم علينا المحبة، ولذا لما تتكلمون عن آدم عليه السلام، فلازم يكون الكلام بتبجيل واحترام، وليس كلامًا كأنك تتكلمين عن أي أحد؛ بل هذا مصطفى مختار عند الله، أب لنا، خلقه الله بيده، وأسجد له الملائكة، له حقوق عظيمة على بنيه، فهو مُصْطَفَى {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ} اصطفاه من بين المخلوقات جميعًا.

{وَنُوحًا} واصطفاه نوح واضح فيما له من مكانة وكان أول الرسل.

{وَأَلِ إِبْرَاهِيمَ} يُقصد إبراهيم عليه السلام وذريته إلى أن تصلي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ف {ءَالِ إِبْرَاهِيمَ} المقصود بها إبراهيم عليه السلام، وإسحاق، وإسماعيل، ويعقوب وأبناؤه، ويدخل في ذلك موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء إلى أن نصل إلى عيسى عليه السلام؛ لكن عيسى عليه السلام كما سترون الآن سيحصل له تخصيص:

{وَأَلِ عِمْرَانَ} وهم من آل ابراهيم لكن خُصِّصوا للمناسبة الآن التي ستأتي بيانها بعد قليل.

{عَلَى الْعَالَمِينَ} يعني اصطفاهم على العالمين جميعًا.

{ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ} يعني في الكمال الأخلاقي والإيماني.

{وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} سَمِيعٌ لَأَقْوَالِهِمْ، عَلِيمٌ بِأَحْوَالِهِمْ.

قصة ولادة مريم (٣٧-٣٥)

ستبدأ الآن قصة أم مريم، ويكون مناسب جدًا ظهور معنى {سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

{إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا} يعني إذا تقرر عندنا اصطفاء آل عمران فاذكروا هذا الأمر؛ وهو موقف لأم مريم حصل لها من بداية الحمل بها.

{إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا} وهذا الأمر عادة من عاداتهم التي يتقربون بها إلى الله؛ أن المرأة تنذر ما في بطنها أن يكون محررا من شغل الدنيا لخدمة الدين؛ سواء كانت الكنائس أو المعابد؛ وهذا طبعًا قبل أن يقع التحريف في دينهم؛ فنحن نتكلم عن الدين الحق الآن؛ كانوا يعبدون الله، وكانوا ممن اصطفاهم الله؛ فكان من عاداتهم وعباداتهم أن تنذر المرأة ما في بطنها لو كان ذكرًا أن تحرره تمامًا من قيود الدنيا، وأن يبقى خادمًا في المعابد؛ أي خالصًا للعبادة، وهذه إشارة لديانتهم؛ يعني مريم ستخرج من بيت متدين محافظ على الدين.

فلما نذرت طلبت من رب العالمين: {فَتَقَبَّلَ مِنِّي} وهذا يؤكد أنها من بيت دين؛ لأنها لما عملت العمل كان رجاؤها القبول من رب العالمين.

{إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} إشارة إلى علمها؛ لأنها علمت عن الله أنه السميع العليم.

وهكذا ترين في نهاية الآية (٣٤) {وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} سميعٌ لأقوال هؤلاء، عليمٌ بأحوالهم، واذكر في ذلك ما قالت امرأة عمران وما قالت امرأة عمران كان متضمنًا أيضًا أن تطلب من الله أن يقبل نذرها معتقدة أن الله سميع عليم

وهنا العلم ظهر في المؤكدات:

• إِنَّ

• الضمير المتصل

• الضمير المنفصل (أنت)

• ألف ولام في (السميع)

• وفي ألف ولام في (العليم)

كل هذا يدل على وثوقها من هذه العقيدة.

سنرى الحدث الذي حصل معها الآن:

{فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ اِنِّي وَضَعْتُهَا اُنْثَىٰ}

هي نذرت وكان المحتمل ذكر أو أنثى؛ فلما وضعتها أنثى فهذه النذارة ما تصلح؛ لأنهم يندرون الأولاد وليس البنات.

{فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ} وهنا ليس إعلامًا لله طبعاً لأنها قالت {إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} لكنها تقصد الاعتذار؛ أي اعتذار لله عما نذرت، تريد أن تعرف كيف تخرج من هذا

{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ}

هذه تُقرأ على قراءتين:

١- تُقرأ بسكون التاء (القراءة المشهورة): فتكون الجملة من كلام الله؛ وتكون الله يبين لنا أن مقصدها الاعتذار.

٢- تُقرأ بضم التاء: فتكون الجملة من كلامها.. وكأنها إكمال للاعتذار؛ يعني وأنت تعلم ما وضعتُ.

{وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ} من كلامها لأنها نذرت ما في بطنها لخدمة البيت، فكونها أنثى فما تصلح لهذه الوظيفة.

{وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} كونها اعتذرت وبينت أنها سميتها مريم، ولأزال قلبها معلقاً أن تكون ممن يصطفاهم الله؛ فهي نذرت ما في بطنها لأجل أن الخدمة من الاصطفاء، فلما ما تحقق لها هذا فقالت {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ} ليست هي فقط {وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} وهذا ما يجب أن يكون أن يعتني الإنسان بنفسه وبنذريته من الأبناء ومن بعدهم أيضاً.

هذا إشارة لأن يعرف الإنسان لماذا هو عايش؟ وكيف أن الاهتمام يكون بالدين، وأن العدو لي ولأبنائي ولأحفادي إنما هو الشيطان الرجيم؛ فهي تعيد مريم وتعيد ذرية مريم من الشيطان الرجيم.

تأتيها البشرية الآن:

{فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ}

هذه الجملة الأولى إشارة إلى أنها لما طلبت القبول تقبلها رب العالمين وزيادة على هذا القبول أنه كان قبولاً حسناً.

{وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا} كل هذا يؤكد أن التربية التي تحصل للأبناء إنما هي بعون من الله، عطية من الله، أنبتها الله نباتاً حسناً، فما لنا في هذا إلا سؤال الله أن ينبتهم نباتاً حسناً.

{وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا}

وهنا بقراءة التشديد تكون من فعل الله؛ وبقراءة التخفيف تكون من فعل زكريا.

● {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} بالتشديد يعني الله شرح صدر زكريا لكفالتها

● {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} يعني الفاعل هو زكريا؛ يعني كفّل زكريا مريم

القراءة المشهورة التي هي عليها قراءتنا هي التشديد

{كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا}

وهنا يظهر خارق العادة؛ وهو كلما دخل عليها زكريا المحراب، وجد عندها رزقًا من المطعوم والمشروب ما لا يعرف من أين أتاها، وليس هذا فقط إنما يُعلم أن هذا ليس من إتيان البشر؛ أي يأتيها الشيء في غير وقته؛ وهذا إشارة إلى أنه خارج عن قدرة البشر؛ وجد عندها رزقا يدل على أنه خارج عن قدرة البشر.

وهذا شيء مثير للسؤال: **{قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَكَ هَذَا}** وليس هذا سؤال من باب أنه يشك أن أحد أتى لها من البشر، إنما من باب الاستعجاب أنه لابد أن يكون خارق للعادة.

{قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} وهذا إشارة لإيمانها وتقواها، ومعرفتها الحق من الباطل، وتفريقها بين ولاية الشيطان وولاية الرحمن. فهذه الجملة **{قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}** تدل على هذا كله؛ على أنها مؤمنة، تقية، مفرقة بين ولاية الشيطان وولاية الرحمن؛ لأن الشيطان له في هذا؛ فممکن يخدع الناس ببعض الأمور كأنها خوارق للعادة؛ ولذا هنا لنا عقيدة خاصة في مسألة خوارق العادة.

{إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} هذا الذي قصد أنها معتقدة أنه من عند الله؛ وأن الله إذا شاء أن يرزق أحدًا رزقه بغير حساب.

{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ}

{هُنَالِكَ} هذه كلمة عظيمة جدًا؛ فانتقلنا لقصة أخرى لكنها من أثر القربى، لما يكون الأقارب مباركين على بعض.
هو أخذ مريم يكفلها؛ يعني هو صاحب الفضل عليها، لكن هي الآن كانت صاحبة فضل، بسبب كلمة {هُنَالِكَ}.. **كيف؟**
هنالك لما رأى بعينه إكرام الله لمريم وقع في قلبه اليقين التام، فلما وقع في قلبه اليقين التام دعا الله فاستُجيب له.

كأنها ثلاثة مراحل الآن:

١- أول شيء وقع لمريم هذه الكرامة.

٢- رآها زكريا.

٣- فلما رآها وقع في قلبه اليقين التام في قدرة الله.

يعني هو كان يشك سابقًا؟ لا /// ما يشك

لكن هناك علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين، فخلاص هو وصل لحد حق اليقين، وعاش الموقف، فوصل الإيمان عنده الدرجة العالية، فاستثمره بدعاء.

وهذا المفروض يكون مسلك الناس كلهم؛ فنحن في الإيمان درجات، في لحظات يكون الإيمان غاية في القوة، فلما يمر عليك موقف تدعو الله، فتجد أن هذا الدعاء قد استجيب، أو صار لك موقف يدل على قرب

الله، على حفظ الله؛ فإذا وصل قلبك لدرجة اليقين فاحتفظ بهذه المشاعر التي وصلت لك، وبسبب هذه مشاعر اليقين، ادع ربنا، واسأل ربنا، وذكّر نفسك بمشاعر اليقين التي مرت عليك في هذا الموقف. فهذا استثمار عظيم للحظات اليقين، وهذا شأن كلنا لازم نفكر فيه، أن الله عز وجل من كرمه معنا، يكرمنا بلحظات يقين، فحافظ على لحظات اليقين، واستثمرها في سؤال الله عز وجل، عظيم المنفعة. سنرى كيف استثمارها زكريا عليه السلام:

{ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ } هذا الاستثمار كان بطلب الذرية.

هل هذه الذرية التي يريدونها زكريا لأجل المنافع الدنيوية؟

لا؛ قال { وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي }^(١) يعني خاف أن يضيع دين بني إسرائيل { خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي } خاف أن يتولوا الناس فيضلوهم، فهو يريد لأجل دينه، ولأجل دين الناس وتسييسهم، وليس لأجل الدنيا.

فقال { هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً } ما صفاتها؟ { طَيِّبَةً }

والآن يقول الجملة التي تدل على يقينه:

{ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ } يعني أنا متأكد أنك سميع الدعاء.

(١) [مريم: ٥]

قصة ولادة يحيى (٤١-٣٨)

مباشرة أتت الفاء الدالة على استجابة الله له، فهو تأثر بالموقف اليقيني، ثم حصل الاستجابة سريعاً له:

{فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ} سَتُبَلِّغُه بخبر من عند الله.

{وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ} وهذه الأماكن التي تأتي فيها البشرية؛ مكان ما تصلي، مكان ما تعبد.

{أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى} الملائكة أتت مُبَشِّرَةً بيحيى؛ أي سُمِّي من عند الله يحيى؛ سماه الله؛ ما قيل هنا غلام إنما مباشرة باسمه؛ معناه لما وُلد سمّوه كما سمّاه الله.

{مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ} هذه صفاته أنه سيأتي هادياً، مهدياً.

{وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} أربع صفات ليحيى عليه السلام، وكل صفة خُص بها.

في مقابلها سنرى، رد زكريا على هذا الأمر، وهذا الرد من الردود الطبيعية الإنسانية، يعني هذا الانفعال الطبيعي الذي يحصل مع خبر مثل هذا:

{قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ}

مباشرة ستقولين إنه سأل الغلام، فلما يأتيه، فكيف يستبعد؟!

نقول: لا؛ هذا انفعال من الإنسان الطبيعي؛ بمعنى لما الإنسان يأتيه ما هو خلاف العادة من البشري يحصل له التعجب؛ فهذا كلام المستبشر المتعجب، وليس المستبعد على قدرة الله.

{وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ} الآن يذكر الأسباب الطبيعية التي هي مانعة لمثل هذا، لكن هذه الأسباب الطبيعية في عقيدته لم تمنعه من الدعاء، سؤاله هنا زيادة في إظهار الاستبشار، والتعجب، وإظهار قدرة الله. وهذا الأمر يحسن لكل من أنعم عليه بنعمة هو يعلم أنه ليس أهلاً لها؛ يعني مثلاً تتذكر نفسك وأنت جاهل، ثم بعد ذلك تعلمت وجلست تعلم الناس، فكل مرة تقول لنفسك (أين أنا وأين التعليم؟ أين أنا، وما كنت أعرف أجمع كلمتين على بعض، وما كنت أعرف أقرأ في كذا، وما كنت أعرف من أين آتي بكذا؟). فهذا استعجاب من قدرة الله في نقل الإنسان وليس رداً للنعمة. فكأن هذا التعديد يذكر الإنسان أن هذا شيء خارج عن قدرته، هو إنما هذا قدرة الله عز وجل.

وسيعدد الأسباب:

{وَأَمْرًا تِي عَاقِرٌ} يعني هو كبير وامرأته عاقر

{قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} وهذا الجواب عليه؛ أن الله يفعل ما يشاء؛ فهذه الأمور التي تراها خارقة للعادة إنما الله عز وجل هو الذي وضع عاداتها، والله عز وجل هو الذي يخرق هذه العادات.

{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً} على أن زوجته حملت.

{قَالَ آيَتِكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا} يُحْبَسُ فِي وَقْتٍ مَعِينٍ

عن الكلام العادي، مع سلامة منطقته وقدرته على ذكر الله؛ أي يريد أن يتكلم كلامًا عاديًا ما يقدر؛ فهذا وقت العلامة ستصيبه حالة لا يستطيع فيها أن يكلم الناس إلا إشارات مع سلامة منطقته وبقاء قدرته على التسبيح؛ يعني ليس هو الذي يترك الكلام، بل هي علامة من الله؛ وهذه من أعجب الأشياء. وأحكي لكم قصة حقيقة شهدتها بنفسني، لامرأة تحكي عن امرأة مرت بهذا الموقف، هذه المرأة وقع عليها جلطة في الدماغ، وأصابها جانبها الأيمن، ووقع لها الإشكالات المعروفة، وسافرت لإحدى الدول الغربية لأجل أن تعالج في مكان معروف أنه يعالج آثار هذه الجلطات؛ فوجدت حالة من الحالات من دولة خليجية أصيبت أيضًا بجلطة دماغية، وأصابها الجلطة الدماغية مركز النطق، بحيث أنها ما تستطيع أن تنطق، لكنها تنطق كلمة واحدة فقط وهي (لا إله إلا الله) وكانت هذه من العجائب أن يكون في زماننا مثل هذه الأشياء الخفية عن الناس.

وهذه شابة صغيرة؛ لكن هذا شأن تفكرين فيه، أن الله عزوجل هو الذي يملك هذه الأعضاء التي نحن نفعل بها ما نشاء، وهذا وإن كان مرضاً لكنه من آثار اللطف بالنسبة لها أن تبقى هذه الكلمة الوحيدة التي تنطق بها؛ فهذه قدرة الله.

فكلما تتذكرين زكريا عليه السلام فلتعلمي أن أهل العلم يقولون إنه لا يستطيع أن يتكلم مع سلامته؛ يعني مع سلامة قدرته، لكنه يستطيع يسبح ويكبر ويهمل، فمع سلامة منطقه لكنه محبوس.

فالله هو الذي يطلقنا بالكلام، والله هو الذي يحبسنا عن الكلام. فكانت علامة زكريا أن يُحبس عن الكلام العادي، ويبقى له فقط الذكر والإشارة.

{وَأذْكُرَّ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} يعني سيبقى مسبحاً ذاكراً، لكن فقط سيمتنع عن الكلام العادي.

إذا بهذا عرفنا قصة يحيى وأن هذا من خوارق العادات، وكأن السورة تحكي لك عيسى عليه السلام خرج في أي مجتمع، مريم يكفلها زكريا، وهذه أمها، وهذه حالة أمها، من التقوى والإيمان، وهذه حالة زكريا من الاهتمام والعناية بالدين، وهذه حالتها هي أيضا من دينها وتقواها. فماذا يُنتظر من مثل هذا المجتمع؟ ماذا يُنتظر إلا معالم الإيمان والتقوى؟

هل يُنتظر من مثل هذا المجتمع أن تكون فيه امرأة بغية؟

أبدًا! لذلك هي في سورة مريم، وأنت تقرئين لازم تشعرين بشعورها، كلما مر عليك الكلام عن مريم، فلازم تشعرين مقدار ما وقع عليها من أمر عظيم؛ عفيفة، شريفة، في بيت دين، وكفلها نبي، ومحاطة بأهل الدين؛ فكيف تخرج على قومها بطفل وهي ليس لها زوج!

أمر مهول، مجرد مروره على الخاطر مشكلة كبيرة؛ ولذا قيل في حقها {فَكُلِّي وَاشْرِي وَقَرِّي عَيْنًا} (١)

من كثرة الهم الذي كان سيقطع قلبها؛ وهذه مشاعر طبيعية من العفيفة، لو كان قيل لها خذي هذا وخبئيه كان الأمر أهون، لكن قيل لها خذيه واذهبي به إلى قومك؛ فما أعظم ما وقع عليها!

ولذا رضي الله عنها وأرضاها ورفع منزلتها في جنات النعيم، وكانت مثال للعفة في أهل زمانها، ولزالت مثال للعفة في كل زمان.

فالمقصد من وراء هذا أن من اصطفاهم الله من جهة يحصل لهم المقام العلي عند الله، ومن جهة يكونون قد بذلوا من مشاعرهم وأحوالهم وأبدانهم وأعراضهم ما بذلوا.

فهذه المرأة من المؤكد أنه سيُلقي في عرضها ما يُلقى، ومع ذلك هي من المصطفين الذين اصطفاهم الله لأنه اصطفى آل ابراهيم، وآل عمران،

(١) [مريم: ٢٦]

فكانت هي ممن اصطفاهم الله، لكن الاصطفاء من هنا يتطلب من جهة أخرى الصبر على ما يُبتلى به الإنسان، فما في اصطفاء إلا أمامه جهاد وبذل من النفس والعرض، وما في اصطفاء إلا أمامه بلائات لكنها ترفع العبد وتعليه عند رب العالمين.

الشاهد أنه أريد في هذا المقطع بيان أين كانت مريم رضي الله عنها وأرضاها في أي مجتمع؟ وماذا يُنتظر من وراء هذا المجتمع؟ بهذا انتهينا من الكلام عن زكريا، وإن شاء الله الأسبوع القادم نستفتح الكلام عن مريم وابنها عيسى عليه السلام.
انتهى بحمد الله

اللقاء السادس من آية ٤٢ - ٥٢

٨١ صفر ١٤٤١ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله، نبدأ في إكمال مدارسنا سورة آل عمران من مكان ما توقفنا.

وأذكركم أننا الآن في هذه الآيات التي نتدارسها، بدأنا في صلب المقطع الأول من السورة:

وهو مناقشة أهل الكتاب في دعواهم أن عيسى عليه السلام ابن لله -تعالى الله عن ذلك-

المقصد الأول من السورة من آية (١٨ - ١٢٠) وفيه مقاطع:

١- المقطع الأول: مقدمة المناقشة من آية (١٨-٣٢)

ومجمل مقدمة المناقشة: بيان معنى الإسلام؛ أو أن الدين المقبول عند الله هو الإسلام.

عربي الإسلام:

هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله.

أين ظهر معنى الإسلام في الآيات؟

١. فالشاهد على الاستسلام لله بالتوحيد آية (١٧) و(١٨)
{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ
اللَّهِ الْإِسْلَامُ} وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ}

٢. ثم آية (٢٨) فيها البراءة من الشرك وأهله {لَا يَتَّخِذِ
المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ}

٣. الانقياد لله بالطاعة في آية (٣١) {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}

هذه المقدمة للمناقشة كانت بيان معنى الإسلام، وأنه الدين المقبول
عند الله،

على ماذا تطلق كلمة الإسلام؟

فالإسلام يطلق على أحد ثلاثة معاني:

١- دين الأنبياء جميعاً

٢- خصوصاً اسم عَلَم على دين النبي صلى الله عليه وسلم

٣- مرتبة من مراتب الدين كما في حديث جبريل.

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} ماذا يُقصد به؟

دين الأنبياء جميعًا إلى أن تصلي إلى أنه اسم عَلَّمَ على دين النبي صلى الله عليه وسلم، فكل الأنبياء جاءوا بنفس المعنى؛ ولهذا هذه كانت مقدمة المناقشة؛ يعني الله عزَّ وجل يقول للمسلمين، ويقول أيضًا للنصارى {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} ولذلك الكلمة التالية لها مباشرة {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ} لماذا اختلفوا؟ {بَغْيًا بَيْنَهُمْ}

المفروض أن لا يختلفوا؛ المفروض أن يستسلموا، وليس يتفقا، لأنه ممكن أن يتفقا على باطل، لكن يستسلموا لله بالتوحيد، وينقادوا لله بالطاعة، ويخلصوا من الشرك وأهله.

إذا هذه مقدمة مناقشة لأهل الكتاب، ولما تسمعون أهل الكتاب فالمقصود كل الناس حتى أنت من أهل الكتاب، لأن أنت عندك القرآن، إلا أن الفرق بين أهل القرآن ومن قبلهم؛ أن كتابهم محفوظ بحفظ الله، ومن قبلهم قد أوكل حفظ الكتاب لأهله يعني للناس هكذا انتهينا إلى آية (٣٢) من مقدمة المناقشة

ثم بدأنا في آية (٣٣) المقطع الجديد وهو:

أحوال أهل الاصطفاء) لماذا؟

لأنه من هذا توصلنا إلى آل عمران الذين هم نسب عيسى عليه السلام لأن الآية فيها {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}

فكان هذا بمثابة التمهيد حتى تعرفي في النهاية مريم في أي بيت نشأت، وفي أي حال كانت.

أول خبر عن آل عمران، كان قصة ولادة مريم، قبل ما تسمعين عن عيسى لازم تعرفين من هي مريم؛ حتى تنكري ما يمكن أن يقوله اليهود في مريم، لأن اليهود يتهمونها بالزنا -حاشاها-.

مريم كيف وُلدت؟

{إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}

وتقصد محررا يعني خالصا لخدمة بيت المقدس.

ثم هذه أم مريم تعرف ربنا؛ لأنها لما تتقرب لله بقربة فأول شيء تطلبه بعد أن تتقرب {فَتَقَبَّلَ مِنِّي} ثم تأتي بما يدل على علمها عن الله، يعني أمها تعرف الله معرفة تامة؛ لأنها قالت {إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}

١- إن: أبو المؤكدات ٢- ك (الضمير الدال على الله).

٣- (أنت) الضمير الظاهر.

٤- الألف واللام في (السميع)؛ دلالة الاستغراق يعني تسمع كل المسموعات مهما خفت.

والألف واللام في (العليم): دلالة الاستغراق تعلم كل المعلومات مهما دقت (أربع مؤكدات)

كل هذا يدل على أن أم مريم ذات علم بالله، وستفهمين بنتها كيف كانت، وطبعاً هي قالت هذا الكلام، وهي تعرف أن ما في بطنها ممكن يكون ذكر أو أنثى، لكنها كانت متأملة أن يكون ذكراً ولذلك قالت هذا. فالآن تبين معرفتها برب العالمين، ومعرفتها بما يجب على الإنسان وقت العبادة؛ ثم ماذا حصل؟

{فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۗ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (١)

فهي شاغلها النذر {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ} ثم جملة اعتراضية ومعناها في القرآن كمال البلاغة {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ} وفيها قراءتان:
١- {وَضَعْتَ} يكون من كلامها.

(١) [سورة آل عمران ٣٦]

٢- {وَضَعْتُ} يكون كلام الله (القراءة المشهورة)

• وهي على كل حال هي تعتذر عن النذر إن كان من كلامها، تقول
أنا أعلم أن الله يعلم ما وضعت

• أما إن كان من كلام الله فهو تقرير حتى تزداد اعتقادا.

ثم هي تقرر وتقول {وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَى} في هذه الوظيفة خاصة.

ثم {وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} هذا تأكيد على ديانة أمها، ومحافظةها على هذا المولود، فلما كانت تأمل أنه ذكر نذرته لله، ولما جاءت أنثى استعادت وعودتها وذريتها من الشيطان الرجيم.

الآن تأتي معاملة الله لها عدي:

١- {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ}

٢- {وَ أَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا}

٣- {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} على القراءة المشهورة

ثم يوصف الموقف بدخول زكريا عليها؛ وكيف هي كانت خيرا على
زكريا عليه السلام:

{كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا}

صفي مريم من هذا الكلام؟

{المِحْرَابَ} إشارة إلى أنها عابدة

{وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا} إشارة إلى كرامتها التي أكرمها الله بها؛ إذا هذه

كرامات الأولياء الأتقياء.

والآن هو يسألها ليس سؤال المتعجب، المستغرب، المستبعد، وإنما

سؤال من يزداد يقينا:

{قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَكَ هَذَا} هو متأكد أن هذا الأكل ليس من طريق

البشر؛ لا شراء، لا هدية؛ فأكد أن هذا الأكل الذي عندها كان به

ميزة يجعله يسأل عن ذلك؛ كان واضح أنه ليس من طريق البشر.

الآن ستقول كلامًا يدل على حسن تربيتها، ويقينها، ومعرفتها بربها

{قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} ثم قررت له تقرير {إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ}

إذا هي تعرف أن هذا من عطاء الله، وبيّنت له أن هذا الرزق كما أنه

من عند الله، فإنه يدل على أن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

وطبعاً هنا لما تقول {مَنْ يَشَاءُ} ما أثنت على نفسها بأي ثناء، وإنما أثنت

على الله، وهذا دليل التواضع، فما قالت هذه كرامة لي، ولأني عابدة؛

بل قالت {إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}

هذا الكلام بالمناسبة عن زكريا، لتعرفي البيئة التي عاشت فيها مريم؛

فلما رأت عينه ما أنعم الله به مريم طمع وازداد رجاءً في عطية الله،

لذلك قال ربنا {هُنَالِكَ} إشارة إلى هذا الموقف الذي بلغ فيه زكريا عليه السلام عين اليقين.

ماذا فعل؟

{هُنَالِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ}

ماذا يريد؟

{قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً}

هل دعا زكريا بولد للدنيا؟

يعني مع أنه طلب ولد والولد هذا في الدنيا؛ هو أرادته من أجل الدين، وبيان هذا المعنى في سورة مريم، فهو لا يريد الولد ليوثرته مالا، لأن «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَأُوْرثُوا الْعِلْمَ»^(١)

فهو يريد أحدا يرث منه العلم؛ فماذا قال؟

ما الفعل الذي يدل على معرفته بالله؟

{قَالَ رَبِّ هَبْ لِي} يعني يعرف أن الأبناء هبة، وكل مرة في القرآن يُذكر نعمة الأبناء تُذكر بهذا الفعل؛ بمعنى أن هؤلاء الأبناء هبة من الله عز وجل.

{هُبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً} ما وصفها؟ {طَيِّبَةً}

(١) المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الموارد الصفحة أو الرقم | ٦٨ : خلاصة حكم المحدث : حسن لغيره
التخريج : أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٢١٧١٥) باختلاف يسير، وابن حبان (٨٨) واللفظ له

ثم هو الآن أيضا يؤكد شيء مرّ عليك قبل {إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ}، وأم مريم قالت {إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

قال {إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ}؛ جاءت الفاء الآن مباشرة {فَنَادَتْهُ} وهذا لا يدل على أنه ما دعا طويلاً؛ لا تفهموا هكذا؛ بل دعا طويلاً، لكن في هذا الموقف بلغ اليقين عنده غايته {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ} يعني هو دعا كثيراً ليس هذه أول مرة يدعي فيها

ثم الآية التي بعدها

{فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} فالفاء تدل على سرعة الاستجابة {فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ}

الفاء دليل على التعقيب دليل على سرعة إجابة الله له، وأؤكد عليكم أن هذا لا يدل أن هذه أول مرة يدعو فيها زكريا؛ إنما هذه اللحظة التي صار فيها اليقين.

{فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ}

وهذه المرة الثانية التي تفهمين فيها هؤلاء الناس ما حالتهم؟ حالتهم: مصليين.

فهناك دخل على مريم وهي في المحراب، وهنا نادته الملائكة وهو قائمٌ يصلي في المحراب.

{أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا
مِنَ الصَّالِحِينَ}

لازم تتأملين في هذه الجملة العظيمة، فالملائكة الكرام لما نزلوا على
زكريا ما قالوا نحن نبشرك وإنما قالوا {أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ}
يعني معنى ذلك أن رب العالمين اعتنى بشأن زكريا؛ فأرسل الملائكة
توصل له هذه الرسالة؛ فهي بشرى له من رب العالمين وليس الملائكة
إلا ناقلين للبشرى.

وهذا الأمر وهو الاعتناء من رب العالمين بالخلق، ظاهر مع أنبيائه
وأوليائه؛ فكري في أم موسى لما أمرها الله تلقي موسى في اليم ثم أعاد
موسى إليها وعدها {فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (١)

يعني في هذه السورة {يُبَشِّرُكَ} وفي القصص {كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ}

إِذَا مَاذَا تَفْهَمِينَ عَنِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟

إنه يدبر التدابير خاصة لأهل الإيمان فيها البشرى وإزالة الأحران؛ هذا
الذي لازم تعتقدونه في رب العالمين.

{أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ} بمن؟ {بِيَحْيَى} يعني التسمية أتت من الله بيحيى

(١) [سورة: القصص ١٣]

عَدِّي الآن صفات يحيى {مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا
مِنَ الصَّالِحِينَ}

يعني هو قال {قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً} فأتت هذه الأربعة
أوصاف:

١- مصدقاً بكلمة من الله

٢- سيِّداً

٣- حصوراً

٤- نبياً من الصالحين

الآن يأتي رد زكريا:

{قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ} قَالَ كَذَلِكَ
اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١)

من شدة الفرحة {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي
عَاقِرٌ}

هل هذا الكلام الذي قاله من باب الاستبعاد؟

كلامه ليس فيه استبعاد عن قدرة الله، ولكن فيه تعجب من قدرة
الله.

ماذا قال من كلام التعجب؟ {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ}

(١) [سورة آل عمران ٤٠]

ثم الآن يضع الأعدار الطبيعية التي في الدنيا؛ الأسباب الطبيعية {وَقَدْ
بَلَّغَنِي الْكِبْرَ وَأَمْرًا تِي عَاقِرٌ} سببان؛ منه ومن امرأته.

فكان الجواب {قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} وهذه الجملة لازم
تحفظيتها جيدا، وتكونين ممن تتغنين بها، يعني كهذا الخارج عن
الأسباب {اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ}

ما الجملة التي تعتقدينها في رب العالمين؟

{اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ}

{كَذَلِكَ} كهذا الذي حصل {اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ}.

فمثلما قالت مريم {إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}؛ هنا قال الله
له {اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ}

ثم طلب دليل على وقوع الحمل:

{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ۖ
وَأَذْكُرَتِكَ كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} (١)

هل هذه الآية فيها آية؟

(١) [سورة آل عمران: ٤١]

هي آية له ليعرف وقوع الحمل، وهي نفسها آية.. كيف؟
يعني أداة الكلام موجودة سليمة، لكنه ممنوع عن الكلام مع الخلق،
وما يستطيع إلا ذكر الله؛ وهذا إشارة إلى أن الله قادر مع وجود
السبب، أن يمنع الانتفاع به.

في الكلام السابق {قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ}

١- هذا السبب الأول {بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ}

٢- ثم {وَأَمْرَ أَبِي عَاقِرٌ}، وهذا السبب الثاني..

فكأنه قال (كيف تأتي النتيجة بلا سبب)، هذا كلامه الأول

ثم في الكلام الثاني الأسباب موجودة لكن النتائج غير موجودة..

✓ يعني حمل زوجته مع ضعف الأسباب.

✓ عدم كلامه: السبب موجود، لكن النتيجة غير موجودة.

يعني تتابعت الآيات في الخبر عن أن {اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ}،

الأسباب ضعيفة والله أعظاهم، الأسباب صالحة وموجودة وما
استطاع أن يتكلم.

الآيتان تدلان على أن الأسباب ليست مؤثرة بنفسها، إنما {كَذَلِكَ اللَّهُ
يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ}.

بهذا راجعنا كل المقطع السابق، وانتهينا من البيئة التي عاشت فيها
مريم.

قصة ولادة عيسى (٤٢-٥١)

نرى الآن كيف أتت الخطابات لمريم:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ
عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ
الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ
يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤)
إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ
النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ
وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بِشَرٍّ قَالِ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ
أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ
اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا
تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
(٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ
عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي
وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١﴾

(١) [سورة آل عمران: ٤٢ - ٥١]

الآن نحن في المقطع الثاني من آية (٣٣) وينتهي عند (٥١) فيه (أحوال المصطفين الأخيار)، ويُقصد هنا خاصة الكلام عن آل عمران، أتى الخبر عن أم مريم، وعن زكريا، ثم أتى عن مريم مرة أخرى. والآن ظاهر لك أن مريم لها علاقة بالملائكة من آية (٤٢): **{وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ}** وهذا من باب التهيئة لها لما سيكون بعد ذلك، إذًا تعتقدون يقينًا أن الملائكة كلمتها وهذا من باب الكرامة. وهناك باب مهم جداً يبحثوا فيه، أهل الايمان، وهو الفرق بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان.. فهذا باب مهم جداً ضروري تبحثوا فيه؛ وهو الفرق بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان من جهة خوارق العادة.

إذًا تعتقدون أن مريم من أولياء الرحمن، ومن باب الكرامة الملائكة كلمتها، وأنت تؤمنين بالملائكة وتؤمنين أن لهم صلة بأهل الايمان؛ حتى أنهم حال قبض أهل الإيمان، يقولون **{نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}** ^(١)، يعني الملائكة كانوا مع أهل الإيمان يحيطونهم ويرعونه.

(١) [فصلت: ٣١]

وفي الحديث «**إِنَّ لِلشَّيْطَانِ مَمَّةً وَلِلْمَلَكِ مَمَّةً**»^(١)، يعني يلم بالقلب، يعني يلقي فيه أفكار الخير، فيكون طول الحياة لما يكون ولي من أولياء الله؛ وكلُّ تقي ولي، فكل أهل الإيمان أولياء لكن على درجات.

فالملائكة ماذا تفعل معهم؟

تلقي في قلوبهم ما يذكّرهم برّبهم.

لما يعيشون بهذه الطريقة فلحظة القبض يقولون لهم نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا، كنا أولياء لكم؛ نحبكم ونعينكم ونذكّركم ونرعاكم بأمر الله، ثم لما تأت لحظة القبض يكونوا معهم مبشرين، وتأتي لحظة الخروج من القبر فيكونون لهم مطمئنين، فهذه العلاقة مع أهل الإيمان جميعاً؛ لكن على درجات على حسب الاصطفاء..

فهنا في موقف مريم أنها قد اصطفاه الله، فقالت لها الملائكة:

{ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ }

يعني الملائكة بلغتها الرسالة

ما هي الرسالة؟

هذه الثلاث جمل:

١- اصْطَفَاكِ.

(١) الراوي: عبدالله بن مسعود | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان

الصفحة أو الرقم | ٩٩٧ : خلاصة حكم المحدث : أخرجه في صحيحه

التخريج : أخرجه الترمذي (٢٩٨٨)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١١٠٥١)، وأبو يعلى (٤٩٩٩) باختلاف يسير

٢- وَطَهَّرَكَ.

٣- وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ.

١- اصطفاك الأولى بمعنى: الأخلاق الحميدة، والأفعال السديدة.

٢- والثانية: اصطفاك على عالمي زمانها أو مطلقًا؛ يعني اصطفاك

بهذه الحال التي مُيزت بها، وهي أن تكون المرأة التي تحمل النبي

والرسول من غير الطريق المعروف عند الناس.

فالاصطفاء الأول كان الأخلاق الحميدة، والاصطفاء الثاني تفضيلها

على سائر نساء العالمين بما وقع عليها.

وفي وسط الاصطفاءين أتت {وَطَهَّرَكَ} من أجل تطمينها لما سيكون بعد

ذلك، من اتهام اليهود لها في عرضها؛ فالله طهرها وحفظ لها عرضها،

مهما تكلم الناس فيه.

وأكد أن هذا موقف صعب جدًا جدًا على المرأة العفيفة الشريفة،

التي تربت في بيت دين وخلق، من الصعب جدًا أن تتصور مجرد أن

يتهموها بهذا الاتهام؛ ولذلك في سورة مريم كادت أن تموت، فقال الله

لها مطمئنا {فَكَلِّبِي وَاشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا} ^(١) لأن هذا الشيء عظيم جدا

على المرأة العفيفة الشريفة، وهي تعرف يقينا أنها ما وقعت في باطل

(١) [مريم: ٢٦]

أبدًا ولا في معصية أبدًا، لكن مع ذلك مجرد كون أحد ممكن يقول عليها، أو تكون في حال مثل هذا، فهذا بنفسه يُدخل في النفس من الأحزان ما يُدخل؛ خصوصًا أنها رُعيت تمام الرعاية، وهي من بيت فيه النبوة؛ فصعب جدًا أن تكون سببًا للإتيان بالباطل على أهلها، لكن رب العالمين من أول الآيات، بشرتها الملائكة بأن الله طهرها، وأنها في حفظه سبحانه وتعالى مع اتهام المتهمين.

شكرًا على هذه النعمة أمرت بماذا؟

- ١- {يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ} هذا الأمر الأول: بمعنى لزوم الطاعة.
- ٢- الأمر الثاني: {وَاسْجُدِي} وهذه أفعال فيها دلالة على الذل والانكسار.

٣- {وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ}

إذًا في مقابل أن الله اصطفأها، وطهرها، واصطفأها على نساء العالمين:

ماذا سيكون منها؟ الشكر.

ما طريقة الشكر؟ العبادة.

يعني أنت مصلية صائمة، فأنت في حال شاكرة، فالصلاة والصيام إنما هي شكر لنعمة الله.

ومتى الناس ما يتصورون أن العبادات شكر لله؟

لما ما يشعرون بنعمة الله، ولما يظنون أن هذا النعيم الذي هم فيه من صحة الأبدان وأمان في الأوطان ويسر وسهولة في العيش، فيعتقدون أنهم هم الذين حصلوه! وعندنا هذه النعم كأنها مفروغ منها؛ قلة الشعور بالنعمة أو التعود عليها يجعل الإنسان لا يشكر ويظن أن العبادات تكاليف.

العبادات شكر للنعم التي يعيش فيها العبد، ولذلك أول ما يعصي الإنسان ربه، يفر إليه تائبًا، ويخاف من أن يعصي من أنعم عليه، فيغضب من أنعم عليه.

وهذه مع إساءة الأدب، يعني كيف ينعم عليك وأنت تعصيه؟ فأيضًا هناك الخوف من الحرمان من النعمة تأديبًا.

الله عز وجل غنيًا عن خلقه، لكن كل هذه العبادات التي أمرنا بها من أجل أن يأتيك المزيد، وإلا فالله غني عن عبادة خلقه.

لذلك {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} (١)
إذا آية (٤٣) فيها منهج مهم، الملائكة علّمته لمريم، وهو أن أمام الاصطفاء يكون الشكر؛ والشكر يكون بالعبادة.

(١) [سورة الذاريات: ٥٦-٥٨]

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم:

الآن الخطاب يأتي للنبي صلى الله عليه وسلم:

{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ} إشارة إلى كل الذي مضى

من عند {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}، {إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ}، {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ}، {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ}.

كل هذا من أنباء الغيب، وهذا إشارة إلى تطمين الرسول صلى الله عليه وسلم

وأن هذا وفد نجران الذي سيأتي لمجادلة النبي صلى الله عليه وسلم؛ أن الله معه وسيعطيه من أنباء الغيب ما يظهر الحق فيه ثم يعطيه الله أمرا؛ حتى نفسهم اليهود قليبي الكلام عنه يعني ما يعرفوه إلا خاصة أحبارهم ورهبانهم؛ لا يخفونه لشيء لكنه ليس من الأخبار المتداولة، وهي الطريقة التي حصل بها كفالة زكريا لمريم، هذه أشياء لا تُحكى إلا في خاصة مجالسهم، فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم ويقولها لهم إشارة إلى صدق نبوته:

{وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} (١)

(١) [سورة آل عمران: ٤٤]

يعني من أدلة صدقك: هذا الخبر؛ أنك عرفت الطريقة التي كفل بها زكريا مريم.

قال الله عزوجل **{وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ}** لتنقل الخبر؛ متى؟ **{إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ}** مسألة الاقتراع التي حصلت بين من أراد كفالة مريم، فاقترعوا بصورة ما، وألقوا أقلامهم أيهم يكفل مريم، **{وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ}** معنى ذلك أنه حصلت بينهم خصومة. هذه الأخبار ما يعرفها إلا خاصة بني إسرائيل، وإتيان النبي صلى الله عليه وسلم بها خبرا تكون دليلاً على نبوته.

الأحداث التي خوطبت بها مريم:

ستأتي الآن الأحداث التي خوطبت بها مريم، ولاحظوا أن السياق كله، فيه خطاب لمريم:

{إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ} الخطاب من الملائكة لمريم

وسنعد كل الجمل التي ستقولها لمريم:

{إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ}

مثلاً قيل لزكريا أن الله يبشرك، يعني لازالت البشرى في السابق وفي التالي، لكن بالنسبة لمريم كان الموقف ليس موقف بشارة، إنما كان موقف خوف، بحيث لما أتت هذه الكلمة كانت بالنسبة لها مصيبة، لكن سمّاها الله بشرى، لما سيكون من ورائها،

وهذا لما تتأملينه تفهمين أن في أمور كثيرة تمر علينا في الحياة نشعر بها، لما تنزل علينا كأنها مصيبة، وهي من بشرى الله لنا مثل هذه الحالة، سيبشرها بكلمة منه، يعني بولد بدون زوج، ولما تقرئين في سورة مريم تعرفي كيف كان حالها لما أتت هذه البشارة لكن الله سماها بشارة، إشارة إلى مآلها؛ فهي بشرى وقت مآلها، يعني في النهاية ستكون مذكورة، وسيظهر أثر الاصطفاء لها بهذه الحال أنها اصطفيت على نساء العالمين، بأنها تكون قد تحملت هذا الاختبار الصعب.

{إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ} بماذا؟ {بِكَلِمَةٍ مِنْهُ}

يعني بمن يُخلق بالكلمة، كلمة يعني (كن فيكون).

{اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} سماه الله المسيح عيسى ابن مريم. أي أن المسيح لقبًا له اشتهر به، وعيسى هذا اسمه، وابن مريم نسبه.

يأتي شيء من صفاته:

{وَجِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ}

أي أنه ذو جاه وشرف؛ وجيه أصلها من الجاه، يعني ستصبح له منزلة عالية عند الناس في الدنيا له منزلة، وأيضا وفي الآخرة.

{وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} وفي إشارة لطيفة أنه سيشابه الملائكة، لأن الملائكة من المقربين، كأن فيه إشارة لطيفة لرفعه إلى السماء، أي كالتنبيه اللطيف أنه سيرفع للسماء وتصاحبه الملائكة.

لازال الكلام من الملائكة لمريم:

{وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ} هذا أيضاً بيان لصفاته.

{وَكَهْلًا} يعني الكلام سيكون في المهد، وكهلاً لما يتقدم في العمر.

{وَمِنَ الصَّالِحِينَ} وهذه صفة من صفاته.

الآن كم صفة؟

أربع صفات:

١- {وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ}

٢- {وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ}

٣- {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا}

٤- {وَمِنَ الصَّالِحِينَ}

الآن هي تتكلم:

{قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ} هذا موقف طبيعي منها؛ أنه سيكون

مستبعد في ذهنها أن يكون لها ولد وهي في هذه الحال، وهذا من باب

الاستبعاد العظيم؛ أي كأنه مصاب عظيم.

{وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بَشَرٍ} يعني بالطريقة الطبيعية.

{قَالَ كَذَلِكَ} يعني قال الأمر كذلك، يعني كما حكم الله.

لذلك هنا يحسن الوقوف عند {كَذَلِكَ}.

ثم نبتدى: {اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} الأمر كذلك ولتعلمي أن الله يخلق ما يشاء.

{إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} أي أن كل حال يقضي الله فيها أمرًا، فكل القضاء إنما يقول {كُنْ فَيَكُونُ}

{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ}

لو تركنا آية (٤٧) ونظرنا لما قبلها وما بعدها:

{إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ} يعني يُخلق بكلمة؛ ثم أتى اسمه {اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} ما صفته؟ {وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ}

اتركي كلامها وانتقلي لما بعده:

{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ} يعني فبعد الأربعة

السابقات أتت الخامسة

ثم {وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ} أي ويبعثه الله رسولًا إلى بني إسرائيل.

فما هو التقدير الآن؟ ويبعثه الله رسولًا إلى بني إسرائيل.

ماذا يقول؟

لاحظي هنا دائما تأتينا مشكلة في الحفظ، تتصورين أن عيسى الذي يتكلم، لكن الآن الملائكة تقول لمريم هذا الذي سيحصل؛ أي ويبعثه رسولا إلى بني إسرائيل فيقول لهم؛ أي حكاية عما سيحصل

ماذا سيقول لهم؟

{أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ} أي يبعثه رسولا إلى بني إسرائيل قائلاً
{أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ}

وما هي الآية؟

{أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ} هذه الآية الأولى.

والثانية والثالثة: {وَأُبرئ الأكمه والأبرص} أي وأبرئ الأكمه وأبري الأبرص

والرابعة: {وَأُحي الموتي بإذن الله}

والخامسة: {وَأُنبيكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم}

وخاتمة الآية: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}

الآن سنرجع مرة أخرى لأول هذه الآية (٤٩) ونقف عند:

{أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ}

فعل {أَخْلُقُ} كيف تفهمينه بالنسبة لعيسى عليه السلام؟

الخلق هنا بمعنى التقدير، وهذا المعنى اللغوي يشهد له قوله تعالى

{فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (١)

يعني هل في خالق غير الله؟ لا، إذا ما المقصود؟

لكن الخلق هنا في اللغة بمعنى التقدير.

وهناك بيت من الشعر يُستشهد به دائماً وفهمك له سيفهمك معنى

كلمة الخلق:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

فما معنى هذا البيت؟

تفري: تنفّذ.

يعني أنت تنفّذ ما قدّرت، وبعض القوم (يخلق ثم لا يفري) أي يقدر ولا

ينفّذ؛ يعني يكلم آدمياً.

فأصل كلمة خلق يعني: التقدير، ومنه قوله تعالى في قوله تعالى

{الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} (٢)

فهذه الثلاثة أسماء معاً ما معناها؟

الخالق هنا الذي يقدر، والبارئ الذي يوجد، والمصوّر على هذه

الصورة.

(١) [المؤمنون: ١٤]

(٢) [الحشر: ٢٤]

لو أتاك اسم (الخالق) في أي موطن في القرآن وحده، فسيتضمن
الثلاثة أسماء هذه وهي (الخالق-البارئ-المصوّر)

يعني يصير معنى الخالق: الذي قدّر وجود الخلق، وأوجدهم على
الصورة التي قدّرها.

لو جاء الخالق مع البارئ المصور؛ فيصير الخالق معناها المقدّر،
والبارئ الموجد، والمصور على هذه الصورة.

الموطن الذي في الحشر هو الذي يصير الخالق معناه المقدّر، والبارئ
الموجد، والمصوّر على الصورة التي قدّرها.

إذا اشرحي لي {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}

هل في خالق غير الله؟

(الخالقين) سيقول لك أحد أن في خالق غير الله، لكن الخالق هنا
بمعنى المقدّر {أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} يعني أحسن المقدّرين.

يعني يحضرون مهندسًا عند أرض، ويقولون له: كم تقدّر نحتاج حديد
لنبي هذا الأمر؛ فيقدّر بعقله؛ التقدير هذا اسمه في اللغة خلق.

فلما تقولين {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} يعني تبارك الله أحسن
المقدّرين.

لما تقولين الله الخالق البارئ المصور؛ هنا الخالق بمعنى المقدّر.

لما تسمعين قوله تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} (١) يعني المقدر والموجد على الصورة التي قدرها.

انقلوا هذا الكلام من كتاب فقه الأسماء للشيخ عبد الرزاق البدر؛ شرح هذا في اسم الخالق البارئ المصور، وسيعلل في آخر كلامه معنى تبارك الله أحسن الخالقين.

إذَا الآن لما يقول عيسى عليه السلام {أَنِّي أَخْلُقُ} بصير ما معناها؟ أقدر.

{أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ} يعني يأتي إلى الطين ويقدره، ويشكله ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله..

يعني لا يخلقهم في أجنة؛ ليس آيته أنه يخلقهم في أجنة وإنما يقدر من الطين، يعني يجعلها تشبه الطير؛ مثلما تقولين الآن لمهندس قدر لي هذه المساحة كم أستطيع أن أبني فيها؟ فيرسم لك، وما تصير حقيقية إلا إذا بدأ في التنفيذ؛ فهو كأنه يرسم الطير- هي لا زالت شيئاً جامداً- فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله؛ فالنفخ هذا إنما يكون بأمر الله فيصبح طيراً.

انظروا لهذه الثلاثة أمور: النفخ، والإبراء، والإنباء؛ هي التي جعلت بني إسرائيل -النصارى منهم الذين ناصروا عيسى عليه السلام- يقولون عنه أنه إله.

(١) [الزمر: ٦٢]

ونحن لما درسنا في بداية السورة درسنا أمور تردّ على أقوالهم. سأقول لك هم ماذا يعتقدون، وأنت ذكّرني بالآيات التي هي عقيدتي في الله.  هم يقولون إن عيسى إله لأنه أنبأهم، وأعلمهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم:

الرد {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} (١)

ليس هذا فقط فأيضاً أمام العلم الذي يظنون أنه يعلم كل شيء، فهو لا يعلم إلا ما أنبأهم بما يأكلون وما يدخرون، ولكنه ما أنبأهم بكل شيء، ومر معنا في النقاش أن ما يأكلون وما يدخرون، **هل يعتبر غيب كامل، أم غيب جزئي؟** غيب جزئي فهذا لا يدل على أنه إله.

 هم يقولون مادام أنه خلق لهم من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فكان طيراً إذا هو إله:

← **{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ} (٢)**

إذا المقدمات التي في أول السورة تدل على بطلان اعتقادات النصارى، فيما جعل الله آية لعيسى عليه السلام.

هذا كله الملائكة تخبر مريم بذلك:

(١) [سورة آل عمران:٥]

(٢) [سورة آل عمران:٦]

{وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ} إِذَا سَيَقُولُ لَهُمْ أَنِي أَتَيْتُ مُصَدِّقًا لِمَا

بين يدي من التوراة.

{وَلَأَجَلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} يعني المفروض أن تستبشروا بي.

ولماذا حُرِّمَ عليهم؟

لأنهم شددوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم، فأتى عيسى من أجل أن يحل لهم بعض الذي حرم عليهم.

وسيقول لهم {وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا}

ويأمرهم بتقوى الله وطاعته.

{إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ} وينبههم أنه ليس إله وإنما عبد.

كيف جاء هذا التنبيه؟

{رَبِّي وَرَبُّكُمْ} يعني لست ربًّا ولا ابن للرب، ولا أي دعوى من هذه.

{إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ} ويترتب على ذلك العبادة {فَاعْبُدُوهُ}

وسيقول لهم أن هذه العبودية، المترتبة على عقيدة الربوبية {هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} وليس غيره.

الآية التي بعدها:

{فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} قَالَ

الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (١)

(١) [سورة آل عمران: ٥٢]

الآن انتقل السياق من أن الملائكة تكلم مريم، إلى الكلام عن عيسى مباشرة، يعني هنا سنقدّر تقديرًا كأنك تقولين:

وكان ما أخبر الله به فأمرهم وأرشدهم {فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ}.

يعني الملائكة بشرت مريم بهذا، وقالت لها سيحصل هذا كله قبل أن يحصل، قبل أن يحصل قالت لها هذا موقفه، وهذه آيته، وهذه حالته، فوقع مثلما قالت الملائكة، مثلما أمر الله؛ فكل الكلام السابق قد بلغ مريم قبل أن يقع فوقع كما بشرت الملائكة بخبر الله.

معنى ذلك أن مريم أم عيسى عليه السلام، قد بُشرت بكل أحوال عيسى عليه السلام، ومع ذلك كان من الصعب جدًا هذا الاختبار عليها، وصعب أن تواجه قومها بذلك.

إِذَا {إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ} فأين البشارة؟

أنه سيأتي وسيكون هذا حاله، وأنه سيكون وجيهاً، وسيكون من المقربين، ويكلم الناس في المهدي، ويحصل كذا ويبين لهم كذا ويقول لهم كذا. فهذا محتوى البشارة كل هذا.

فمن الضروري أن تفهموا أن مريم علمت بكل الأحوال التي سيكون عليها ابنها؛ أخبرتها الملائكة بأن كل هذا سيحصل، من باب التطمين والتبشير، وهذا كله من لطف الله.

معنى ذلك أن كل هذا وقع، فصدق الله فيما قال لها؛ فهذه الجملة الأخيرة بعد آية (٥١) تكتبين **فصدق الله فيما قال لها**؛ فحملت به من غير ذكر، فولدته وجيهاً، وكلم الناس في المهدي، وعلمه الكتاب والحكمة، وأرسله إلى بني إسرائيل، فأتم لهم الدلائل، ونفى الشبه، وبلغ ما أمره به ربه.

إذا الجملة المقدرّة بين **{إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ}** هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ {وَبَيْنَ {فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ} هِيَ: فصدق الله فيما قاله لها.

ثم انتقل السياق للكلام عن عيسى عليه السلام نفسه.
بهذا انتهينا من المقطع الثاني: وهو أحوال المصطفين الأخيار.

والمقطع الثالث: يدور حول أحوال الماكرين برسول الله.
الماكرين بأهل الاصطفاء من آية (٥٢-٦٣) وهذا المقطع الثالث في المقصد الأول هذا ما سنبدأه الأسبوع القادم بإذن الله.

اللقاء السابع من آية ٥٢ - ٦٣

٥٢ صفر ١٤٤١ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً، أن سهّل لنا هذه اللقاءات وجمعنا على كتابه، نسأله بمنّته وكرمه ألا يحرمنا من هذا الفضل العظيم، وأن يجعلنا ممن ازدادوا علماً، فازدادوا يقيناً، واقتربوا من رب العالمين، ودخلوا باب الولاية العظيم.

كنا في المرات الماضية قد مررنا على مجموعة مفاهيم ودخلنا في الأسئلة،

السؤال الأول: كان في آية (١٨) قوله تعالى {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ **وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ**} وشرحنا في اللقاء شهادة الله، وبقي شهادة الملائكة، وشهادة أولي العلم.

كنا الأسبوع الماضي مررنا على المقدمة التي أخبر الله بها عن آل عمران، والكلام عن اصطفاؤهم، وانتهينا من آية (٥١).

فأول هذا المقطع كان:

{**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**}^(١)

(١) [سورة آل عمران ٣٣]

ومن هنا عرفنا مسألة الاصطفاء وأن الله اصطفاهم، ثم أخبرنا في هذا الاصطفاء عن قصة خاصة وهي قصة امرأة عمران؛ فاصطفاء آل عمران ظهر في قوله تعالى {إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ}

- اصطفاء آدم واضح في سورة البقرة.
- واصطفاء نوح واضح فيما سيأتي من سور.
- واصطفاء آل إبراهيم ما أتى في سورة البقرة عن بني إسرائيل لأن آل إبراهيم يعني ذريته، ومن ذرية إبراهيم عليه السلام آل عمران.
- فبدأ توضيح اصطفاء آل عمران من عند قوله تعالى {إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ}

ما العبادات التي ظهر فيها أنها عابدة، ولذلك اصطفاهم الله؟

{إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا}

ما نوع النذر هنا؟

في نوعين من النذر:

١- نذر مطلق.

٢- نذر مقيد.

مثال للمقيد: يقول (إذا يا رب إذا أعطيتني ما أريد سأفعل كذا من

الطاعات) وهذا نذر مكروه؛ المشروط مكروه

لماذا مكروه؟

«وَنَبَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا،
وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ» (١)

يعني هو بخيلٌ بالطاعات فيشترط على ربنا إذا ربنا أعطاه فسيطيغه!
يعني كأن ربنا محتاج له!
ولذلك عقده يعتبر مكروه في الشريعة، لكن الوفاء به واجب.

لكن امرأة عمران كانت عبادتها نذر مطلق بدون شرط.
**ما هو النذر المطلق الذي في سورة الإنسان مدحهم الله {يُوفُونَ
بِالنَّذْرِ} (٢)؟**

النذر المطلق: هو أن يلزم الإنسان نفسه طاعة مشروعة زائدة على
الفرائض، تكون في حكم هذا الإنسان كالفريضة يعني واجبة عليه.
لماذا يفعل الإنسان ذلك؟ زيادة قربة، وطاعة.

مثل ما يرى الإنسان وقته يضيع ويتفقت عليه، يعني مثلا غدا الجمعة
والصلاة والسلام على رسول الله من الأعمال الفاضلة من أن تغرب
شمس هذا النهار إلى أن تغرب شمس نهار الجمعة، ليلة الجمعة ويوم
الجمعة؛ الصلاة والسلام على رسول الله في كل وقت فاضلة لكن في

(١) الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم ٦٦٠٨ :

(٢) [الإنسان:٧]

هذه الليلة وهذا النهار تكون فاضلة أكثر، وأعمال كثيرة يوم الجمعة لها بركتها الخاصة وأنت تتفلى عليك اليوم فماذا تفعلني؟ المفروض تهتم بوقتك؛ وأنا لا أنصحكم بهذا النصيحة لكني أفهمكم المثل، وجدت وقتك يضيع؛ فتقولين (أنا نذرت أن كل جمعة أنني ثلاثة أجزاء من القرآن في نهار الجمعة). فيصير هذا عمل مشروع وهو قراءة القرآن، ومقصودك به إلزام النفس من أجل زيادة التقرب إلى الله.

إذا هي: بماذا عبت الله؟

١- قالت {إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا}

٢- ثم **العبادة الثانية: {فَتَقَبَّلَ مِنِّي}**

وهذا معناه أنها تعرف ربنا، وتعرف أنها إذا أتت بالعبادة طلبت أن يقبل منها.

ثم حصل لها هذا وتقبلها الله قبولاً حسناً، وكفلها زكريا..

الفرق بين كرامات الأولياء وخوارق عادات أولياء الشيطان

ثم يأتي الموطن المطلوب: {كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا} وهذا الرزق إشارة إلى الولاية، يعني ولايتها لله عز وجل كان أثرها أن الملائكة تكلمها.

لأن سيأتينا بعد ذلك: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} (١)

فمعناه أن الملائكة كلمتها، والمفروض هنا ظهرت كرامات الأولياء، وقدرة الله.

هل هذه الكرامات تحصل لكل أحد؟

لازم في شروط لتحصل الكرامة، وأهم من ذلك قد تختلط كرامات الأولياء، بخزعבלات الشياطين؛ يأتي المخرفون ويتكلمون كلامًا كأنهم أصحاب كرامة..

فما الفرق بين كرامات الأولياء وبين ما يحصل من أولياء الشياطين؟

- ✓ نبدأ بأولياء الرحمن لهم كرامات.
 - ✓ وأولياء الشيطان لهم خوارق عادات.
- أولياء الرحمن وصلوا للولاية بالإيمان والتقوى.

ما الدليل؟

(١) [سورة آل عمران ٤٢ - ٤٣]

{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} (١)

هذه الآية الأصل في التفريق بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان. {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} يعني وصلوا إلى الولاية بالإيمان والتقوى.

هنا يوجد سؤال مهم: **هناك كثيرٌ من الناس مؤمنين متقين، فهل معنى ذلك كلهم أولياء الله؟**

في قاعدة تقول كل مؤمن تقي، فهو لله وليّ. **إذا كيف نصل للولاية؟** بالإيمان والتقوى.

هل هي عامة لكل مؤمن تقي؟ نعم عامة؛ كل مؤمن تقي، فهو لله وليّ. طيب أنت تقولين: **لماذا ما أرى كرامات؟**

نقول: هل الإيمان والتقوى، كل الناس متساويين فيهما؟ لا؛ الناس في الإيمان والتقوى درجات، كلما زاد الإيمان والتقوى، زادت ولاية الله. **ما هي ولاية الله؟**

(١) [يونس ٦٢ - ٦٣]

الولاية تبدأ من كلمة المحبة ثم النصر، فأنت تكونين من أولياء الله،
فالله يحبك وينصرك، ثم هاتي كل المعاني بعد ذلك؛ ويحفظك،
ويعينك، ويشرح صدرك... كل المعاني التابعة لهذا.
إذا كلما زاد الإنسان إيمان وتقوى زادت ولاية الله؛ يعني زادت محبة الله
للعبد.

فهذا كان الشرط الأول: ما يصير الإنسان ولي لله، إلا إذا كان مؤمناً
تقياً.

أما عند أولياء الشيطان تكون الولاية سببها طاعة الشيطان، كلما
زاد الفسوق، والعصيان زادت ولاية الشيطان.

ما هي ولاية الشيطان؟

يحبهم الشيطان، وينصرهم ويمكر لهم؛ فيصبحون أولياء له.

المسألة الثانية:

موقفنا من خوارق العادات بالنسبة لأولياء الرحمن، وخوارق
العادات بالنسبة لأولياء الشيطان:

عند أهل الإيمان تأتي خوارق العادات وقت الحاجات.

إذا هل شرط الولاية الكرامة؟

لا؛ الكرامات ليس شرط الولاية؛ يعني ممكن تحصل ولاية بدون ما
تحصل كرامات أي خوارق عظيمة للعادات، لكن الله يكرمه ويكرمه،

طول الوقت لأن وراء محبة الله للعبد أن الله يكرمه، ويوسع عليه، ويعطيه ويقنّعه ويوفقه ويشرح صدره، ويجعله دائماً مطمئناً؛ ففي إكرام من الله لمن يحبه الله، والله يحب العبد بسبب ماذا؟ لا تنسوا الكلمتين؛ الإيمان والتقوى.

طيب أولياء الشيطان وخوارق العادات؟

هل تأتي خوارق عادات مع أولياء الشيطان؟

نعم؛ تأتي خوارق للعادات، وما نسميها كراماً؛ نسميها خوارق للعادات.

ما سبب خوارق العادات؟ لأن هذا الولي للشيطان يزيد في العصيان. فالشيطان ماذا يفعل به؟

يجري على يديه خوارق العادات، لذلك ممكن تراه يطير في الهواء، ويمشي على الماء! والناس تعتقد أن هذه كرامة، لكن الشياطين يحمله على الماء، أو تجعله يطير في الهواء حقيقة، ولما تنظرين لأصل حاله تجدينه فاسقاً فكيف يكون فاسقاً وتحصل له خوارق العادات؟

نقول: نعم أولياء الشيطان تحصل منهم خوارق العادات...لماذا؟ لأنه كأنه يطيعه، يطيعه حتى يوصله لهذه الحالة.

هل الشيطان الذي عصى الله عزّ وجل في موقف خلق آدم عليه السلام هل له خارق عادة؟ نعم.

ما هو خارق العادة؟

خارق العادة هو مدة حياته الطويلة التي لا يشاركه أحد فيها، فهو خارق للعادة لأن العادة أن الناس يموتون، أما هو يبقى خالدًا إلى قيام الساعة إلى آخر إنسان يموت؛ فهذا يعتبر خارق للعادة.

هل هذا دليل رضا الله عنه؟

لا؛ بل هذا شيء خارق للعادة، ربنا أعطاه إياه، ولكنه ليس دليلا على رضا الله.

إذا نخرج بقاعدة مهمة:

إذا وُجدت خوارق العادات، فلا تدل على الولاية.

متى تجعلين خارق العادة يدللك على الولاية؟

لما تنظرين في حال الشخص نفسه:

✓ إذا كان مؤمناً تقياً أصبح خارقاً العادة، كرامة.

✓ أما إذا لم يكن مؤمناً تقياً، أصبح خارق العادة من ولاية

الشیطان.

في الأصل لو كان مؤمن تقي وجاءته الكرامة، المفروض يزداد ذلاً وانكساراً، وأول ما يبدأ يتكلم عن نفسه، لازم تعرفين أن نفس هذا الخارق للعادة، إنما هي من ولاية الشيطان.. لماذا؟

لأن المؤمن التقي لما تأتيه الكرامة، المفروض يزداد شكراً لله، وما يتكلم عنها أمام الناس.

لكن لو بدأ يتكلم ويقول (أنا تأتيني كرامات كذا وكذا)، فهذا أتى من جهة الشيطان.

لذلك لازم نفهم شيء هنا فهما جيدا لتتضح الصورة:

من هو المؤمن التقي؟

✓ مؤمن يعني محقق لأركان الإيمان.

✓ التقي الذي يتقي سخط الله بالقيام بالطاعات.

إذا أكد هذا المؤمن المحقق الإيمان بالله وبِعظمة الله صاحب ذل لله وانكسار، فإذا رأيت منه كبراً ويستعمل هذه الأشياء التي تحدث له ليعلو على الناس، لازم تعرفين أن هذه ولاية الشيطان.

ولا تنسوا أن الكرامات ليست شرطاً للولاية، فممكن يكون ولي بدون كرامات التي هي خوارق عالية للعادات.

ممكن واحد، يطلب من الله خارق للعادة؟

الأصل: لا؛ لأن هذا من الاعتداء في الدعاء؛ يعني ما يصير واحد يقول: (يا رب أحيي ميّتنا!) فهذا اعتداء في الدعاء.

خارق العادة يأتي من عند رب العالمين كرامة للإنسان، ويكون في أصله له في مصلحة.

الولاية المفروض تكون مطلب لكل الناس؛ اطلبي من ربنا أن يجعلك

وليّة، من هم الأولياء؟ {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}

لازم تخرجين من عقلك الأولياء الذين يتكلمون عنهم، أن فلانا ولي وله خصوصية وله كرامات..

خرجي هذا وأدخلي المعنى الشرعي للولاية؛ أن كل مؤمن تقي فهو لله ولي.

المفروض يكون هذا طموحك أن تكون ولي لله فيحبك الله وينصرك ويحفظك ويرعاك.

فهذا مطلب للمؤمنين؛ لأن الولاية دليل على أن الإنسان ازداد إيمانا، وازداد تقوى.

ما معنى كرامة؟ شيء خارق للعادة لمصلحة؛ يعني مثلاً في حال مريم يأتيها الطعام في وقت غير الوقت؛ على قولين:

إما طعام من الجنة، أو يأتيها طعام الشتاء في الصيف والعكس، والمقصد من هذا أن الله يزيد إيمانها، ويحضرها لما سيكون بعد ذلك.

لا تنسوا أنه ليس شرط الولاية وجود كرامة.

فنحن نطلب الولاية، حتى يحبنا ربنا، وليس لتكون لنا كرامة؛ فالكرامة هي خارقة للعادة لكن في إكرام من الله للعبد.

نرجع مرة أخرى لسؤال معنى شهادة الملائكة:

كيف شهدت الملائكة؟

الشهادة بمعنى الإقرار من الملائكة وأولي العلم؛ الملائكة بنفسها مقررة وإنزالها للوحي من شهادتها.

إذا هذا أمر؛ أن الملائكة شهدت بإنزالها للوحي؛ وبما نطقوا به من محامد أي ما أخبرنا الله من تسبيحهم وتحميدهم سواء كانوا حملة العرش، أو غيرهم من الملائكة.
إذا كان شهادة الملائكة في صورتين:

١- ما حملوه من الوحي وأنزلوه إلى الرسل وفي الحديث أن الله يتكلم بالوحي فيحصل لكل الملائكة في السماء ما يحصل في قلوبهم من الخوف الشديد، فتصيبهم الرهبة فيغشى عليهم، ثم يكون أول من يستفيق هو جبريل عليه السلام، وكلما نزل جبريل تسأله الملائكة: ماذا قال ربنا؟ قال: قال الحق وهو العلي الكبير؛ وهذا معنى آية سورة سبأ {حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ} يعني حتى إذا زال الفزع عن قلوبهم.

فمعنى ذلك كل الملائكة تشهد بهذا الحق، لما ينزل جبريل من السماء بالوحي فهذا من شهادة الملائكة.

٢- والأمر الثاني تسبيحها وتكبيرها وعبادتها في السماء من شهادة الملائكة أن لا إله إلا الله.

وما معنى شهادة أولي العلم؟

أولوا العلم هم في أنفسهم عالمين عابدين مؤمنين أتقياء شاهدين أن لا إله إلا الله، ودعوتهم وتعليمهم غيرهم، هذا أيضا نوع شهادة.

إذا لها وجهان أيضا؛ ما معنى أن يشهد أولي العلم؟

✓ في أنفسهم إقامة لا إله إلا الله

✓ وفي تعليمهم غيرهم؛ إذا كانوا مقبلين يعلموهم فهذه

شهادة، وإذا كانوا مدبرين يقيموا الحجة عليهم هذه شهادة،

إذا اكتبوا هذا الكلام عند آية (١٨):

شهادة الملائكة:

١- حملهم للوحي وإقرارهم به.

٢- تسبيحهم وذكرهم لرب العالمين.

شهادة أولي العلم:

١- إقامة العلم في أنفسهم.

٢- تعليمهم لغيرهم.

سؤال عن خوارق العادات لأولياء الشيطان هل السحر شرط لظهورها؟

لا؛ ليس شرط لأولياء الشيطان لتظهر عليهم خوارق العادات أن يكونوا سحرة؛ مجرد طاعة الشيطان وزيادة الفسق تبدأ تظهر له خوارق للعادة؛ لما يصل لحد يشرك الشيطان مع الله في طاعته؛ فالشيطان يجعله ولياً له ويجعله يمشي على الماء ويطير في الهواء؛ أحسن شيء لأجل أن تفهمي اقرئي الأحوال الشيطانية التي تكون عند الصوفية وهم يرون أنفسهم أنهم عابدين لله، ولأنهم دخلوا باب

البدعة الشيطان تلاعب بهم فجعلوا هذا الذي يفعلونه كأنه هو الدين، في كتاب مشهور لابن تيمية اسمه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان).

انتهينا من آية (٥١)

وفهمنا أن الملائكة قالت لمريم:

{إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} (١)

وأن الله سيؤتيه الكتاب والحكمة والنبوة، وأنه سيرسله رسولاً إلى بني إسرائيل وأنه سيقوم عليهم الحجة.

إلى أن وصلنا لقوله: {إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ} هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

ثم انتقلت الآيات من خطاب مريم رضي الله عنها إلى الكلام عن عيسى عليه السلام، وكما قلنا في تقدير بعد آية (٥١) فصدق الله فيما قال لها. {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ} (٢)

(١) [سورة آل عمران ٤٥]

(٢) [سورة آل عمران ٥١-٥٢]

مبدأ الكلام كان آية (٤٥): {إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكُمْ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} ما صفته؟ {وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} وأيضا {وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} وأيضا من صفاته {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ}

لما جاءتها البشري {قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ} {قَالَ كَذَلِكَ} أي قال الأمر كذلك

ثم ابدأي جملة جديدة: {اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (١) لا تنسي هذه الجملة لأنها ستأتينا مرة أخرى.

الله يبشرك بكلمة منه هذه صفاته ومن صفاته أيضا أنه {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ} (٢) وأنه سيبعثه {وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ} وسيقول لهم {أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ}، إلى أن نصل إلى {وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ} سيقول لهم هذا، وسيقول لهم {إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} بعد هذا كله تقولين: فصدق الله فيما قال لها؛

(١) [سورة آل عمران ٤٧]

(٢) [سورة آل عمران ٤٨]

فحملت به من غير ذكر، وولدتها وجيهاً في الدنيا، وكلم الناس في المهدي،
وعلمه الكتاب والحكمة، وأرسله لبني إسرائيل، وأقام عليهم الدلائل؛
يعني حصل ما أخبر الله به مريم؛ معنى ذلك أن مريم رضي الله عنها
عرفت هذا كله قبل أن يحصل.

الآن سنذهب لعيسى عليه السلام كأنه تم هذا كله، ثم يأتي الخبر عن
عيسى عليه السلام

المقطع الثالث من المقصد الأول.

ذكر أحوال الماكريين بأهل الاصطفاء (٥٢-٦٣)

المقطع الثالث من آية (٥٢ - ٦٣)

{ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا
آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا
وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عَيْسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ
وَرَأَيْتُكَ فِي السَّمَاءِ وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا
كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧) ذَلِكَ نَتْلُوهُ

عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨) إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ
آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا
تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ
فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا
وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَذَا لَهَوٌ
الْقَصِصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢)
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ^(١)

الآن هذا المقطع الثالث من المقصد الأول.

المقصد الأول: مجادلة أهل الكتاب التي بدأت من آية (١٨) الى آية
(١٢٠).

هذا المقطع الثالث منها من آية (٥٢-٦٣) وهو: **أحوال الكافرين
الماكرين، أو ذكر أحوال الماكرين بأهل الاصطفاء، وسنرى لماذا الله
سماهم ماكرين.**

{**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ**} يعني بني إسرائيل عاملوه معاملة
أحس بها منهم أنهم مكذبين له، بعدما جاءت كل هذه الآيات فما كان
منهم إلا الكفر.

(١) [سورة آل عمران ٥٢-٦٣]

{قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} يعني مَنْ مِنْكُمْ مَصَدَّقٌ بِمَا جِئْتُ بِهِ؟

من ردّ عليه؟ {قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ}

حواريّ: أتت من البياض، وسموا بذلك لسلامة قلوبهم من المعاصي. الحواريّ هو الرجل من بني اسرائيل التابع لعيسى عليه السلام، وأصل الكلمة من البياض إشارة لبياض قلوبهم؛ يعني خلوها من المعاصي؛ كما في الحديث المشهور: إن الذنب يُنكت بسببه نكتة سوداء، والطاعة بسببها يتنكت نكتة بيضاء.

«تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ» (١)

فهؤلاء إشارة إلى بياض قلوبهم بسبب طاعتهم.

ماذا قالوا؟ {نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} وما دلالة أنهم أنصار الله؟ يعني أنصار دين الله، دلالتها أنهم قالوا {آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}.

{وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} ماذا تفهمين منها؟ {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}، مسلمون الاسم العام لدين جميع الأنبياء.

معنى ذلك النصارى مسلمين، واليهود مسلمين.

(١) الراوي: حذيفة بن اليمان | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٤٤ :

ومن المسلمين فيهم؟ الذين شهدوا أن لا إله إلا الله، وشهدوا بأن الرسول الذي كان موجودًا في هذا الوقت رسول له أنه رسول من عند الله.

واليوم من المسلم؟

الذي يشهد أن لا إله إلا الله، ويشهد أن محمدًا رسول الله، وخاتم المرسلين؛ لازم يؤمن أنه خاتم المرسلين، والذي يؤمن بأن محمدًا خاتم المرسلين لأبد عليه أن يؤمن بموسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام، وكل من ذكر في القرآن أسماءهم؛ وبالإجمال يؤمن بأن هناك رسل لله تعالى، ما يكفر بأحد منهم، يؤمن بهم جميعًا.

طيب اليوم من يؤمن بعيسى عليه السلام، ويكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم؟ هل يصبح اسمه مسلم؟

لا؛ بل لازم يكون مسلم بالرسول الذي أرسل في زمانه ومتابع للرسول الذي أرسل في زمانه.

نحن في زماننا من هو الرسول؟ محمد صلى الله عليه وسلم.

المهم هم قالوا {نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} ثم اكتمل كلامهم فقالوا {رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ} هذه المفروض صفة كل واحد مسلم.

فإذا كان خاتم النبيين هو محمد صلى الله عليه وسلم؛ فالمفروض كل مسلم يقول آمنا بما أنزلت؛ **{وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}** بهذا انتهى كلام الحواريين.

ثم أتت الواو في قوله: **{وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}** والواو ترجع الكلام على أول من يصلح أن تعود عليه؛ **ومن أول من تصلح أن تعود عليه؟ {فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ}**.
وكيف أحس منهم الكفر؟ أنهم {وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ}
يعني هؤلاء اليهود أحس عيسى منهم الكفر، وهنا أحس منهم المكر؛
يعني صارت معطوفة على فلما أحس عيسى منهم الكفر، وأحس منهم المكر؛ يعني حس منهم بالأمرين من هؤلاء.

قبل ما نناقش حالتهم، **ماذا تعتقدون في الله؟**
تكررت كلمة المكر ثلاث مرات:

١- **{وَمَكْرُوا}**

٢- **{وَمَكَرَ اللَّهُ}**

٣- **{وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}**

فماذا تعتقدون في صفة المكر بالنسبة لله؟
صفة كمال مقيدة.

كيف مقيدة؟ كيف تصفين الله بها؟

تقولين يمكر الله بالماكرين؛ فلا تقولي الصفة لوحدها لله، بل لازم تقولين إنها في مقابلة من يمكر، يمكر الله بالماكرين.

مثال آخر غير المكر يصلح صفة مقيدة؟

{يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} (١) تثبتين صفة الخداع لله، صفة مقيدة في مقابلة من يخادعون الله ورسله.

ماهي الصفات المقيدة؟

هي الصفات التي لا تكون كمالا مطلقا، إنما تُذكر في حق الله في مقابلة من يعامل الله ورسله بها؛ ومن أشهرها المكر، والخداع، تعتبر كمالا إذا كانت في مقابلة من يعامل الله بذلك؛ فهي صفات لا تُطلق على الله إطلاقا؛ يعني لا تقولي الله ماكر، لا.. (تعالى الله عن ذلك)، إنما تقولين يمكر بالماكرين، ويخادع المخادعين.

{وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}

هم مكروا، أرادوا ماذا؟ أرادوا قتله.

مكر الله بهم كيف؟ أن شبه الله لهم.

ثم تأتي سورة النساء بالتوضيح؛ {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ

مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} (٢)

[١] [النساء: ١٤٢]

[٢] [النساء: ١٥٧]

يعني الذي أتى مجملًا في آل عمران أتى مفصلاً في النساء، وهذا من صفة القرآن، أن المواطن التي تأتي مجملة، تأتي السور بعدها مفصلة، فالبقرة فيها أمور مجملة أتت آل عمران وضحتها، آل عمران أتت أمور مجملة لأجل السياق أتت النساء وضحتها، والنساء فيها أمور مجملة تأتي المائدة توضحها وهكذا؛ بحيث ما أن تضعي بذرة من معاني القرآن في قلبك إلا السورة تلو السورة تسقيها، وتجدين المعنى قد امتد وأنت تقرئين السورة تلو السورة، وهذه من أسرار القرآن العجيبة.

إذا مكر الله بهم أن ألقى الشبه على أحد غير عيسى عليه السلام؛ وفي هذا قولين:

١- ألقى الشبه على أحد الحواريين، ثم ألقى الشبه على الجميع، فصاروا يقولون: (من منكم عيسى ابن مريم).

٢- رئيسهم الذي أتى ليقتل عيسى عليه السلام هو الذي ألقى عليه الشبه.

في كل الأحوال هم {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} هذا الكلام المفروض يُكتب في قلوبكم ويُحفر حفراً، لأن هذه العقيدة التي أنتم تأخذونها بسلاسة وسهولة، الأمم حولكم ضالين فيها، أعداداً بالملايين حولكم يعتقدون أن عيسى ابن الله، وأنه قُتل وصلب!

وأنت بكل يسر وسهولة تصلين إلى الحق الذي ينفعك عند الله؛ فلأزم تحمدون ربنا أن الأمور لهذه الدرجة يسيرة سهلة، ما فيها تعقيد، وهذا الذي يميز القرآن عن أي كلام، فكلام الفلاسفة معقد، لكن القرآن يسير وسهل.

لما دخلوا وهم يمكرون بعيسى، مكر الله بهم وألقى الشبه على الذي يريد قتله أو ألقى على الجميع؛ فاختلط عليهم الشأن، خلاص الأمر يسير جدا.

ثم يأتي بعد ذلك أين ذهب عيسى:

{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ} ^(١) يعني الله كلم عيسى، وعيسى سمع من ربنا هذا الكلام.

{إِنِّي مُتَوَفِّيكَ} ما معنى الوفاة هنا؟

كم قول في معنى الوفاة؟

١- بمعنى قابضك: مثل أن يقال عند العرب (توفي الدائن دينه، يعني قبض دينه).

٢- بمعنى النوم: مثل {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ} ^(٢)

٣- وفاة الموت.

أما الموت فهو مستبعد هنا، وهذا يظهر لما ندرس سورة النساء.

(١) [سورة آل عمران ٥٥]

(٢) [الأنعام: ٦٠]

يبقى القبض، والنوم، وما في مانع أن يجتمعا الاثنين.
فتقولين إن الله قبضه وهو نائم، بمعنى لما قبضه الله ليعلو في السماء
أنامه الله عزوجل لأجل الصعوبات التي سيمر بها من الأرض إلى
السماء.

في مقابل النبي صلى الله عليه وسلم لما أسري به، كان في حال من
الكمال، فخرج من مكة لبیت المقدس، وكان في يقظة، ثم رأى كل
الأحداث، ثم عُرج به إلى السماء، وهو في غاية اليقظة والتنبه.. فالحال
مختلفة.

المهم نعتقد هنا، في {مُتَوَفِّيكَ} يعني قبضه وهو نائم، أو الموتة
الصغرى وهو النوم.

ثم ثانيا: {وَرَأَفِعُكَ إِلَيَّ} يعني قبضه وهو نائم ورفعته إليه.

ثم الأمر الثالث الذي امتن الله به عليه:

{وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني سأطهرك مما يقولون؛ لأنهم يتهمونهم
أنه ابن زنى.

ثم يأتينا شيء لازم نفهمه جيدا:

{وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}

من الذين اتبعوه إلى يوم القيامة؟

هذا تفهمونه أكثر لما نفهم قضية نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، واتّباع أمة محمد ﷺ له، فتكون أمة محمد جمعت بين متابعة محمد صلى الله عليه وسلم ومتابعة عيسى عليه السلام في آخر الزمان.

{وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ} إلى هنا أتباعه من الحواريين {فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} هذا معناه أنه سيكون هناك أتباع عيسى يأتون بعد ذلك ويكونون فوق الذين كفروا؛ يعني قرب يوم القيامة أتباع عيسى يكونون فوق الكافرين؛ من سيكون هؤلاء؟ سيكونون المسلمون في آخر الزمان يتبعون عيسى عليه السلام.

{ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}

مرجع عيسى عليه السلام، ومرجع بني إسرائيل الذين كذبوا به.

{فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (١)

ثم أتى الخطاب الآن للنبي صلى الله عليه وسلم:

{ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ}

(١) [سورة آل عمران ٥٦ - ٥٧]

{ذَلِكَ} اسم إشارة عائد على كل ما مضى، من قصص هؤلاء الكرام
المصطفين.

زيادة على هذا المعنى أن هذه قصة عيسى عليه السلام أتى هذا الخبر
المهم، وهو أنه لا يلزم من عدم الأب والأم أن يكون آدم عليه السلام
ابنًا لله.

فلماذا جعلتم عيسى ابنًا لله، وما جعلتم آدم ابنًا لله؟!!!

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ} يعني صفة عيسى عند الله {كَمَثَلِ آدَمَ}
آدم ما مثله؟ {خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}

ارجعي لـ {كُنْ فَيَكُونُ} السابقة: في آية (٤٧) {اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا
قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (١)

يعني بهذا عيسى عليه السلام خلق بالكلمة، وآدم خلق بالكلمة.
فإذا كنتم ترون أن عيسى عليه السلام ابنًا لله، فمن باب أولى أن يكون
آدم عليه السلام ابنًا لله- تعالى الله عن ذلك- لكن مثل عيسى كمثل
آدم؛ إذ لا يلزم من عدم الأب والأم أن يكون آدم ابنًا لله، وكذلك
عيسى خلقه الله من الدم في رحم أمه، وقال له كن فكان.

وفي أول السورة {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ} (٢)

(١) [سورة آل عمران ٤٧]

(٢) [سورة آل عمران: ٦]

تأتي جملة مهمة فيها مخاطبة للرسول صلى الله عليه وسلم، وفيها مخاطبة لكل من يصلح له الخطاب:

{**الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**} يعني هذا هو الحق، وأي شيء غير هذه الأخبار باطل. أنت ماذا لابد أن تكون؟ {**فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**} الممترين يعني الشاكين؛ يعني لازم نلقى ربنا، وليس في قلوبنا نقطة شك في صحة هذا الخبر، ولازم يكون الخبر معروف عندنا بالتفصيل؛ أن هذه أسرة مريم رضي الله عنها، وهذه أمها، وهذه حالها، وهذه حال عيسى عليه السلام إذاً عند آية (٦٠) هذا ما يجب أن يعتقد المؤمنون؛ أن ما أتت به الأخبار (القرآن) هو الحق، وأي شيء غير هذه الأخبار فهو باطل، فالواجب علينا عدم الشك أبداً.

فإذا كان الممنوع الشك، فالمطلوب هو اليقين.

لا تنسي أن هذا يجب عليك أن تذكره دائماً، واذكر إذ قالت امرأة عمران؛ يعني واذكر إذ قالت امرأة عمران؛ يعني الواجب عليك أن هذا من المذكور.

يعني لما نتكلم عن ذكر الله سيكون واحد من أنواع ذكر الله ذكر ما أمرنا الله بذكره في القرآن الذي هو هنا، مثلاً ذكر امرأة عمران، وذكر مريم، وذكر عليهما السلام، كل هذا ما أمرنا الله بذكره، فيصير هذا من ذكر الله.

آية المباهلة (٦١)

ننتقل الى المباهلة:

{فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ
فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} (١)

بعدهما ظهر الحق، ونهانا الله عن الشك، ظهر عناد أهل الكتاب في عدم قبولهم لهذا الحق، حتى اضطر النبي صلى الله عليه وسلم إلى دعوتهم إلى المباهلة.

ما هي المباهلة؟

أول شيء يكون فريقان يتنازعان في أن الحق معهم، فيدعون بعضهم إلى المباهلة؛ فيخرجون هم وأولادهم وأزواجهم وأموالهم ويقفون في مكان مفتوح بحيث يصيرون فريقين؛ نقرأ الآية:

{فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ} وأيضا {وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ}

كلهم يخرجون ويصيرون مثل فريقين؛ ثم الرئيس من هنا والرئيس من هنا مع وجود الفريقين يقولان: (إن الكاذب منهما يموت مثلا قبل الصادق، أو في حياة الصادق، أو يهلك الليلة أو يهلك قبل أن ينتهي

(١) [سورة آل عمران ٦١]

الشهر) يعني يضعون أشياء معيّنة يجعلونها حدًّا؛ فاللعنة هنا يعني يُخسف بهم، أو يموتون ليس المباهل فقط لكن هو ومن معه. فالله أمر رسوله أن يباهلهم؛ يعني عاند أهل الكتاب حتى اضطر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مباہلتهم.

هل استجابوا للمباهلة؟ لا.. أعرضوا وبذلك انقطعت حجّتهم.

إذًا نكتب عند آية (٦١) ظهر عناد أهل الكتاب حتى اضطر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دعوتهم إلى المباہلة فأعرضوا وبذلك انقطعت حجّتهم، ودل على أنهم ليسوا على يقين من عقيدتهم، وظهر صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم من جهتين:

١- من جهة طلب النبي صلى الله عليه وسلم المباہلة لثقتة صلى الله عليه وسلم بوقوع العذاب عليهم.

٢- ومن جهة تركهم هم للمباہلة، شهادةً منهم على أنهم كاذبين؛ لخوفهم من العذاب الذي سيقع عليهم لو باهلوا.

الآن ختام هذا المقطع الذي ابتدأناه من عند **{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ}** (١).

{إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ} (١) إشارة إلى كل ما مضى مرة أخرى في حق عيسى عليه السلام.

(١) [سورة آل عمران ٣٣]

{وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ} يعني بعد ما عرفت القصة ظهرت لك بطلان

ألوهية عيسى، وما من إله إلا الله

وهذا الذي بدأناه من بداية السورة أن الحروف المقطعة، وذكر

الكتاب، يفصل بينهما آية وهي {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (٢) وهذه

السورة الوحيدة التي بها فاصل بين الحروف المقطعة وذكر الكتاب

لاظهار ألوهية الله، وبعد ما انتهت القصة نفس النتيجة خرجنا بها؛

بطلان ألوهية عيسى عليه السلام وما من إله إلا الله.

{وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (٣) هذا أكيد يذكركم بأول السورة

{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ} (٤)

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ} (٥)

وهذا الذي حصل منهم، أنهم كذبوا على الله، وافتروا، ولما ظهر

القصص الحق ما قبلوا به، ولما أتت المباهلة كفاصل بينهم هربوا منها.

(١) [سورة آل عمران ٦٢]

(٢) [آل عمران: ٢]

(٣) [سورة آل عمران ٦٢]

(٤) [سورة آل عمران: ٦]

(٥) [سورة آل عمران: ٦٣]

{فَإِنْ تَوَلَّوْا} وهربوا {فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمُفْسِدِينَ} يعني أنت الآن ليس لك بهم شأن.

ثم يأتينا بعد دعوة المباهلة، الدعوة إلى أصول الدين إن شاء الله في اللقاء القادم.

اللقاء الثامن من آية ٦١-٦٨

٣ ربيع الأول ١٤٤١ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. بسم الله توكلنا على الله.

مراجعة على ما سبق وعقيدتنا في عيسى عليه السلام

نبدأ إن شاء الله اليوم من حيث انتهينا المرة الماضية، انتهينا من المباهلة، وعرفتم ما معنى المباهلة.

ما معنى المباهلة؟

{فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} يعني حاجك بعد كل هذا البيان، لاحظوا أنهم وفد نجران، جاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم وادعوا أن معهم الحق.

فممكن سؤال يقول: لماذا النصراني ولم يباهل اليهود؟

هذا سؤال ما يأتي لأن اليهود موقفهم، ليس كموقف النصراني، إنما النصراني ابتعثوا وفدًا من أحبارهم ورهبانهم، وقالوا نحن معنا الحق واسمع منا، فما جاوروه، ولا حصلت مناقشات، ووافق جزء منهم، وجزء منهم تكلم وأظهروا الإيمان فترة وأبطنوه؛ اليهود أهل خبث يلفون ويدورون، فما في مواجهة.

المواجهة التي تقول نحن على حق، وأنت على باطل، إنما أظهر لنا أدلتك.. بهذه الطريقة.

أما وفد نجران جاء أحبارهم ورهبانهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له الحق معنا..

من عند **{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}** (١) وكلما تلوت هذه الآية، لازم تفكرين في مقدار سمو هذا الطرح؛ لأنهم لما أتوا للنبي صلى الله عليه وسلم أتوا لشخص معه دين، يريد أن ينافس النصراري ويريد أن يقول لهم: (أنا أحسن من عيسى!) فأول ما بدأ معهم النقاش الفعلي لهم ما قال لهم: (الله اصطفاني)، ولم يجعل حتى اصطفائه تابعًا.

إنما قال **{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ}**، وكل الناس متفقين على آدم، **{وَنُوحًا}** وما أحد ينكر نوح، **{وَآلَ إِبْرَاهِيمَ}** وهم منتسبون لإبراهيم، **{وَآلَ عِمْرَانَ}**، حتى ما قال لهم: (وآل محمد)، ولا قال لهم: (محمد) ولا دخل صلى الله عليه وسلم، ولا أمر من ربه أن يدخل في هذه المنازلة الحقيرة التي تجعل الإنسان يريد أن يبرز نفسه فيستعمل الحق ليبرز نفسه.

بل قال **{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}**، ثم أكمل في الثناء عليهم فقال **{ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ}** في الإيمان والصلاح، بدليل أول شيء سيأتي بعدها **{إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ}** بمعنى: تريد أن تعرف الحق، سأبدأك من هذه العائلة المصطفاة.

(١) [سورة آل عمران ٣٣]

أي يقول لوفد نجران: (سأبدأكم بالأخبار من سيرة هذه العائلة المصطفاة).

بداية هذه العائلة المصطفاة {إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ} فمُدحت امرأة عمران، ووُصفت بالعبادة والطاعة {إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي} فهي تعرف أن هذه العبادة، عبادة النذر غير المشروط، حتى لو نذرت فما ينفع هذا النذر إلا إذا قبله الله، فهي عابدة خاضعة، لذلك أول شيء قالته بعد العبادة {فَتَقَبَّلْ مِنِّي} ثم وصفت رب العالمين **بماذا؟** {إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} كأنها تقول أكيد: إن - ك - أنت - ال سميع - ال العليم: أو نقول الجملة الاسمية.

يعني وضعت مجموعة مؤكدات تقول: أكيد أكيد أكيد هذا وصفك أنك أنت السميع العليم.

فلما أقول لك مؤكّد يعني كأنها تقول بلسانها، أكيد على الأقل أربع مرات.

فهذا كله أن النبي صلى الله عليه وسلم يمدح امرأة عمران، يقول إنها عابدة وتعرف ربنا، فلما جاء وفد نجران واجه النبي ﷺ، فالمفروض كان يصلهم من كرم أخلاقه ومن إبلاغه للرسالة أن الرسول حق، أن الرسول ما أدخل نفسه في هذه المسألة أبدًا، ولا قال لهم أنا أفضل من عيسى؛ بل بدأ بالثناء على هذه العائلة.

لما تقرؤون هذه الآيات، اقرؤوها قراءة من يستعد للشهادة مع عيسى عليه السلام يوم القيامة على قومه.

لأنك من عقيدتك أنه يوم القيامة، سيأتي الله بأمة محمد ﷺ، وسيأتي بالنبين وسيسأل كل نبي، وهو أعلم سبحانه وتعالى: **هل بلغت؟**

فيقول: نعم ربي بلغت، فيسأل الأمة مثل أمة نوح، كما في الحديث الصحيح في البخاري؛ ماذا تقول الأمة؟ قالت أمة نوح: ما جاءنا من نذير، فيقول الله لنوح: هل لك شهداء يشهدوا أنك بلغت؟ فيجيب نوح عليه السلام: نعم محمد وأمته. (١)

فأنت الآن تستعدين كأنك ذاهبة للشهادة، وهذا الذي يحصل مع نوح، سيحصل مع بقية الأنبياء كلهم.

وفي رواية أن الأمة المشهود عليها، بعدما تنتهي الشهادة، تأتي لأمة النبي صلى الله عليه وسلم وتقول لها: كيف تأتوا بعدنا وتشهدوا علينا؟! لأن الطبيعي من يشهد عليك الذين معك.

فتقول أمة محمد: قرأنا كتاب الله فأما وصدقنا.

(١) يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيِّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: ١٤٣]. والوسط: العدل.

الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري

فكأننا شاهدين، حاضرين؛ فلما تأتيك أخبار الأنبياء، فلا تمررنيها كأنها ما تعنيك.

فكل سورة آل عمران مهمة، لكن أهم مقطع فيها، لازم يبقى على لسانك دائماً، هو هذا المقطع إلى نهايته؛ لازم أن تعرفي عيسى عليه السلام من أين أتى؟، وأين ذهب؟ هذه العقيدة لازم تكون ثابتة عندك.

من أين أتى عيسى عليه السلام

من أين أتى؟

{إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ۖ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (١)

الآن الثناء على مريم:

{فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا}

اذكري كرامتها:

{كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (٢)

(١) [سورة آل عمران ٣٥ - ٣٦]

(٢) [سورة آل عمران ٣٧]

كل هذا يدل على صلاح هذه المرأة، وأنها من أولياء الله الصالحين، كما
تناقشنا في أولياء الله؛ فهذه عقيدتك في والدة عيسى عليه السلام.
وفي السياق لازم تقرئين عن زكريا، لتتذكري أن هذا حال حتى من
كفلها، فهو بيت علم، وإيمان، وتقوى واصطفاء.

حتى تصلي إلى:

{وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى
نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} ^(١) شُكْرًا لِهَذِهِ النِّعْمَةِ: {يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي
وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} ^(٢)

ثم يأتي الكلام للنبي صلى الله عليه وسلم {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ
نُوحِيهِ إِلَيْكَ}

ثم نرجع للكلام عن مريم لنعرف من أين أتى عيسى عليه السلام:
{إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ} يعني عيسى الآن بشارة.
{بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} ^(٣)

وستقارني في عقلك بين

(١) [سورة آل عمران ٤٢]

(٢) [سورة آل عمران ٤٣]

(٣) [سورة آل عمران ٤٥]

✓ {إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ}

✓ وهناك مع زكريا {أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ}.

👉 فهنا {يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ} يعني من سيُخلق بالكلمة..

وهذه من أول عقيدتك.

👉 في مقابل مع زكريا {أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِبَيْحِي} بيحي مباشرة.

ثم لُقِبَ اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وعدّي صفاته:

{وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ} (١)

الآن يأتي استقطاع لهذه الصفات ردها؛ امرأة ذات طهر، وعفاف، في بيت نبوة، تربّت في المحراب، مصلية عابدة.. كم صعب عليها أن يقع عليها هذا الخبر!

لكن تفاصيل هذه الصعوبة، ما أتت في آل عمران، لكن أتت في سورة مريم، والسبب أن هنا يُعرض لنا ما يجب أن نعتقده في مجيء

(١) [سورة آل عمران ٤٥-٤٦]

عيسى عليه السلام، وليس النظر إلى مريم، بل النظر إلى من أين أتى عيسى؟

عرفنا صفاته و انقطع الكلام أنها ماذا قالت؟ {قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ}

رأيتم كيف تعجب زكريا واستبعد هذه المسألة رغم أن هو سائلها، ورغم وجود الأسباب الضعيفة لكن هي استعجابها سيكون أعظم فقالت:

{قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ} يعني قال الأمر كذلك.

وتعليقه:

{اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يعني ما العجيب؟ {إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}

ثم عادت الآيات تذكر صفاته:

{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ}

وهذه الآية المفروض أن تزيدهم إيماناً أنه رسول من عند الله، لكن بالنسبة للنصارى الذين انحرفوا كانت هذه الآية سبب لانحرافهم بدلاً ما تكون سبباً لإيمانهم..

ما هي الآية؟

{ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ } (١)

وختمت الآية بشيء مهم جدا نفكر فيه:

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } يعني: إن كنتم مستعدين للإيمان فهذه آية لكم.

وأتى بما يدل على صدقه أن ما جاء به ليس بغريب على ما سبقه من النصوص:

{ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلٍ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ } فالمفترض أن يحبونه لأنه يحل لهم بعض ما حرم عليهم.
{ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا } (٢)

فالمطلوب منكم اتقوا الله وأطيعوا وليس تعبدوني.

ومما يؤكد ذلك هذه الجملة الأخيرة { إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } (٣)

صراط مستقيم: وهو التوحيد.

(١) [سورة آل عمران ٤٩]

(٢) [سورة آل عمران ٥٠]

(٣) [سورة آل عمران ٥١]

إذا إلى هنا عرفنا عيسى من أين جاء.

أين ذهب؟

آل عمران حلت لهم مشكلة عندهم من جهتين.. وأنت لازم تعيدن هذه الآيات مستعدة للشهادة.

{ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ }

يعني لما بين لهم الآيات، وقال لهم **{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }**

طيب هم ما وصلوا للإيمان، أكملو لتصوا للكلمة المهمة التي تربط سورة آل عمران ببعضها

{ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ }

الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }

لازم تعرفون أن الإسلام دين جميع الأنبياء لأنهم قالوا **{ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }**.

ثم يكمل الحواريون:

{ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ }

اتركي الحواريين، وارجعي **{ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ }**

{وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (١)

{وَمَكْرُوا} يعني الكافرين.

{وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} ما حُكي لنا هنا ماذا فعلوا، إنما حُكي في سورة النساء.

لماذا حُكي ما فعلوا في سورة النساء ولم يُحك في سورة آل عمران؟

في سورة النساء ابتدأت الآية {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ

مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ}

وقولهم: يعني قول بني إسرائيل.

فالجريمة جريمة اليهود، فلما أتى السياق في النساء كان في تقبيح

أحوال بني إسرائيل اليهود، فكان هذا واحد من قبائحهم.

أما هنا في آل عمران الكلام مع النصارى؛ فلما كَلَّمَ النصارى ما حكي

لهم قبائح اليهود؛ وهذا يعلمك الأدب الرفيع، فأتى كلاما موجزا

{وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} ماذا قالوا؟ ماذا ادّعوا؟ ماذا

قال لهم رب العالمين؟ لم يُذكر في آل عمران لأنه السياق في الكلام مع

النصارى، فما قبّح الله اليهود وهو يخاطب أعداء اليهود؛ لكن

بالإجمال: {وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}.

(١) [سورة آل عمران ٥٤]

القضية هنا أين ذهب عيسى؟

فكل الكلام مع وفد نجران في كلمتين مختصرتين:

من أين أتى عيسى، وأين ذهب عيسى؟ فعرفنا.

لذلك تعرفين عند {هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} (١) انقطع النقاش لأن إلى

هنا انتهى الكلام، عن (من أين أتى؟).. وبقية (أين ذهب؟)

عقيدي عن (أين ذهب عيسى عليه السلام) (٥٥-٥٨)

وبقية الآن أين ذهب:

{إِذْ} يعني: واذكر هذا الحدث العظيم.. ما هو الحدث؟

{قَالَ اللَّهُ} يعني شيء عظيم، أخبرنا به أنه حصل في الملكوت الأعلى.

قال الله منادياً عيسى عُدّوا:

{يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ كِتَابَكَ بِإِذْنِ رَبِّكَ فَارْجِعْ}

١- {مُتَوَفِّيكَ}

٢- {وَرَأْفِعُكَ إِلَيَّ}

٣- {وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}

٤- {وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}

أربعة أمور تضعها في عقيدتك كالشمس:

(١) [سورة آل عمران ٥١]

{مُتَوَفِّيكَ} ناقشناها وهي من المتشابه، وقد ابتدأت السورة بـ {مِنْهُ} آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ (١)

كلمة متوفى: تحتمل التوفية بمعنى:

✓ القبض

✓ وتحتمل النوم

✓ وتحتمل الموت.

أما الموت فهذا خارج الموضوع، لأنك تعتقد أن في آخر الزمان، سينزل عيسى عليه السلام وما يتبع ذلك النزول.. إذاً هو لم يمت حتى لو قرأت في بعض التفاسير من أخطأ في بيان هذه الآية، لازم تعرفين أنها متشابهة، يعني يشتبه على القارئ معناها، لكن أنت تفهمين ما يوافق بقية النصوص لأننا قلنا فيه آيات محكمات، وفي آيات متشابهات، ففي نوع من التشابه لا يعلمه إلا الله، مثل كيفية الصفات وكيفية الجنة.

لكن في نوع آخر يأتي في موطن فيه إجمال أو مشتبه، ويأتي موطن آخر يوضحه.

كلمة متوفى كلمة محتملة، فلو جئت بقية النصوص في عقيدتك في عيسى ستعرفين أن كلمة متوفى ما تحتمل معنى الموت المعروف.

(١) [سورة آل عمران ٧]

إذا تحتمل النوم، أو التوفية بمعنى القبض، وممكن كما ذكر أهل العلم تحتمل المعنيين (النوم، والقبض).

إذا عقيدتك أين ذهب عيسى؟

تقولين إن الله أخبر في سورة آل عمران، بعدما أخبر أن اليهود مكروا به {وَمَكَّرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (١)

قال الله:

{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ زِكْرَكَ مِنَ اللَّهِ وَإِنِّي مَتَوِّفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (٢)

ومما يزيدك أن التوفي معناه أنه عليه السلام لم يمت أنه سيتوفاه ثم يرفعه إلى السماء؛ فما في ميزة لمسألة الرفع لو مات الموتة الطبيعية مثل الناس.

ولازم تعرفين {وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} فيها إشارة لطيفة إلى ما سيحصل في آخر الزمان؛ من نزول هـ

(١) [سورة آل عمران ٥٤]

(٢) [سورة آل عمران ٥٥]

عليه السلام، وارتفاع أتباعه على كل أحد في الأرض؛ وأتباعه في تلك اللحظة سيكونون المسلمين، بالإضافة لمن يؤمن به من اليهود والنصارى يعودون فيدخلون الإسلام ويتبعون عيسى عليه السلام؛ فأتباعه سيكون ظاهرين إلى يوم القيامة.

إِذَا عَرَفْنَا مِنْ أَيْنَ أَتَى عَيْسَى؟ وَإِلَى أَيْنَ ذَهَبَ؟ وَهَذِهِ أَصْلُ مُشْكَلَةِ النَّصَارَى.

فما تحفظين آل عمران، وفي النهاية ما تعرفين عقيدتك، بل الآيات التي تميز عقيدتك، لازم تتغني بها دائماً. وهذا الشأن لا تمرّوا عليه في القرآن، مثلكم مثل أي أحد يقرأ القرآن كأنه يقرأ جريدة..

فأنت تستعدين للقاء الله، فإذا بُعث ما في القبور حُصل ما في الصدور.

ماذا تُكَنِّين في صدرك من عقائد؟

ستنتشر نشرًا يعني ستخرج كأنها صحف؛ أعتقد في عيسى كذا، وأعتقد في نوح كذا، وأعتقد في إبراهيم كذا.. ستنتشر نشرًا، وتوضع في الميزان، فممكّن تزن الجبال الرواسي، وبها ينجو الإنسان.

لا تستهيني بما تعتقدون؛ أولاً ما تعتقدون، ثم ثانياً ما تعملون.

والحمد لله أن ربي يسّر الاعتقاد، والكلام سهل جداً، ونحن نقرأ ما كنا محتاجين نعرف إلا كلمة، أو كلمتين، وباقي الكلام سهل يسير.

فالحمد لله الذي يسّر عقيدتنا، والحمد لله الذي يسّر لنا قراءة القرآن، والحمد لله الذي يسّر لنا الاجتماع عليه.

الله يجعلنا من الشاكرين الذاكرين، ويديم علينا النعم ويحفظها أبدا.

ثم أشير لكل ما مضى

{ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ} (١)

وليزيد البيان وتنقطع الحجة تماما:

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}

وعيسى عليه السلام مثله، من جهة كونه خلق من هذه الطريقة، لكنه ليس من تراب، إنما من دم؛ قال الله: كن فكان في رحم مريم عليها السلام؛ بذلك انقطعت الحجج.

{الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (٢)

يقال للنبي صلى الله عليه وسلم لا تشك أبدا في هذا، ونحن من باب أولى، ولازم تعلمون أن دخول الإلحاد وغيره من أفكار إنما السبب أن هذه الأفكار أتت على قلب خال من الاعتقاد الصحيح؛ فلما يسبق الباطل إلى القلب قبل الحق يتمكن منه،

(١) [سورة آل عمران ٥٨]

(٢) [سورة آل عمران ٦٠]

والشاعريقول: صادف قلبًا خاليًا فتملكه.
لازم تملأين قلبك اعتقادات صحيحة لأجل ألا تهجم عليك اعتقادات باطلة.

المباهلة (٦١)

بعدما ظهر أنه الحق، وما هم راضيين يقبلونه، ومصرين أنهم أهل الحق؛ **فبماذا أمر الله رسوله؟**
بدعوتهم إلى المباهلة، بناءً على عنادهم.

فما هي المباهلة بالآيات؟

ستباهل من؟

{ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ** } **الضمير عائد على من؟** على الحق السابق أو عيسى

{ **مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ** } **ماذا نفعل معه؟** { **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** } (١)

اشرحها عملياً؟

(١) [سورة آل عمران ٦١]

النبي صلى الله عليه وسلم سيكلم وفد النصارى، ويقول لهم: (تعالوا
نجتمع للمباهلة)

مباهلة: من كلمة (ابتهال) يعني الدعاء،

يقول لهم (تعالوا مادام ما وصلنا في النقاش إلى نتيجة، وأنتم مصرين
أنكم أهل الحق، فخلاص صرنا فريقين: نحن ندّعي أننا أهل الحق،
وأنتم تدّعون أنكم أهل الحق، والمخاصمة هذه ما يحكم فيها إلا رب
العالمين، فتعالوا أنتم ونحن، ويدعو كل فريق على أهل الباطل من
الفريقين: أن الكاذب منا، تقع عليه لعنة الله).

فالنبي صلى الله عليه وسلم وأهله وفريقه يقولوا الكاذب منا تقع عليه
لعنة الله، والآخرين وفد نجران يقولون: الكاذب منا تقع عليه لعنة الله.
أو لو جئنا بمثال معاصر لهذا المعنى: بحيث تكون النتيجة أن الله
يحكم فيهم، بمعنى بعدما تنفض هذه المباهلة، متوقع أن تقع لعنة الله
يعني الموت أو الهلاك على الكاذب منهم؛ ووقوع هذا له أشكال.

الشاهد: هل قبلوا المباهلة؟ لا.

هذه الدعوة للمباهلة دليل زائد على أن النبي صلى الله عليه وسلم
صادق، وأنهم كاذبون.

هنا ممكن يأتي سؤال: هل المباهلة لازالت في هذا الزمان موجودة؟

نعم؛ في كل زمان لازالت المباهلة شريعة في كل زمان..

ومن أشهر المباهلات المعاصرة، مباهلة رئيس القاديانية، فقد اجتمع علماء الهند وباكستان في طرف، وإمام القاديانية وجماعته في طرف. أما جماعة علماء الهند وباكستان كان يرأسهم الشيخ أبو الوفاء ثناء الله-هذا وقت ما كانت الهند هي مكان التوحيد- وإمام القاديانية اسمه غلام القادياني.

كانت هذه المباهلة تحاجّ في كذب ما ادّعاه إمام القاديانية، وفي بيان أن الإسلام بريء من هذا، وكانت المباهلة على أن يموت الكاذب منهما في حياة الصادق؛ يعني كلهم قالوا نفس الكلام (أن الله ينزل الموت على الكاذب منا في حياة الصادق).

فماذا كان بعد المباهلة؟

لم يستغرق غلام القادياني سوى شهر وعشرة أيام، وكان ميتًا ميتة شنيعة، حيث أصيب بالكوليرا وهذا كان مرضًا مشهورًا، وصار -أجلكم الله- يخرج برازه من فمه، ومات منكوسا على وجهه في الحمّام؛ نعوذ بالله من سوء الخاتمة؛ كان هذا بالتاريخ الأجنبي في عام ١٩٠٨ م يعني شيء معاصر يُعتبر.

إذا المباهلة تكون في أي زمان.

وحدثنا كان في مباهلة في إحدى دول الخليج بين أهل السنة والروافض ونتائجها لم تظهر بعد؛ فالله ينصر الحق على الباطل في كل زمان.

المهم تعرفوا أن القاديانية هذه من الفرق التي الاستعمار الإنجليزي صنعها هي: والبهائية، والبابية؛ فالاستعمار الإنجليزي لما دخل الهند وحوّلها من دولة التوحيد الى دولة الشرك، كانت طريقته أن يأخذ الناس المعتوهين، الذين نسميهم المرضى النفسيين خصوصا من يحبون الشهرة، وعندهم هستيريا الشهرة فيأخذهم ويلبسهم لباس التقوى والإيمان، ويجعلهم يأتون بادعاءات تطعن في دين الإسلام.

يعني يبدأ أولا بأنه داعٍ للإسلام ثم انتقل إلى أنه نبيّ، ثم انتقل إلى أنه نبي يوحى إليه، وفي بعض كلامه وصل إلى تأليه نفسه.

وكان من الأشياء العجيبة أنهم يؤلفون له! لأنه هو معتوه فكيف يمكن أن ينتج هذه الكتب كلها؟! فكان واضح أن في أحد يكتب له.

مثل هذه القاديانية، أتت البابية، والبهائية، هذه كلها نتائج الاستعمار الإنجليزي.

وقبلها أو يمكن في نفس التوقيت نتائج الاستعمار الفرنسي في الشام أو غيرها جاء الدروز وغيرهم، بنفس الطريقة يصنعوا أحداً ويجعلونه رمزاً دينياً، ويفسدوا الإسلام من داخله.

وهذه تذكرك بأول قصة في الإسلام، وهو عبد الله ابن سبأ، ودخوله على تاريخ الإسلام ودخوله على المسلمين، وخروج فرقة الشيعة.

فهي نفس القضية يأتون عند أشخاصا يصنعونهم، ويمجدونهم،
وخصوصا الناس الذين عندهم شهوة الاشتهار، ومن ثم يدخلون
يفسدون علينا.

الآن أنت انظري للإعلام مليء بهذه المصائب، فكل واحد مريض نفسيا،
يحفظونه كم كلمة، ويعلمونه ويلمّعونه، ويطلّعونه، وأول ما يبدأ بسم
الله، يقوم يطعن في البخاري، ويطعن في السنة!
على كل حال لذلك، لازم تعرفون تسمعون لمن.

مَن أهل الحق؟

في علامات لأهل الحق:

١- ومن أهمها: الانكسار، والذل، وعدم نسبة الفضل للنفس، وعدم
مدح النفس، لكن الذي يخرج يقول لك: (أنا أقرأ مئة كتاب، وأنا
تعلمت، ودرست، وفعلت)، ويمدح في نفسه فخلاص هذه علامة
الباطل، لأن أهل الإيمان يعرفون أن هذا من فضل الله.

٢- ثم العلامة الثانية: تعظيم الله، والكتاب والسنة، وليس تعظيم
نفسه.

فهذه علامتان: لا يعظم نفسه، في المقابل يعظم الله ويعظم الكتاب
والسنة.

وفي وسط هذا في أشياء كثيرة؛ فيحسسك يعني: الطبري هذا من يكون!
والطبري أي كلام!! والبخاري كذا!! وكل علماء المسلمين يسقطهم،
ويبرز نفسه.. فهؤلاء يُنتقوا انتقاءً.. لذلك ما في أحد يقول لأحد: (أنا
حضرت لك، ودرست لك، وسهرت الليل لأحضر لك هذه المعلومة!)

أنت سهرت الليل تعبد ربنا، أو يقول: أنا لأفعل هذه المحاضرة قرأت
عشرين كتابا، ويدّعوا في هذا لأحضر ثقة الجمهور في!

هذه الثقة يضعها الله في قلوب الخلق، وأنت سر في الصراط المستقيم
وكن ساكتًا على ما أنعم به عليك؛ فهذه نعم، سهرك، وقدرتك على
التعلم، وقدرتك على التحضير، وقدرتك على كذا وكذا كلها ممن من
رب العالمين.. فتأتي تمتن على الخلق بمناسبة ماذا؟!

وأنا أسألكم بالمشاعر الطبيعية، لو أنا كل شوية أدخل عليكم وأقول
لكم أنا تعبت لأحضر لكم هذه المعلومة وأنا بذلت جهدي، فأنا لو
منكم ما أحضر؛ لأنه أصلا واجب عليك، مادام ربنا وضعك في هذا
المكان، واجب عليك أن تفعل هذا، أم ستاتي في الدرس تقول لنا بنات
أفكارك؟! لكن ستقولين: ماذا قال الله، وماذا قال رسوله؛ فما تأتي
تمتن على أحد وتقولين له سويت لك، وعملت لك.. فهذه ماهي طريقة
أهل السنة.

لكن الإعلام يخرج لنا هذا النفس المؤلم، فيغرون ناس كثير، وبقونهم
إلى وقت معين ثم يسقطوهم ولا كانوا، وتبحثين عن الذي كان من

عشرين سنة، الناس يحضرون له، ويعملون له فنادق، ويدفعون له ..
فأين ذهبت هذه الشخصية؟ خلاص أدت ما عليها من إفساد.
وخلصت فكرة معيّنة؛ مثلا أنكم لستم عايشين هنا لتعبدوا ربنا، بل
عايشين هنا لتعمروا الأرض فقط! ومتى ما عمرت الأرض خلاص،
سوّيتم ما عليكم! ويعيدوا، يعيدوا في هذه الفكرة، لما خلاص دخلت في
نفوس الناس، والناس صاروا يقولونها، أسقطوا صاحبها ويأتي من
بعده..

ففي الهند كانت القضية على أعلاها؛ الناس اليوم ما يتحملون أحد
يقول: لهم أنا نبي.. أنا المسيح المنتظر: في الأول الناس كانوا أكثر جهلا
فكانوا رافعين درجة الدعاوى.

الآن مخفضين درجة الدعاوى، لكن يكفهم نطعن في السنة، نطعن في
القرآن، نشتكم عن المطلوب منكم، ونزيدكم دنيوية، فتحبون الدنيا،
وتحسبون أنكم عايشين لأجل الدنيا، وبهذا يكون الإسلام الصافي
والإسلام الحديث، والإسلام المتطور! فيكفينا هذا أنك تذوب، وتصير
ما أنتم عارفين من أنتم؟

الله المستعان؛ الله يحفظ علينا ديننا، ويحفظ علينا عقيدتنا، ويرد
عنا مكر الماكرين وشر أهل الشر، الله يحفظ الشباب ويجعل الإيمان

ثابتًا في قلوبهم، الله يجعلنا جميعًا حاملين للحق مورثين له على ما يحب
الله ويرضى. اللهم آمين.

بعد هذا ختم هذا الموطن بقوله تعالى:

{إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ} (١)

وكلنا نشهد أن هذا هو القصص الحق وإن شاء الله نلقى ربنا بهذه
الشهادة فتنفعنا.

{وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} وقلنا هذه تذكرنا بأول السورة.

ثم تاتي آية تنقلنا للسياق الجديد:

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ}

يعني هم في المباهلة شردوا، الآن إن تولوا في هذه المناقشات:

{فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ} (٢)

انظري الآن رحمة الله بخلقه، وعدم قطع الأمل في المخالف مهما كان،
فوصلنا معهم لدرجة المباهلة، وهذه تعتبر آخر شيء، ومع ذلك أمر الله
رسوله أن يعود فيناقشهم نقاشًا جديدًا:

(١) [سورة آل عمران: ٦٢]

(٢) [سورة آل عمران: ٦٣]

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} (١)

العنصر الأول من المقطع الرابع من المقصد الأول

الدعوة إلى أصل الدين (٦٤-٦٨)

١/ المقطع الأول: كان مقدمة المناقشة.

٢/ المقطع الثاني: ذكر أحوال المصطفين الأخيار.

٣/ المقطع الثالث: ذكر أحوال الماكرين برسول الله.

٤/ المقطع الرابع من (٦٤-٩٩): الدعوة إلى أصل الدين

وهذا المقطع طويل فيه مجموعة عناصر:

(١) [سورة آل عمران ٦٤ - ٦٨]

{قُلْ} الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم.. لمن؟ {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا

إِلَى كَلِمَةٍ} ما وصف هذه الكلمة؟ {سَوَاءٍ}

وكلمة سواء لها ثلاث صفات:

١- معنى سواء أي متفق عليها.

٢- الاتفاق كان بين الأنبياء والمرسلين، ولا يستطيع أحد من أهل

الكتاب أن ينكرها.

٣- والفطرة السليمة توجهها؛ يعني (أصحاب الفطرة السليمة

متفقين عليها).

ما هي هذه الكلمة السواء؟ هذا تفسيرها

التفسير الأول لها: {أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا} وهذه متفق

عليها، فكل الأنبياء متفقون عليها وأتباعهم متفقون عليها، يعني لما

تقولين لهم جاءكم رسول يأمركم بماذا؟ فأکید بعبادة الله؛

وأي واحد صاحب فطرة سوية لا يستطيع أن ينكر أن الله هو

المستحق أن يُعبد.

التفسير الثاني للكلمة السواء:

{وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} أي بطاعة غير الله في

معصية الله؛ في حديث عدي بن حاتم لما أخبره النبي صلى الله عليه

وسلم بقوله تعالى: **{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}** قال عدي: ما عبدناهم يا رسول الله فقال له الرسول ﷺ "ألستم تحللون ما أحلوا، ولو حرمه الله، وتحرمون ما حرموه، ولو أحله الله؟" فقال عدي: بلى فقال له الرسول ﷺ: تلك عبادتهم. (١)

إذا عبادتهم هي الطاعة في التشريع.

من هذه الجملتين عرفي الإسلام؟

الاستسلام لله بالتوحيد شاهده: **{أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا}**.

والانقياد له بالطاعة شاهده: **{وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}** فهذه الآية تحمل جملتين من معنى الإسلام.

ولذلك أكملني:

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} فما تخطئين أبدًا في خاتمة الآية لأن هذه الجملتين: من أصل ثلاث جمل في تعريف الإسلام.

(١) هـ [يعني عدي بن حاتم] لما جاء مسلماً دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقرأ هذه الآية [يعني اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ]، قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: إنهم حرّموا عليهم الحلال، وأحلّوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذاك عبادتهم إياهم

الراوي | - : المحدث : ابن باز | المصدر : الفوائد العلمية من الدروس البازية
الصفحة أو الرقم | ٣/٨٨ : خلاصة حكم المحدث : حديث عظيم مهم، وفي بعض طرقه ضعف

{فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} يعني نحن تبع لأبيكم إبراهيم؛ من أين أتينا تبع لأبيكم إبراهيم؟ سيتضح في الآية بعدها أن إبراهيم جاء بالحنيفية السمحة، أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً، وألا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، وأن يتبرأ من أهل الشرك.

ثم سيأتي نقاش جديد.

النقاش الأول كان من عند {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ} أخبرهم الله من أين أتى عيسى عليه السلام، وقال لهم أين ذهب ثم {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ}؛ هذه المناقشة كلها لبيان من أين أتى عيسى وإلى أين ذهب؟

انتهينا من هذا النقاش رجعنا مرة أخرى لأصل علاقتنا بإبراهيم عليه السلام وأصل الدعوة.

سنبدأ الآية الجديدة، كأننا من كلمة **مسلمون** ذهبنا لإبراهيم عليه السلام:

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ} ما هي محاجتهم في إبراهيم؟ هل ينكرونه؟ لا، بل إدعاء كل فريق أنه كان منهم، يعني ادّعوا أنه هو منهم! ليس هم منه؛ لهذه الدرجة ما هم عارفين كيف يفكرون!!

يعني مثلاً هذه أم وهذه ابنتها أو حفيدتها، فتقول إن الأم تشبه بنتها أو
الأم تشبه حفيدتها!

وأنت مباشرة تصلحين لها الجملة فتقولين إن البنت هي التي تشبه
أمها، وليست الأم هي التي تشبه بنتها؛ فتصوري هم يفكرون بهذه
الطريقة.

فيحاجون: يعني يدعي كل فريق انه كان منهم..

الجواب: {وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ}

هذا هو الرد السهل اليسير الواضح، فاليهود ما هم يهود إلا بالتوراة،
والنصارى ما هم نصارى إلا بالإنجيل..

فكيف يكون إبراهيم الذي هو قبلهم، وهو أبوهم يكون على دينهم؟!
كيف يكون يهودياً واليهودية ما أتت إلا من بعده؟!
كيف يكون نصرانياً والنصرانية ما أتت إلا من بعده؟!
لكن لتعرفي أن لهذه الدرجة أن تفسد عقول الناس!

هذا مثل موقف حصل منذ عشر سنوات، أن نشرت جماعة معيّنة
من الفرق التي عندها خرافات في المملكة، نشرت رسالة فيها أن الشيخ
السعدي التقى شيخهم الكبير المخرف الكبير في الحرم، واخترعوا
حديثاً دار بين الشيخ السعودي، وهذا الشيخ المخرف الكبير نهايتها أن

الشيخ السعدي قام سلم على رأس مخرفهم الكبير، وانتشرت الرسالة والناس تقول كيف نجاب على هذا الكلام؟

لمجرد كونك تفتح تاريخ وفاة الشيخ السعدي، وتاريخ ميلاد شيخهم، المخرف هذا موجود حقيقة والناس يعرفونه؛ تبين أن الشيخ السعدي مات وهذا ما كمل حتى تسع سنين! كيف كان في بالهم أنه سيمشي على الناس؟! مشي حقيقة على ناس كثير.

والسبب مثل هؤلاء كيف يقولون لأتباعهم إبراهيم كان يهوديًا؟! وأنتم تعرفون أن اسم إبراهيم من أشهر الأسماء التي يتسمى بها اليهود، والنصارى، والمسلمين؛ لماذا؟

لأن اليهود يقولون لأتباعهم أن إبراهيم كان يهوديًا، والنصارى يقولون لأتباعهم أن إبراهيم كان نصرانيًا؛ والعلة في هذا كله أنهم متأكدين أن من حولهم جهلة، ويجمعون مع جهلهم الغباء، ويقبلون أي دعوى تقال لهم.

وهذا الذي يحصل اليوم، يروجون على الناس أحكام أصلًا الشريعة بريئة منه، فيترك القرآن كله ويأتي لقوله تعالى في حكم النساء أنهن يضربن! فيترك القرآن كله، ويترك السياق الذي فيه أصلًا الكلام عن المرأة الناشز، ويقول لك هذا الدين دين همجيّ ويسمح بكذا وكذا! فتكون أنت تام الجهل، ويأتي واحد يقول لك كذا فتعتقد هذا الاعتقاد.

وأكاد أجزم أن كل هؤلاء الذين يدعون أنهم ألدوا إنما هم فارغين من معرفة الإسلام، وقد أصابتهم الشبهة قبل أن يعرفوا الحق، فلما أتوا يعرفوا الحق، حاكموا الحق إلى الشُّبه.

وأنا أوعظ نفسي وأوعظكم ألا نموت وفي نفوسنا من دين الله حرج، ما نموت والذي نعرف من دين الله إلا الشبهات، ما نموت إلا ونحن نعرف أن دين الله عدل، بل ليس عدل فقط، بل وإحساناً، وكل خبر في القرآن عين الصدق والحق؛ فلأزم نموت بهذه الطريقة.

فالذي يموت وفي نفسه حرج من دين الله، فليقرأ في كتاب الله ما وصف الذين يجدون في أنفسهم حرج من دين الله.

لأبد تسلّم تسليمًا لأن اسم دينك الإسلام، لكن ما نعرف من دين الإسلام إلا الشبه فهذه مصيبة كبيرة، وما نعرف في الميراث إلا الشبه الملقاة على ميراث المرأة، وما نعرف في مسألة الحياة الزوجية وأحكامها إلا الشبه الملقاة..

طيب ودينك من أين تعرفه؟!

وما راج الباطل على اليهود والنصارى إلا لأن هذا كان وصفهم، أنهم ما يعرفون من دينهم إلا ما يروجه أهل الباطل عليهم..

الله يعيننا.. فهذه مسئولية، وإذا ما عرفت التفصيل، فيكفي أن تسلمي لرب العالمين، تقولين (أنت الملك القدوس السلام المؤمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون).

أنت الملك العزيز الحكيم؛ حكمتك ظهرت في كل تدبير لك، وفي كل حُكم لك، وأنا برئ من أي أحد يطعن في دين الإسلام.
الله يحفظ علينا عقيدتنا، الله يجعلنا ممن رد الشبهه عن نفسه وعمن حوله؛ لازم تعرفون أن لقاء الله عزّ وجل لقاء عظيم، ولا بد أن يكون المرء قلبه سليم خالٍ من أي حرج في هذا الدين العظيم.
على كل حال انظروا حالتهم، وكيف يحتاجون في إبراهيم، ويقولون إبراهيم تابع لهم، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده!
فأنت تشعرين هل كانوا يحتاجون أن يقال لهم هذا الكلام؟!
نعم محتاجين لأنهم لهذه الدرجة في حال قبول لأي شبهة، وأي كلام يقال لهم.

لذلك ربنا قال لهم في خاتمة الآية:

{أَفَلَا تَعْقِلُونَ} فأين عقلكم!!؟

سنرى الآية التالية، تناقشهم أيضا في شأن آخر:

{هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ

لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} (١)

لما اليهود اعتبروا إبراهيم يهوديًا، والنصارى اعتبروا إبراهيم نصرانيًا؛

رد الله عليهم من ثلاثة أوجه:

(١) [سورة آل عمران ٦٦]

الوجه الأول: إن جدالهم في إبراهيم جدال في أمر ليس لهم به علم. كيف؟ هم إن قبلنا وإن تنزلنا معهم سنقبل أن عندهم علم بالتوراة والإنجيل، لكن لن نقبل أن يكون عندهم علم في إبراهيم.

الوجه الثاني: اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة، والنصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل، والتوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم.

الوجه الثالث: سيأتي في الآية التالية؛ إن الله تعالى برأ خليله من اليهود والنصارى والمشركين، وجعل أولى الناس به من آمن.

{هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} يعني هذا تنزل معهم؛ فالمقصود التوراة والإنجيل {فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} المقصود في شأن إبراهيم {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}

الجواب الثالث: التبرئة {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (١)
من أوليائه؟

(١) [سورة آل عمران ٦٧]

{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} (١)

{أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ}: يعني أولى الناس بالانتساب إليه.

{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ} من جهة الانتساب؛ من؟

١- {لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ} فيما سبق أي في زمانه

٢- {وَهَذَا النَّبِيُّ} إشارة لمحمد صلى الله عليه وسلم.

٣- {وَالَّذِينَ آمَنُوا} آمنوا بهذا النبي.

وأما اسم الإشارة هنا فبديع في مكانه، {وَهَذَا النَّبِيُّ} يعني هو نبي،
وليس كما تقولون إنه ليس نبيًا، بل هو نبي يجب عليكم أن تعترفوا
بنبوته.

{وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} فمن ينتسب إلى ابراهيم عليه السلام، سيتولاه
الله وينصره.

وليّ هل هو اسم لله؟ كم شرط لتعريفه انه اسم لله؟

إلى الأسبوع القادم، تدرسون الشروط التي بها تعرفون أنه اسمًا، أو
ليس اسمًا، وتطبقون على اسم الوليّ.

(١) [سورة آل عمران ٦٨]

اللقاء التاسع من آية ٦٩-٧٨

١ ربيع الأول ١٤٤١ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، بسم الله، توكلنا على الله نبدأ أول الامر بالتكليف وهو اسم الولي..

عرفنا الشروط التي بها نميز أسماء الله:

١- الشرط الأول: ورود الاسم نصًّا في الكتاب أو في السنة، أو تقولين: أن يرد خبر عن الله في الكتاب، أو في السنة بهذا الاسم الذي نبحت عنه.

نطبق على الولي، وورد اسم الولي في آية (٦٨):

{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} (١)

٢- الشرط الثاني العَلَمِيَّة:

في اللغة العربية الكلمة إما اسم، أو فعل، أو حرف.

إذا اسم له شروط، وإذا فعل له شروط، وإذا حرف انتفاء الشرطين تقولين هذا اسم إذا طبقت عليه علامات الإسمية وإذا تحقق شرطاً واحداً منها معناه أنه اسم وهي:

(١) [سورة آل عمران ٦٨]

● إدخال (ال) التعريف.

● النداء.

● التنوين.

● يقبل الجر.

● يقبل الإسناد إليه.

جربي واحدة منها على ولي: (الولي).

٣- الشرط الثالث أن يكون الاسم مطلقا ليس مضافا أو مقيد

بالإضافة ولو في موطن واحد:

هنا: {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} ورد مضاف (مقيد)، مجرد كونه مضاف فَقَدَ

الشرط الثالث، لكن المطلوب أن تبحي في كل موطن ورود

اسم (الولي)؛ إذا وجدت موطنًا واحدًا مطلقًا غير مقيد يصبح اسمًا.

ووجدنا في سورة الشورى آية (٩) وأيضا في الشورى آية (٢٨) مرتين أتى

مطلقًا.

{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۗ وَهُوَ الْوَلِيُّ

الْحَمِيدُ} (١) هنا الولي مطلق غير مقيد؛ إذا تحقق الشرط الثالث.

(١) [سورة الشورى ٢٨]

٤- الشرط الرابع أن يكون الاسم دالا على وصف وليس جامداً،
يعني مشتقا وليس اسما جامدا.

مثال: ولي مشتق من الولاية

مثال على اسم جامد: مثل الدهر.

في الحديث: «يُؤذيني ابنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ: وأنا الدَّهْرُ، بيدي الأمرُ،
أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» (١)

خذي كلمة (الدهر) ونطبق عليها الشروط:

١- خبر في السنة عن الله: «وأنا الدَّهْرُ»

٢- فيها (ال) إذا اسم

٣- مطلقة ليست مقيدة

٤- اسم جامد لا يتضمن صفة لأنه جامد ما له اشتقاق؛ إذا انتفى
الشرط الرابع.

فلما انتفى شرط إذن خرج أن يكون من أسماء الله.

طيب لو واحد قال لك: **فسري لنا الحديث؟**

نقول: هنا في محذوف: يعني: وأنا رب الدهر أقلب الليل والنهار، وأنا
صاحب الدهر أقلب الليل والنهار.

إذا الدهر ليس اسماً من أسماء الله، لأنه جامد وليس مشتقا.

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم ٧٤٩١

٥- الشرط الخامس أن يكون هذا الوصف، وصف كمال، لا نقص فيه.

في اسم الولي: الولاية وصف كمال.

فتحقت الشروط الخمسة في اسم الولي، إذن هو اسم لله.

نبدأ من مكان ما انتهينا:

المقطع الرابع من آية (٦٤ - ٩٩)

سنناقش فيه: بمجموعة عناصر:

١- العنصر الأول بعد المباهلة، أمر الله رسوله أن يدعوهم الى أصل

الدين؛ **ما أصل الدين؟**

آية (٦٤):

{**أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ**}: معناه أصل الدين هو التوحيد.

{**وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**}: يعني الطاعة المطلقة لله

عز وجل.

إذا الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة،

والخلوص من الشرك وأهله.

👉 {**أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا**} الاستسلام لله

بالتوحيد.

﴿وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الانقياد له

بالطاعة.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ البراءة من

الشرك وأهله

يعني كأن يقال لهم نحن على ملة إبراهيم، وهم يقولون نحن منسوبون
إلى إبراهيم!

لذلك نقول لهم:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ
إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١)

ثم قال لهم الله:

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٢) لما أتى وفد نجران وتكلم

عن عيسى عليه السلام {فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} وهو

إبراهيم عليه السلام {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}

ثم رد على دعواهم:

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣)

(١) [سورة آل عمران ٦٥]

(٢) [سورة آل عمران ٦٦]

(٣) [سورة آل عمران ٦٧]

هل اليهود والنصارى أولى الناس بإبراهيم؟ لا من أولى الناس به؟
{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} (١)

صفة الخيانة في الدين والمال لطائفة من أهل الكتاب (٦٩-٧٨)

العنصر الثاني في المقطع الرابع (٦٩-٧٨)

الآن نبدأ من آية (٦٩)

{وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ
تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ
الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا
بِاللَّهِ أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
(٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ
أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٧٤) وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ

(١) [سورة آل عمران ٦٨]

يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ
قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَّقِينَ (٧٦) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ
لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا
يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُمْ
بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ^(١)

هذا هو العنصر الثاني: (٦٩-٧٨)

وفيه صفة لطائفة من أهل الكتاب، وهي الخيانة في الدين والمال.

يُظْهِرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَصْفَهُم بِالْخِيَانَةِ.

نبدأ من آية (٦٩) رابطها بما قبلها:

في الآيات السابقة بيّن سبحانه أنهم يعرضون عن الحق كما في آية (٦٤)

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}.

ثم أتى النقاش حول إبراهيم ودعواهم الاتصال به.

(١) [سورة آل عمران ٦٩-٧٨]

إذن جمعوا مع الإعراض عن الحق شأن أعظم، وهو الاجتهاد في إضلال من آمن، وهذا ظاهر أين؟ في آية (٦٩) {وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ}

خيانتهم في الدين (٦٩-٧٤)

انظري آية ٦٩ {وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ}

وهذه هي الخيانة؛ المفروض لما يكون الإنسان عنده دين صحيح، وحرص على نشر الدين، وحرص على دخول الناس الدين ما يكون من أفعاله أنه يأتي لمن عنده دين ويودّ أن يضل!

فأكيد إن هذا الدين الذي يحملونه لم يريدوا به وجه الله، لأنهم لو أرادوا به وجه الله، لا يمكن يتمنون للناس أن يضلوا عن السبيل، أو عن الطريق المستقيم.

إذًا هم في حالة من الخيانة، خانوا ماذا؟

خانوا دينهم؛ دينهم يأمرهم أن يكونوا مؤمنين، وأن يدعوا الناس إلى الإيمان، وليس لما يجدون ناس أقبلوا على رب العالمين بالتوحيد يودّون لهم أن يضلوا!

{وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} ودّت يعني أحبت، وأرادت، وبذلت لتصل إلى هذا.

هل كل أهل الكتاب؟ لا؛ بل طائفة من أهل الكتاب، وسيتبين بعد ذلك من هذه الطائفة.

{لَوْ يُضِلُّونَكُمْ} هذا الذي توده الطائفة، وهذا الذي بذلت له، وهذا أمر لا يُقبل أن يكونوا من أهل الكتاب، ويطلبون الضلال عن الكتاب لغيرهم.

وفي الحقيقة:

{وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} وهذا بسبب أن {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}؛ خاتمة الآية السابقة؛ الله وليّ المؤمنين؛ ومن ولاية الله للمؤمنين أنه يرد عنهم مكر الماكرين، وكيد الكائدين، ومن ولاية الله للمؤمنين أن يثبتهم على الدين، من ولاية الله للمؤمنين أن ينههم لمكر أعدائهم، وأعظم ولاية لله للمؤمنين أنه فتح لهم باب العلم بما أنزله على رسوله الكريم.

فمعنى ذلك أنهم سيبدلون جهدهم وينفقون أموالهم، وإرادتهم إضلال المؤمنين، لكن في الواقع الذي يحصل {وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ} لأن الله وليّ المؤمنين؛ سيدفع عنهم، سينههم لمكرهم، نزل عليهم كتابًا لو تعلّمونه يصيرون في حصانة من إضلال أهل الكتاب لهم.

المهم أن الإضلال سيعود عليهم، وهذا من آثار ولاية الله للمؤمنين.

هم الآن {وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ} لكن هل يشعرون بذلك؟

{وَمَا يَشْعُرُونَ} أنهم لا يضلون إلا أنفسهم.

الآن من ولاية الله للمؤمنين أن إضلال أهل الكفر لن يصل إليهم؛ ومن ولاية الله للمؤمنين أنه سيعود الإضلال على أهل الكفر؛ من أي باب؟ من باب أن أهل الكفر سيشتغلون بأهل الإسلام ليضلوهم، ويهملون أنفسهم، ويهملون طلب الحق لأنفسهم؛ يعني شغلهم الشاغل إضلال أهل الإيمان.

يعني الواحد فيهم ما يقف أمام الحق ويقول: (ربما يكون حقا، ربما يكون صدقا)، لكنه يُعادي الحق، ويبدل كل جهوده ليُضل أهل الحق، وفي النهاية سيكون الأثر عليه هو شخصيًا في كونه لا يفتح له باب التفكير والتأمل، فيكون أضل نفسه، وانشغل بعداوة أهل الحق؛ لما ينشغلون الناس بعداوة أهل الحق فيتبنون الباطل ويكونون بذلك ما ضلوا إلا أنفسهم، وهم لا يشعرون أن إرادة الضلال للمؤمنين التي في نفوسهم ستعود عليهم.

وهذا من سنن الله في المعاملة، أن من أراد شرا انقلب عليه، ومن أراد خيرا ذاق من هذا الخير، والله يعامل الخلق على ما قام في قلوبهم، وهذه سنة لا تفوت أبداً، يعني دائماً هذه معاملة الله.

إذاً هذا حالهم؛ جمعوا بين التولي عن الحق، وإرادة إضلال أهل الحق. يعني هولاء غاية في الشر.

ثم الآية (٧٠)

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ} هذا نداء موجه لأهل الكتاب.

{لَمْ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} يعني استنكار عليهم؛ وهذا نوع خيانة ستظهر في الجولة الأخيرة.

{وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} يعني وأنتم تعلمون علم اليقين أنه رسول من عند الله، فهذا تصيرون تكذبون على الله وتكذبون على أنفسكم.

{وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} يعني وأنتم تعلمون بقلوبكم علمًا يصلح أن يكون شاهدًا، يعني علم يقيني-كأنه رآه بعينه- يعني علما يصلح به أن تكونوا شاهدين أنه رسول من عند الله ومع ذلك تكفرون!
إذا هذه خيانة.

يعني أولاً الخيانة في أنه من المفروض يكون أي أحد من أهل الكتاب حاملاً للحق، داعياً للحق، لا يمكن يكون واحد صادق من أهل الكتاب مع ربه، ويتمنى لأحد الضلالة، بل من عبادات كل من عنده كتاب من عند الله أن يدعو إلى الحق، أو يتمنى الناس يُرشدون للحق.
يعني لما تبغضين أهل الباطل، ما تتمنين يزدادون باطلاً، بل تتمنين يُرشدون للحق.

فمن الخيانة كانت في آية (٦٩) أنهم ودوا لو يضل أهل الإيمان. (هذا أول الخيانة)

الأمر الثاني: كأنه يقال لماذا وصلوا لهذه الحال؟؟ أنهم يودون لو ضل أهل الإيمان؟ لأنهم كفروا.

ف قيل لهم استنكارا عليهم {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} الدالة على أنه رسول من عند الله.

{وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} بقلوبكم أنه رسول من عند الله.

تشهدون: هذه هي الكلمة الدالة على الخيانة، يعني يكفرون وهم يشهدون.. فهذه هي الخيانة.

ثم أية (٧١):

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ} النداء لهم مرة أخرى.

{لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} وهنا الآن يُستنكر عليهم هذه الخيانة أيضاً، وهي أنهم كانوا يجتهدون في إلقاء الشبهات، وذلك بإلباس الحق بالباطل.

{وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ} وهنا خيانة بإخفاء الدلائل والبيانات..

وهذه خيانة يعني معهم دليل يدل قومهم على أنه رسول من عند الله، ومع ذلك يخفون الدليل.

يعني فكري في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْ آمَنَ بِي عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، لَأَمَنَ بِي الْيَهُودُ» (١).

(١) صحيح البخاري (٣٩٤١)

ما المقصود؟ عشرة في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، أكيد سيكونون الأخبار والرهبان.

فماذا سيفعلون العشرة؟ سيُخرجون الحق، ويبينون الدلائل، ويزيلون الشبهات.

معنى ذلك أنهم لو كانوا أهل أمانة وليسوا أهل خيانة سيدعون إلى الحق، وسيبينون الحق، وسيشهدون بالحق.

فمن كان سيؤمن لو حصل هذا؟

أولاً: بني إسرائيل

وثانياً: العرب الذين حولهم؛ لأنهم كانوا قبل الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للعرب إنه سيأتي رسول ونقاتلكم معه! فلما أتى الرسول صلى الله عليه وسلم كفروا به؛ فلو آمنوا كانت العرب كلها آمنت وصدقت لأنهم كانوا يقولون لهم سيأتي رسول سيأتي رسول فيكون مصداق ما قالوا فيصدقونه، لكن انظري لهذه الخيانة أفسدت بني إسرائيل، وأفسدت كثير من العرب، وأخرت إيمان كثير من العرب.

إذاً الخيانة وصف قبيح من أعظم وصوفات الشريتحمل صاحبه في ذمته ضلال من ضل.

وعلى كل حال في كل زمان في هؤلاء الخائنين؛ صفتهم أن عندهم علم، ويفعلون إلى الآن أربعة أمور:

الأمر الأول في آية (٦٩): يودون ضلال الناس، ويصير هو وحده المهتدي، وهذا تشعرين به لما تجدين أن هذا صاحب حق يدعو للحق، وآخر أيضا يدعو للحق؛ فلما يكون لا يدعو للحق لأجل الله، وإنما لأجل نفسه، فلما يجد الثاني هذا قد تميز وارتفع من الخيانة يتمنى أن هذا يضل ويزل، لأنه داخل منافسة معه، ولا يقول له: (مرحبًا تعال نتعاون، وأنا وحدي لا أستطيع أن أفعل، بل كثر الله أهل الحق) هذا هو المفروض أن يقوله؛ ولذلك كانت من أمانى عمر رضي الله عنه لما قال لأصحابه تمنوا، ثم تمنى لو يكون ملء هذه الغرفة رجال مثل أبو بكر، ومثل أبو عبيدة، ومثل خالد ابن الوليد.^(١)

فأول الخيانة أن الإنسان لما يجد ناس يسرون على الطريق بدل ما يعينهم، بل يقول (لازم أنا أكون بارزا).

ولذا تجدين مثلا، يكون هو في مجلس ويعلم الناس، وممكن تكونين أنتِ عندك علم وتجلسين في المجلس، أول شيء تنظرين أن تبحتي له عن خطأ، ثم تسابقينه في الكلام! يعني تقولين للناس أنا أيضا يا جماعة عندي علم!

فهذا صورة من صور أنه دخل العلم من أجل التنافس، وليس من أجل أن ينشر العلم.

(١) قال سيدنا عمر رضي الله عنه: لكتي أتمنى أن يكون ملء هذا البيت (الغرفة) رجلا مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان فاستعملهم في طاعة الله (أي: فاستعملهم في خدمة الدين ونشره في العالم) (من التاريخ الصغير ١/٧٩)

فلما تجدينه عنده علم، وتطمئنين لذلك فتفرحي بوجوده المفروض،
وتقولي مرحبًا دعنا نتعاون، والمجتمع محتاج بذل ليل نهار، ومهما
فعلت أنا كشخص مستحيل أعطي كل شيء مطلوب مني.

ثم إن الهداية عند الناس مختلفة، ففي ناس يقبلون النقاش الهادئ،
وفي ناس لازم تكون حماسي معهم، وفي ناس تحتاج تقول لهم كلاما
بسيطا، وناس تحتاج تقول لهم كلاما عميقا، وناس يحتاجون أن
يكونوا وحدهم، وناس يحتاجون مجلس في جماهير؛ فهذا تعدد يحتاج
جهد كبير، ومستحيل أنت لوحدك.

وأنت هل سترس الكبار، والصغار، والمتوسطين، والمراهقين؟!
ما أنت شبح ولا أخطبوط!

هذا البلاء مباشرة يظهر في المجتمع الذي جذور التعلم فيه فيها
مشكلة، يعني بُنيت على التنافس، لازم يستعيد بالله من الشيطان
الرجيم، ويعرف أن هذه اسمها خيانة، لما حُمّل من أمانة؛ المفروض أن
تحب الهداية للجميع وتحب أن يكون في المجتمع من يدعو للحق وتفرح
به.

١- الشاهد هذه أول خيانة: {وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ
يُضِلُّونَكُمْ} هذه كانت أول خيانة.

٢- الخيانة الثانية يشهدون بالحق؛ أي يعرفونه، لكنهم يكفرون أي
يغطونه. {لَمْ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ}

الخيانة الثالثة: يلقون الشبه على الحق والمفروض أنهم يزيلون الشبه عن الحق ولا يشنتون الناس {لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} الخيانة الرابعة: أنهم كانوا يكتُمون الحق. {وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ}

وهذه كلها تصرفات خيانة ولذلك كان ختام آية (٧١) **{وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** وتحتمل هذه الجملة ثلاثة معاني:

- ١- تعلمون إنما تفعلون ذلك عنادًا وحسدًا.
- ٢- وأنتم أرباب العلم لا أرباب الجهل، فلما يكونون أرباب العلم ما يُتوقع منهم أن يفعلوا هذا الفعل.
- ٣- وأنتم تعلمون عقاب من يفعل ذلك.

بهذا فهمنا أن هذه الآيات كلها نداء لأهل الكتاب، واستنكار عليهم لعلمهم يرجعون، لعلمهم يستحيون، لعلمهم يتراجعون، لعلها تكون نزغة من الشيطان ثم تزول؛ فممكّن الشيطان ينزغ بين الناس ويصور لهم أنه فقط صاحب الحق، والباقي كلهم أصحاب باطل.

سنرى الآن أسلوب آخر من أساليب الخيانة:

**{وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} (١) لجماعة معهم {آمَنُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ
عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ}**

يعني انقسموا قسمين: قواد، وتابعين لهم؛ فهذا الحبر كبير وهؤلاء تابعين له، وهذا الفعل من اليهود واضح، لأنهم هم الذين كانوا يعيشون مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد مر معنا في سورة البقرة، فهذا حبر يقول لتلاميذه: (اذهبوا لمحمد وأظهروا أنكم مؤمنين واجلسوا مجلسه، واسمعوا منه كأنكم من أهل الايمان)؛ بهذا ظهروا أنهم مؤمنين.

{وَإِكْفُرُوا آخِرَهُ} في آخر النهار أظهروا كفركم.

• هذا ممكن يكون أول النهار في نفس اليوم وآخر النهار في نفس اليوم

• أو أول النهار اليوم، وبعد أسبوع، أسبوعين، ثلاثة أسابيع، يكفروا كأنه آخر النهار.

ما الفائدة؟

{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} لماذا ممكن يرجعوا؟

((١)) [سورة آل عمران ٧٢]

لأن أهل الكتاب أهل علم في نظر الناس، لما أحد يأتي حديث الإسلام
ويجد أهل العلم يؤمنون في أول النهار ويرتدون آخره؛ فسيقولون إنه
إذا أهل العلم ارتدوا معناه وجدوا باطلاً في هذا الدين.

وهذه الخطة لازالت مستعملة إلى زماننا هذا؛ فتأتي تخرج على الناس،
وتقول لهم: أنا متحجبة، وتكون مشهورة من المشاهير، وتقول لهم
استقمت هذا الدين الحق هذا وجه النهار، ثم تعطيهم شهر، ستة
أشهر، سنة، على حسب ما تضبط الخطة، وهي خطة استراتيجية
وأجندة معروفة، ثم تختار وقت مناسب في حرج مناسب، وتخلع
الحجاب!

الآن الناس حولها ماذا سيقولون؟

اتركي راسخين الإيمان، نتكلم عن ضعف الإيمان، فارتدادها وخلعها
للحجاب يعتبر هزة قوية في نفوسهم.

وأنا تحكي لي طالبة من خارج البلاد وأنت ضيفة تحكي عن موقف
حصل وتأثروا به؛ كانت مشهورة، وفي العالم المشهور، وتحجبت
ودخلت مدرسة تحفيظ، ودخل بسببها شابات كثيرات معجبات بها، ثم
ثمانية تسعة شهور، وخرجت وخلعت، وكانت سبب أن كل هذه
المجموعة ارتدت مثلما ارتدت هي.

فلازم تعرفون هذا المعنى أن لازال هذه الخطة موجودة.

المشكلة لما تتحجب فلانة وعلاوة يفرحون لها! بمناسبة ماذا؟

هي لنفسها استقامت، والدين ما هو منتظرها، ولا محتاجها، ولا هي التي ستنصر الدين.

سينصره العلماء الراسخون، أما هؤلاء إذا آمنوا ينفعوا أنفسهم، ونحن نسعد بأي أحد يؤمن لنفسه، لا للدين.

فإذا دخلت واستقامت فلنفسها، وإذا خرجت خلاص ما هو شأننا. فما هؤلاء هم الذين يقودوننا، لأن المشكلة إحساسنا أن الصواب هو ما يختاره هؤلاء! هذا إحساس ضعفاء العقل السفهاء، الذين يجعلون المشاهير هم اختيارهم الصائب.

وأكثر من يطلب الشهرة، ويكون حريص عليها، لازم يكون عنده اضطراب نفسي، ففي ثلاثة أنواع اضطرابات نفسية مشهورة جدا. ولو واحد عنده علم في هذه المسألة سيعرف أن هناك ثلاثة اضطرابات نفسية معروفة؛ فلو حلل شخصيات هؤلاء المشاهير سترجع لواحدة من هذه الثلاث اضطرابات نفسية، ونادراً ما يكون ليس عنده اضطراب؛ يعني ٩٠% عندهم اضطراب و ١٠% ليس عنده اضطراب، الذي عنده تخصص يفهم هذا الشيء تماماً.

فتصوري في نهاية الموضوع، أنت يا عاقل تمشي وراء الناس المضطربين نفسياً!

فهذا سيكون جماعة من الاضطرابات النفسية؛ ولهذا لا تستغربين انتشار الأمراض النفسية؛ والسبب أن ناس مضطربين يعطون ناس ضعفاء، والضعفاء يصيرون أضعف من السابقين!
فكيف القضية؟

سمات شخصية، ثم اضطرابات شخصية، ثم أمراض نفسية.
فمن هو بعيد يكون أصلاً ضعيف، فيصير قدوته واحد مضطرب نفسياً، وما هو مريض لسه بعد، ثم يصير هذا المضطرب سبب لمرض هذا الضعيف.

يعني تخرج الشخصية المضطربة كمشهورة، وأولادنا، وبناتنا في بيوتنا، يكونوا أصلاً ضعيفين جداً، فلما يقود المضطرب هذا الضعيف فيصير هذا الضعيف مريض، وهو الضحية، وهذا الكلام يعرفونه المتخصصين، لكن ما أدري لماذا هم ساكتين، ولماذا ما يقولون للناس؟ أن من يفعل كذا وكذا يكون مضطرب، ومن يفعل كذا وكذا يكون فيه اضطراب هستيري، ومن يفعل كذا وكذا يكون فيه اضطراب نرجسي، لازم تعرفوا أن الإنسان ما يصير يلهث يلهث، ويخرج تفاصيل حياته للناس، إلا يكون مضطرب نفسياً لأن الأصل الإنسان يحب الستر، ويحب يكون محتفظ بأموره، هذا الأصل في الإنسان الطبيعي وليس يصور لنا يأكل يشرب يدخل يخرج! ما هو طبيعي هذا.

فلما يخلوه طبيعى وأنت ضعيف فيأتيك بالمرض، وبهذا تكثر الأمراض النفسية، ويحتقر الناس النعم التي عندهم ويرون أنفسهم غير أسوياء!
المهم لابد أن تفهموا أن هذا كله من أبواب الخيانة للدين.

بعد ذلك انظروا كيف يوصوهم:

هم الآن خائفون على أتباعهم الذين أرسلوهم عند النبي صلى الله عليه وسلم، فيقولوا لهم: **{وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ}** (١)
فيخافون لما يذهبوا للنبي ﷺ ويسمعوا الحقن يدخل فؤادهم، فيؤكدون عليهم أن لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كأنهم يبينون لهم: (نحن نريدكم جواسيس، تفعلون هذه الأفعال لنظهر فساد دين محمد فهم أقنعوهم أنه دين فاسد وأنه سيفعلون خير لدينهم)

الآن الله سيظهر لنا ما في نفوسهم من إرادة الدنيا، وعدم إرادة الآخرة؛ يقال لهم: **{قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ}**

فلستم من تقولون هذا الدين حق، وهذا الدين باطل، فكله أتى من عند الله، والهدى هدى الله لكنكم فعلتم ذلك لسبب وهو: **{أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ}** الآن أهل الكتاب يظنون أنهم قد أوتوا مناصب دينية، وكانوا مفضلين على الخلق، وأوتوا ما لم يؤت أحد من العالمين،

(١) [سورة آل عمران ٧٣]

فخشوا أن تُنزع منهم هذه المكانة، فحاربوا النبي صلى الله عليه وسلم؛
إِذَا هَذَا الَّذِي فِي نَفْسِهِمْ؛ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ أَوْتُوا مَنَاصِبَ دِينِيَّةٍ غَمَا
يُرِيدُونَ أَحَدًا يَشَارِكُهُمْ فِيهَا؛ وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ عَنِ نَفْسِهِمْ أَنَّهُمْ شَعْبُ اللَّهِ
الْمُخْتَارِ، فَيَخَافُونَ أَنْ يُؤْتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَا أَوْتُوا مِنَ
الْمَكَانَةِ، وَنَحْنُ مِنْ بَدَايَةِ السُّورَةِ قَوْلَ اللَّهِ {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي
الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ} (١) اتفقنا أن هذه بشارة للنبي
صلى الله عليه وسلم أنه ستُنزع هذه المكانة من أهل الكتاب، وتُعطى له
صلى الله عليه وسلم ولأمته، وهنا في الآية تأكيد لهذا المعنى.

{قُلِ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}

فهذا جواب لهم أن الفضل بيد الله والأمر له؛ يؤتي من يشاء المكانة.
وهنا لما تفكرين في {مَنْ يَشَاءُ} يشاء: فعل لله؛ يعني الله يؤتي من يشاؤه
هو المكانة، ولما تسمعين كلمة (من يشاء)، تتذكري صفتين لله.

عقيدتي في مشيئة الله:

يقول الله: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} (٢)
فمشيئة الله تابعة لحكمته، وعلمه؛ فيهدي ويتفضل على من يعلم
سبحانه أنه أهلٌ لذلك.

(١) [سورة آل عمران ٢٦]

(٢) [سورة الإنسان ٣٠]

هم الآن متصورون أن المكانة الدينية لهم؛ فيقولوا لقومهم ماذا؟

{وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ}

الله أجاہم **{قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ}** يعني هذا الدين دين الله، وما هو ملككم؛ هذه الجملة اعتبرها اعتراضية أريد بها بيان أن هذا دين الله ليس دينكم.

{وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ} {أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ}

يعني كونوا حريصين على تشتيت المسلمين من أجل ألا يؤتون مكانة دينية مثل التي وصلت إليهما.

{أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ} يوم القيامة فيقولون لكم عند ربكم أنتم آمنتم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وهذا الشيء الثاني؛ فأنتم ظلوا متمسكين بدينكم من أجل هذين السببين.

فالآية فيها جملة اعتراضية إذا ما فهمت ما فهم السياق.

إذا وصيتهم الأولى لهم:

{وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا

وَجَهَ النَّهَارِ} (١)

الوصية الثانية:

(١) [سورة آل عمران ٧٢]

{وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا مَنِ تَبِعَ دِينَكُمْ} (١) لأجل ألا يصل أحد لمكانتكم {أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ}
الجواب عليهم {قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ}

{وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} خاتمة مناسبة أنه سبحانه وتعالى عليم بمن يستحق أن يعليه، ويوسع عليه في المكانة.

ثم يكتمل المعنى:

{يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} وما هم الذين يقسموا رحمة الله.

واسم لله أنه ذو الفضل وفضله عظيم.

الآن انتبهنا من خيانتهم في الدين.

خيانتهم في المال (٧٥-٧٦)

الآن سيزاد في وصفهم حتى نصل أنهم خائنين حتى في مسألة الأموال:
{وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ} (٢) فهؤلاء أهل أمانة يعني في طائفة من أهل الأمانة.

[١] [سورة آل عمران ٧٣]

[٢] [سورة آل عمران ٧٥]

{وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ}

نقارن بين دينار وقنطار؛ فالقنطار أكثر، يعني فيه ناس عندهم أمانة لو أعطيته قنطارا يؤده إليك، وفي بعضهم لو أعطيته دينارا الشيء القليل لا يستطيع أن يحفظه **{إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا}** يعني بالمنازعة، فتُلح عليه ليعطيك الدينار.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ} وهذا هو السبب أنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل، هذه من الضلالات التي اخترعوها لنفسهم يعني:

● قالوا إنهم شعب الله المختار.

● وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات.

● وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى.

● وقالوا ليس علينا في الأميين سبيل.

يعني يضعون قوانين تسهل عليهم فعل الباطل؛ لأن شرع الله يدعوهم للقيم العليا، لكن هم ما يطبقون هذه القيم العليا.

{وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} هم ينسبون هذا القول لله، فيقولون على الله الكذب.

{وَهُمْ يَعْلَمُونَ} فما تركوا بابًا من الأبواب إلا وكذبوا فيه على الله.

وهذه الآيات أتت لتبين لنا أن صفة الخيانة سائرة عندهم في الدين، وفي المعاملات، والأدهى والأمر أنهم ينسبونها إلى الله؛ ويقولون إن الله قال لهم: ما عليكم في الأميين سبيل وافعلوا بهم ما أردتم! وهم يعلمون أنهم كاذبون.

{بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} (١)

هذا قانون العدل الإلهي؛ من المقبول عند الله؟ ما هو التصرف السليم عند الله؟ الوفاء والتقوى، والله يحب المتقين. فهذه رد عليهم في أن الله أذن لهم أن يخونوا؛ فهذه إضراب عما سبق، وإبطال لكلامهم؛ بل الحق أن الله يحب المتقين، ويأمر بالوفاء والتقوى إذا حُكي عنهم خيانتهم في الدين، وخيانتهم في المعاملات، ونسبتهم لها إلى الله!

وحتى خيانتهم في المعاملات فهي تابعة للخيانة في الدين؛ فمعاملاتهم من دينهم، فيقولون إن الله أذن لهم أن يتعاملوا بهذه الطريقة! فهم في شريعتهم خائنون، في معاملة النبي صلى الله عليه وسلم خائنين.

{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ} (٢) هذه صفة يشترون
يشترون ماذا؟ **{بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا}**

(١) [سورة آل عمران ٧٦]

(٢) [سورة آل عمران ٧٧]

{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ} هذه صفتهم
{ثَمَنًا قَلِيلًا} يبيعون عهد الله وأيمانهم مقابل ثمن قليل؛ فهذا وصف
لخيانتهم، يعني هذه الخيانة يقومون بها لأجل ثمن قليل، ولو كانت
الدنيا كلها فستكون ثمننا قليلا، لأجل المكانة لأجل الجاه، لأجل ما في
نفوسهم من كبر؛ كل هذا يُسمى ثمننا قليلا.

سيأتي الآن كلام عن عقوبتهم:

١- {أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ} هذه أول عقوبة

٢- {وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ} وهذه الثانية

٣- {وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} وهذه الثالثة وكلهم في الآخرة

٤- {وَلَا يُزَكِّيهِمْ} في الدنيا {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

وكيف الآية فيها احتراز عظيم.

يعني ما قال الله إن الذين أوتوا الكتاب واشتروا به ثمننا قليلا، قال:
{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا} من اليهود من
النصارى من المسلمين أيا كان.

وهذه الصفة المميزة: أنه يشتري بعهد الله وأيمانه ثمننا قليلا؛ بمعنى
يبيع العهد الذي بينه وبين الله، ويترك الوفاء من أجل أقل شيء أقل
إغراء يأتيه يرمي ما عاهد الله عليه.

ولذا لما يخرجون يفتخرون أنها مثلا خلعت الحجاب، أو كذا، وكذا
ستدخل تحت هذه الآية لأن بينها وبين الله عهد:

«وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكُمْ وَوَعْدِكُمْ مَا اسْتَطَعْتُ»^(١) و {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ}

والحجاب ما هو عادة من العادات، بل عبادة من العبادات ضمن
العبادات التي يعبد الإنسان بها ربه.

فلما تخرج من هذه العبادة حتى لا يقول الناس لها إنك رجعية أو
متخلفة، أو كذا وكذا من الكلام الفارغ أو لأنها ما تقدر تصل لمرادها
إلا بخلع الحجاب؛ فتصير بهذا اشترت بعهد الله ثمنا قليلا.

والباقي إنذار لهم أن الله لا يكلمكم يوم القيامة، ولا ينظر إليكم، ولا
يزكيكم في الدنيا.

والمعنى أن ترك شيء من الدين بعد أن عاهد الإنسان ربه على القيام
به.

وهذا العهد هو قراءتنا للفتحة، هو دخولنا في الدين وبقاؤنا فيه،
فالخروج من جزء من الدين، وبيعه لأجل شيء من الدنيا، هذا اشترى
بعهد الله وأيمانه ثمنا قليلا.

(١) الراوي: شداد بن أوس | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٣٢٣

وهذا ذنب عظيم خصوصًا لو كان المسلمون في حال من الضعف، ثم أنت زدت ضعفهم فيكون جرمك أعظم.

لو كانوا في حال من القوة وأحد فعل هذا الفعل يصبح فعلا شاذًا، لكن لو كان هذا ضعيف وهذا ضعيف وأنت تزيد ضعف المسلمين بهذه القضية، وتهز معنويات المسلمين تكون أجرمت جرمًا عظيمًا.

وطبعا كذبة أن ما في دليل وكذا وكذا؛ فهذا كله ضرب من المتشابهات وإلا فالأدلة تامة الوضوح في بيان وجوب المسائل عمومًا.

لكن الناس ليسمحوا لأنفسهم أن يخرجوا ويتركوا شيئًا من الحق، فأول شيء يقولون لهم الأمر مختلف فيه، إلى أن يعطوا أنفسهم المجال للخروج وهذه خطوات الشيطان، وأكد ما يأتي لك من هذا الباب لهذا الباب مرة واحدة خصوصًا لو كان معك إيمان، فيضعف إيمانك يضعف إيمانك إلى أن يخرجك.

أما المنافقين الذين فجأة هم اليوم متحجبين مصليين، غدًا يخلعون الحجاب ويصبحون فاسقين؛ الفجائية والانتقالية هذه طريق النفاق.

لكن التدرج معناه أن كان عندك إيمان ثم الشيطان يضعف إيمانك يضعف إيمانك إلى أن يصل هذا حالك.

هذا كلام عن وصفهم؛ أن كل من خان الدين فقد اشترى بعهد الله وأيمانه ثمنا قليلا وهذه عقوبتهم.

سَيُعْطَف عَلَيْهِمْ حَالِ أَعْظَمٍ مِنَ الْخِيَانَةِ الْمَالِيَةِ:

{وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا} هذا

ختما لخيانتهم بالكلام حول الخيانة المالية

نوع أعظم من خيانتهم (٧٨)

هنا نوع أعظم من الخيانة وهو: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ

بِالْكِتَابِ} يعني: هذا التحريف؛ فيضيفون وينقصون لأجل

{لِتَحْسَبُوهُ} أنتم {مِنَ الْكِتَابِ} وهو قد أضيف لمصلحة؛ فما كتبوا

التوراة ولا الإنجيل إلا بعد قرون، كتبوه مما يعتقدونه، ثم يأتهم من

اليهود صاحب سلطة ومال، ويقول لهم شرعكم هذا أوقف تجارتنا

فافعلوا لنا حل، طيب أنت ماذا ترى!

فيحذفون الآيات التي فيها دلالة على أنه ما يجوز ويكتبون كلام يشبهها

مكانها على أنه يجوز.

وممكن ما يمسحون كل الآية لكن حرف حرفين بحيث تُقرأ الآية على

الاحتمال الثاني.

وأنت الآن تسمع وتحسبه من الكتاب؛ ولذلك نشر الفلسفات من كلام

فلان وعلان من كثرة نشره وتكراره يصل كأنه من الكتاب كأنه من

الشرعية، فإذا سمعت عن أهل الكتاب، لازم تعرفين أن هذا الشيء

نفسه يحصل عندنا؛ فننشر كثير من الفلسفات حتى تصبح على

اللسان بمتابة القانون، ويقول لك كلام كأنه قانون يحكم به عليك،
ويكون هو في الأصل أتى من مخلفات الجاهلية من كلام الفلاسفة.
نضرب مثلا بسيطاً:

عنتره في كلامه؛ في أشهر قصائده وصف الأقارب بالعقارب.
وتقولي هو دين؟! فكل جيل يأتي يقول نفس الكلام!!
يعني تأتي الشريعة، وتمدح صلة الأرحام وتجعلها شأنًا عظيمًا وتأمرك
بالصبر عليها، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم كأنك تسفهم الملَّ. (١)
وكل هذه النصوص تذهب على جانب، ويأتينا كلام عنتره وتصير هذه
الكلمة أن الأقارب عقارب كلمة يتداولها الجيل بعد الجيل، ووجدوها
كلمة جميلة، وصاروا يقولون لا تتواصلوا فالأقارب كذا!!
وكل الذي يقال في الشرع كأنه لا شيء؛ هذا مثال بسيط جدًا، ما هو
بالعمق الكافي لكن هذا الذي يحصل.

مثلا (القانون لا يحمي المغفلين) هذه الكلمة العلمانية الشرسة،
لكن هذه الشريعة لا تقولها أبدا، بل عندنا بالعكس واقربي في البيوع،
واقربي كيف تفسد البيوع لو كان هذا الذي باع مغفل، وكيف لو أنت

(١) أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَأَ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ.
الراوي : أبو هريرة | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم

جئت وغشيته فله حق يرد البيع ويفسد البيع، واقرئي في استقبال أهل القرى أهل البادية وكيف أن هذا بيع فاسد.

فمن قال لك القانون لا يحمي المغفلين؟! هذا كلام العلمانية المتوحشة؛ أن الطبيب يرى المريض فريسة ويطلع له مئة مرض حتى لا يخرج من عنده إلا وقد استنزفه! والمحامي يرى صاحب القضية فريسة ويمسكه ويقول له: لو خرجت من عندي ستذهب على السجن! حتى يسلمه قضيته، وكل واحد صاحب مهنة يرى من يأت له كأنه فريسة! فهذه العلمانية الشرسة، لكن أهل الإيمان ما هذه حالتهم.

هذا كله بسبب ليّ الناس ألسنتهم، وتركوا ما في الكتاب. في الأصل ليّ ألسنتهم بالكتاب يعني حصل تغيير للحق، وتداولوا الكلام الباطل، ثم سجلوه

{وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ} في كلام متكرر تحسبه أنه من الكتاب وما هو من الكتاب، لأنهم كانوا مسئولين عن حفظ الكتاب، فكانوا يسجلون هذا؛ فيبتدئ بليّ ألسنتهم بالكتاب ومن ثمّ تندثر الحقائق التي في الكتاب ويشتهر مثل هذا وعلى ذلك راجع نفسك، وانظر للكلام الذي تقوله، أو للأمثال التي الناس يستعملونها، فهي تضاد الدين أم لا؛ لأن بذلك تمحون الحقائق الدينية وتبقوا هذه الأمثال.

فتقولين مجرد مثل!

طيب هذا المثل يعبر عن طريقته في التفكير، والمفروض ما يحكم تفكيرك إلا النصوص.

فلو أحد قال لك: إنفاقك على أحد كثير!

فأنت تقول: الله يحب المحسنين، وهذا موقف إحسان، وأريد أتعرض لمحبة الله.

هذا الكلام معناه أنك تستشهد بنص قرآني، وتشهره وتظهره على لسانك، ويكون هذا النص استعماله نوع من أنواع إفشاء الحق. لو تركته وأخذت من كلام الناس كلاما، فيصير يُخشى عليك أن هذا الكلام يحل محل النص.. وبهذا نفهم معنى يلوون ألسنتهم بالكتاب.

{وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}

كل هذه الآيات بيان لخيانتهم، وكذبهم، وأنهم يقولون على الله الكذب، وهم يعلمون. فخاتمة (٧٨) بالضبط مثل خاتمة (٧٥)

وبهذا انتهى العنصر الثاني في المقطع الرابع. من آية ٦٩- ٧٨

اللقاء العاشر من آية (٧٩ - ٩١)

١٧ ربيع الأول ١٤٤١ هـ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله، نبدأ إن شاء الله في إكمال المقطع الرابع،

وكان ابتداءً من الآية ماذا؟ من آية (٦٤)

مراجعة على مقاطع السورة

نراجع سريعاً السورة:

👉 لها مقدمة من آية (١-١٧)، وكان واضح فيها براعة

الاستهلال؛ مجموعة مقدمات لتأسيس الأمر المتصل بمناقشة

وفد نجران:

- ومنها بيان الألوهية
- وبيان الرسالة
- وبيان قدرة الله عزّ وجلّ على الخلق، وعلمه المحيط بالخلق سبحانه وتعالى

- وأيضًا الخبر عن الكتاب الذي فيه آيات محكمات، وآخر متشابهات.

كانت هذه المقدمة إلى آية (١٧)

ثم بدأ السياق من آية (١٨) يتكلم عن ماذا؟

👉 هنا بدأ المقطع الأول من المقصد الأول الذي هو مناقشة

وفد نجران

المقطع الأول من المقصد الأول الكلام عن (إن الدين عند الله هو الإسلام).

الآن في سياقنا نعود فيتكرر علينا.

١- ولهذا بدأ المقطع من آية (١٨) {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ} ^(١) وكان هذا المقطع مقدمة مناقشة

وفد نجران.

٢- ثم بعد هذه المقدمة أتى مباشرة صلب الموضوع الذي فيه

نقاش مع وفد نجران، من أين أتى عيسى؟ ثم إلى أين

ذهب عيسى؟ وكان هذا مقطعين أيضًا.

(١) [سورة آل عمران ١٨]

من أين أتى عيسى؟

كان مبدأ المقطع من عند {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ}

من أين أتى عيسى؟ أتى من أقرب سلالة له، وهو الخبر عن أم مريم، والخبر عن مريم، والخبر عن كفل مريم وهو زكريا، والخبر بعد ذلك عن عيسى عليه السلام.

٣- بعد ذلك أتى الخبر إلى أين ذهب؟، وبدأ هذا المقطع

من عند {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ}؛ بهذا بدأ الكلام

إلى أين ذهب عيسى عليه السلام.

- فالمقدمة عمومًا السورة من آية (١-١٧)

- من آية (١٨) بدأ المقصد الأول للسورة وهو مناقشة وفد

نجران، وهذه المناقشة لها مقدمة في بيان أن الدين هو الاسلام

وفيها صلب الموضوع من أين أتى عيسى عليه السلام؟ وإلى أين

ذهب؟ وهذا هو موضوع النقاش.

بذلك انتهينا من ثلاثة مقاطع في المقصد الأول

بدأنا في المقطع الرابع الذي نحن الآن بصدده ويبدأ من آية (٦٤)

المقطع السابق ختم بـ {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ} ووصلنا لقضية التوحيد المهمة {وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (١)

ردنا على بداية السورة.

{فَإِنْ تَوَلَّوْا} وهذه الكلمة ظهرت كثيرا في السياق {فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ} (٢)

انتهينا من الكلام عن عيسى وإلى أين ذهب، وأتت المباهلة؛ يعني نباهلكم على أن هذا هو الحق.

المباهلة من نهاية الكلام عن من أين أتى؟ وإلى أين ذهب؟، يعني كأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لهم نباهلكم على أن عيسى من هنا أتى وإلى هنا ذهب.

بعدها انتهينا من الكلام عن عيسى عليه السلام، أتت دعوتهم إلى أصل الدين، ولا تنسي أبدا دعوتهم إلى أصل الدين فنفس هذه الكلمة ستأتيك في الآية، فالدعوة فيها كلمة تعالوا {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} ثم أتى أصل الدين:

(١) [سورة آل عمران: ٦٢]

(٢) [سورة آل عمران: ٦٣]

{أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا} هذا هو الأصل الأول.

{وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} هذا الثاني

وستظهر مرة أخرى كلمة {فَإِنْ تَوَلَّوْا}

{فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (١).

ومن هنا بدأ نقاشهم في إبراهيم عليه السلام، لما الله أمرنا نقول لهم إن تولوا {فَقُولُوا} أنتم يا مؤمنين {اشْهَدُوا} يا أهل الكتاب بأننا إلى إبراهيم منتسبين وديننا هو الإسلام، من هنا بدأ النقاش حول إبراهيم عليه السلام، والمحاجة فيه.

في الرد على نسبتهم إلى إبراهيم ثلاثة ردود؛ ظهرت في نهاية آية (٦٤) {فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} يعني اشهدوا بأننا تبع لإبراهيم مسلمين؛ لأن هذا دين إبراهيم ومن هنا أتى النقاش حول المحاجة في إبراهيم.

كم رد في مسألة المحاجة؟ ثلاثة ردود

أول رد:

(١) [سورة آل عمران: ٦٤]

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (١)

يعني اليهودية منسوبة إلى التوراة، والنصرانية منسوبة إلى الإنجيل؛ فكيف إبراهيم عليه السلام يكون يهودياً أو نصرانياً والتوراة والإنجيل أصلاً نزلت بعد إبراهيم عليه السلام؟!

٢- ثم فيه تنزل مع الخصم:

{ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ } (٢)

يعني لو قبلنا كلام اليهود عن موسى، وقبلنا كلام النصارى عن عيسى، فلن نقبل كلامهم عن إبراهيم.

ونحن أصلاً لا نقبل كلامهم عن موسى، ولا عن عيسى، لكن هذه الآية من باب التنزل مع الخصم.

فنفترض لأنكم أهل التوراة سنقبل منكم كلامكم عن موسى، ونفترض لأنكم أهل الإنجيل سنقبل كلامكم عن عيسى، لكن ما نقبل

(١) [سورة آل عمران ٦٥]

(٢) [سورة آل عمران ٦٦]

كلامكم فيما ليس لكم به علم، وليس لكم به صلة؛ فكان هذا الرد الثاني.

وختام هذه الآيات هو عين الرد:

• فكان ختام الأولى {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} ^(١) عين الرد، لأن لو كان عندكم عقل ما كنتم حاجتكم في إبراهيم ونسبتموه لكم، والتوراة والإنجيل ما أنزلت إلا من بعده.

• ثم ألم تعلموا أن {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} ^(٢) فلم تحاجون فيما لا تعلمون؟!

٣- يأتي الرد الثالث وهو تبرئة إبراهيم عليه السلام منهم:

{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ^(٣)

إذا هذه ثلاثة ردود في ثلاث آيات على نسبة إبراهيم عليه السلام لليهودية أو النصرانية.

ثم ختم هذا النقاش بقوله تعالى:

(١) [سورة آل عمران ٦٥]

(٢) [سورة آل عمران ٦٦]

(٣) [سورة آل عمران ٦٧]

{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} (١)

لما سمعت أن الله ولي المؤمنين، مباشرة وأنت تحفظين تذكري أنه سيأتي كلامًا عن كيد الكافرين بالمؤمنين، لذلك قُدّم الخبر بأن الله ولي المؤمنين، فهو وليهم يعني يدافع عنهم.

فالله ولي المؤمنين يدافع عنهم، في مقابل خيانة أهل الباطل.

ومن هنا بدأ الكلام عن خيانة أهل الباطل، وكانت أول خيانة في آية (٦٩) وهي أنهم يودون نشر الباطل:

{وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ} (٢)

يعني الأمانة أن يكون حامل الدين، يحب نشر الدين، وليس الدين أداة لنصرة نفسه، بحيث يتمنى أن يكون هو فقط المهتدي وغيره غير مهتدي؛ فهؤلاء استعملوا الدين للمصالح الشخصية، وهذه هي الخيانة، هنا أنهم ما دام ودوا أن يضل المؤمنون، إذًا عندهم الدين مجرد عامل

(١) [سورة آل عمران ٦٨]

(٢) [سورة آل عمران ٦٩]

للتميز عن بقية الناس، وليس فيه صدق وإيمان أنه الحق ويجب نشر الحق؛ هذه كانت الخيانة الأولى.

الخيانة الثانية: أنهم يشهدون بالآيات ويكفرون بها

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ } (١)

والخيانة الثالثة: أنهم يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق.

الخيانة الرابعة: أنهم ينشرون النفاق لأجل أن يرتد أهل الإيمان،

فيدخلون المنافقين من اليهود على المؤمنين ليرتد أهل الإيمان بكل صراحة لأن الله قال:

{ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا

وَجَاءَ النَّهَارُ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } (٢)

يعني خلاص بوضوح هذا هو المقصد لعلمهم يرجعون.

{ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا بِالْمَنِّ تَبِعَ دِينَكُمْ } (٣) يعني المقصود أنكم ما فعلتم هذا

إلا لأجل أن تحافظوا على دينكم، ولا تؤمنوا هذا الإيمان بأن تؤمنوا

(١) [سورة آل عمران ٧٠]

(٢) [سورة آل عمران ٧٢]

(٣) [سورة آل عمران ٧٣]

وجه النهار وتكفروا آخره إلا لمصلحة من تبع دينكم، يعني أنتم أمرتم بهذا، وقلنا لكم افعلوا هذا الفعل لأجل المحافظة على أتباع الدين!

ففي النهاية هم حوّلوا الدين لمجرد مصالح قوميّة لقومهم ليقوم لهم قائمة؛ ولهذا دائماً يكرروا أنهم شعب الله المختار، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى، ولن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات.

فكأن الدين حقهم، ومن ثم نحن لا نريدك تدخل الدين وأنت ما مناسبنا أن تدخل! وهذا داء يأتي لكل أصحاب دين، بل يأتي لكل أصحاب علم، بل يأتي لكل أصحاب مشروع حتى إصلاحي.

فنحن نتكلم عنم أخطأ في نيته، ففي البداية يبدأ الأمر على أساس نشر الحق بين الناس، وما فعل هذا إلا لنشر الحق، ثم تجده يتعامل مع هذا الحق كأنه حقه، ومن ثمّ يستعمل الطرق الحديثة للمحافظة على الحقوق، ويكون سوّى برنامج فيه خدمة للأطفال، برنامج فيه خدمة للمراهقات، أي برنامج فيه خدمة للمسلمين.

فتأتي تقول له اعطيني أنا أقوم به؟ فيقول لك: حقوق الطبع محفوظة! فإما أنا أسويه يا إما ما أحد يسويه، ومن ثمّ يكون هذا قد اعتلى الدين من أجل رفعة نفسه، وليس لأجل نشر الحق.

أحياناً يأتي أحد يقول: أنا قصدت بذلك أي أنت ما تستطيع تنفيذه، وهذا حق، يعني أحياناً في برامج ما كل أحد يتناولها يستطيع تنفيذه، حفاظاً عليها لازم نمنع الناس من أخذها صحيح، لكن أنت درب الناس على استعمالها.

في النهاية لازم نعرف أن هؤلاء فكروا بهذه الطريقة، وهذا التفكير منتشر..

التفكير هو أن الدين أصبح قومية ليقوموا به، وما أصبح دين لله. قومية بمعنى يجمعهم ويقويهم ويميزهم ويجعل لهم مكانة عليا، ولهذا قالوا ولا تؤمنوا وجه النهار وتكفروا آخره، إلا لأجل مصلحة من تبع دينكم؛ فالآن صارت مصلحة من تبع الدين أهم من الاستسلام للحق! وهم رأوا مصلحة من تبع الدين أن يحفظوا مكانتهم الدينية، ولا يستسلمون للحق.

وستأتينا آية في المقطع القادم تنبههم على الميثاق، الذي أخذ على أنبيائهم.

الجواب لهم {قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ} بمعنى: أن الحق في دين الله، وليس في القوميات، وفي الدعوات؛ وهذه جملة معترضة، يعني رد الله عليهم.

يعني كأنهم قالوا {وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا مَنِ تَبِعَ دِينَكُمْ} لأجل ألا يؤتى أحد مثلما أوتيتم؛ فما يريدون أن يصل أحد لمنزلتهم. أو يحاجوكم عند ربكم.

يعني آمنوا واكفروا لأجل ألا ينازعكم أحد في هذه المكانة، أو لأجل ألا يأتون يوم القيامة ويحاجوكم، فأنتم لو آمنتم وجاءوا يوم القيامة وجاءوا يوم القيامة يقولون ما آمنتم بنا تقولون نحن آمنّا، وطبعًا هذا كله من جهلهم، أنهم يتكلمون عن الأمور كأنهم لا يعلمون أن الله عليهم بذات الصدور.

الجواب عليهم: وهم الآن ينازعون في مكانة دينية:

{قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (١)

ولا زلنا في سياق الكلام عن خيانتهم، فتأتي الآيات بعدها تخبر عن أنهم استعملوا الدين بأسلوب فيه خيانة حتى وصل أن معاملاتهم المالية الخيانة لها أثر عليها.

من أي وجه؟

(١) [سورة آل عمران ٧٣]

إذا أحد أعطى أحد أمانة ولو دينار لا يؤده إليه، وطبعًا فيه طائفة لو أمنتها على قنطار أداه إليك؛ وهذا من الإنصاف العجيب في الآية أنها ابتدأت بالكلام عن أصحاب الأمانات.

وبهذا تعلّمنا أننا لما نرى سوءً وفيه حسن فلا تتسارع في الكلام عن السوء أولاً، بل تكلم عن الحسن؛ بمعنى لما نأتي نقول كذا وكذا من العيوب، قبلها نقول الخير موجود وهذه حالة من الحالات الاستثنائية.

ولهذا ربنا قال:

{وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ} (١)

أين الخيانة؟

أنهم فعلوا هذا الفعل؛ لأن علماءهم يقولون لهم ليس عليكم في الأميين سبيل.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا} يعني العلماء {لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ}

(١) [سورة آل عمران ٧٥]

الله يقول {وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} هذه هي الخيانة، أنهم يقولون على الله الكذب وهم يعلمون.

جاء تقرير الحق:

{بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} (١)

ثم أخبر سبحانه أن هؤلاء وقعوا في الخيانة كما في آية (٧٧)؛

ثم هذا الوجه الأخير للخيانة وهو أنهم يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب.

{وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُوءْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (٢) وهذه الخاتمة للآية ثاني مرة نسمعها، وهو وجه من وجوه الخيانة، بهذا انتهينا من آية (٧٨).

نراجع المقطع:

١-العنصر الأول: الدعوة إلى أصل الدين (٦٤-٨٦)

(١) [سورة آل عمران ٧٦]

(٢) [سورة آل عمران ٧٨]

٢-العنصر الثاني: صفة طائفة من أهل الكتاب وهي الخيانة (٦٩)-

(٧٨)

٣-العنصر الثالث: الدلائل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم

ببيان حقيقة ما دعا إليه الأنبياء (٧٩-٩٢)

العنصر الثالث من المقطع الرابع (٧٩-٩٢)

الدلائل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ببيان حقيقة ما

دعا إليه الأنبياء

{ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا

وَكْرَهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى
وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ
(٨٤) وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ (٨٥) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ
الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦)
أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧)
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)

الآن في نهاية آية (٧٨) عرفنا أن اليهود من طبعهم التحريف؛ لِي
اللسان المقصود به التحريف.

لما أخبر سبحانه وتعالى عن تحريفهم أشار سبحانه وتعالى إلى
الطريق الذي به تميز فيه ما هو من الكتاب مما ليس هو من الكتاب؛
لأنهم يقولون هو من عند الله، والحقيقة ما هو من عند الله.

(١) [سورة آل عمران ٧٩ - ٨٩]

فأية (٧٩) وما بعدها تبين الميزان الذي تعرف به ما يكون من الكتاب ممن هو ليس من الكتاب، وفي الآية تعريض بالنصارى؛ لأن النصارى قالوا إن عيسى عليه السلام أمرهم أن يعبدوه.

فيبين سبحانه وتعالى أنه لا يمكن أن يكون عيسى عليه السلام أمرهم بذلك.

فأتت الآيات تبين كيف الله يأمر الأنبياء أن يفعلوا أو يقولوا؛ بحيث أنك أنت تميز الحق من الباطل، وفي الآيات تعريض بالنصارى الذين قالوا إن عيسى عليه السلام أمرهم بعبادته.

ولذا الآن لما يكون الإنسان عنده علم، وعنده إيمان وتقوى، فيستطيع أن يميز لما أحد يكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم، أو يكذب على الله يستطيع أن يميز أن هذا كذب، وهذا صدق.

فلما يأت أحد إلى أي شيء فيه شبهة الشرك، ويقول العلماء أمروا به، والأنبياء أمروا به! الله قاله!

أنت مباشرة تعرف أنه يكذب...لماذا؟

لأن دين الله تام الوضوح، والذي يتبع دين الله، أو لا يتبعه المؤمن يكون مميزاً له.

كيف يميزه؟

سيتبين الآن في الآيات:

{مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ} (١)

لاحظوا كلمة بشر فهو الآن في درجة البشرية، لكن الله نقله من درجة البشرية إلى النبوة؛ كان بشرًا ولزال بشرًا، لكن انتقل في البشرية لدرجة النبوة.

{ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ}

مستحيل هذا أن يعطيه الله الكتاب، والحكم، والنبوة، ثم يدعو الناس لعبادة هذا البشر مستحيل.

إذا بهذه المسألة تعرفين ما يكون من دين الله، وما هو ليس من دين الله.

فإن قالوا هذا من عند الله فأنت مباشرة تعرف أنه ما هو من دين الله، وفيه تعريض بالنصارى الذين قالوا إن عيسى عليه السلام يأمرهم أن يعبدوه.

(١) [سورة آل عمران ٧٩]

طيب بماذا يأمر الرسول؟

{وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ} ربانيين ستكون خلاف البشر، ربانيين من الرب؛ لا يمكن يقول لهم اعبدوني وهو بشر، إنما يقول لهم كونوا ربانيين؛ يعني عابدين للرب سبحانه وتعالى.

وهذه الربانية إنما هي شكرًا لله.. بماذا؟

{بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} إذا الربانية منهج صاحبه يعبد الله؛ لأنه متيقنًا أن الله مستحق للعبودية؛ فيتعلم الحق، ويعمل به، ويُعلمه.

وهذا أيضا تعريض للخائنين السابقين؛ فكل الخيانة السابقة اعتمدت على أنهم كانوا يعلمون الناس الباطل لأن من أول الكلام بدلًا ما يعلمون الناس كانوا يودّون لو ضلّ الناس، بدلًا ما يعلمون الناس ما شهدوه فهم يكفرون بما شهدوه، بدلًا ما يعلمون الناس كانوا يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون، بدلًا ما يؤمنون كانوا يقولون آمنوا وجه النهار واكفروا آخره، بدلًا ما يعلمون الناس الوفاء والتقوى كانوا يقولون لقومهم ليس عليكم في الأميين سبيل.

فكل هذا خلاف الربانيّ الذي هو على منهج صحيح في عبادة ربه بما يتعلمه ويدعو إليه؛ فهو متعلم وعامل وداعٍ.

فأصبحت هذه الآية فيها تعريض بالنصارى القائلين إن عيسى ابن الله، ولليهود الذين طبعهم الخيانة.

إذا الرباني لا يخون؛ لأن ما يُطلق عليه رباني إلا إذا كان على منهج صحيح يعبد ربه، والمنهج هذا مبني على العلم.

فلأنه متعلم عابد فهو معلّم، وقد ذُكر عن ابن عباس في الربانيين، أنهم الذين يعلمون الناس صغار العلم قبل كباره.

والمعنى أن هؤلاء ما يخرجون عند الناس ويستعرضون عليهم علمهم، ويجدون فئة بسيطة كانوا يحتاجون يعرفون سورة الإخلاص، وسورة الناس، فيأتون لهم من كل بحر ليوصلوا إلى مشاعر الانبهار من الطرف الثاني!

فكان ابن عباس يقول إن الرباني هو الذي يمشي الناس على منهج يوصلهم إلى أن يكونوا عابدين حقًا لله هو الذي يبدأ بصغار العلم، عامة الناس يعلمهم صغار العلم إلى أن يصلوا إلى كباره، لو فُتح عليهم باب العلم، ولو ما فُتح لهم باب العلم فيبقون هؤلاء متعلمين صغار العلم وهو الأساس.

فالشاهد أن هنا تعريض بالخائنين من اليهود.

انتهينا من هذه الآية التي فيها بيان لمنهج الحق، وأنت كيف تعرف أن هذا من عند الله.

منهج الدين واضح، فلا يمكن يأتي شيء يشذ عنه.

ولتتصوروا هذا الأمر سأحكي لكم موقفًا حقيقيًا حصل في مدرسة:

الآن هذه مديرة مدرسة، وتمر على الطالبات وفيه المخالفات من يلبسون كذا وكذا، فوجدت طالبة تلبس تميمة، وواضح أنها تميمة ورق صغير مطبق، ومربوط عليه شيء فوقه وموضوع في سلسلة، والذي يظهر هي السلسلة، أما التميمة موضوعة في الداخل.

المهم النقاش دار وخرّجها وافسخيها، وهي ماهي راضية أبدًا الطالبة ثم بالشدة والقوة أخذوها منها، اتصلوا على أمها وأتت أمها، أولًا كادت أن تنهار لما عرفوا أنهم نزعوها من رقبة بنتها، لأنها معتقدة أن بنتها في حماية التميمة!

الشاهد أنها تقسم أيمان أن مفتي المملكة هو الذي سواها لها!!

طيب نحن الآن ماذا نفعل في هذا الموقف؟

بدأوا يقولون لها: حرام وهذه التميمة فيها شرك، وهي هاجمتهم بهذه

المهاجمة أن مفتي المملكة!

طيب افترضني أنك موجودة في هذا الموقف، أيمانها المغلظة تجعلك تشكّين، لكن يقينك بأن هذا باطل ولا يمكن أن يقع فيجعل هذه الأيمان كلها لا قيمة لها، فتصوروا هذا الموقف بنفس هذا الأمر، في أمور كثيرة تمر عليك في الحياة، والناس يشبهون عليك أن هذا أكيد من الدين، وأنت تعرفين أصول الدين، وتعرفين أنه لا يمكن أن يكون هذا من الدين، وما يحتاج تذهبي تراجعين، ولا يقولوا لك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بكذا وكذا من الشرك، ومن الأمور التي أنت متأكدة أنها تخالف أصل الدين؛ هل يحتاج تقولين أذهب أراجع، هل الحديث هذا موجود أم لا، وهو مخالف لأصل الدين؟ فأنت متأكدة أنه يكذب.

ففي أمور لازم تكون في نفوسنا مثل الشمس، ومهما جاء أحد تغييرها أو الاستشهاد مثلا بأي شيء مكذوب، ولو حلف أيمان مغلظة، فأنت مباشرة تقولين هذا يخالف الدين أو فهمك للنص خطأ إن كان النص ثابتا.

المهم مقصدي بالمثل أن تتصوروا {مَا كَانَ لِبَشَرٍ} يعني لا يمكن أن يفعل هذا، ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي؛ يعني كأن الله يقول لهم ما بالكم أين عقولكم؟ كيف تتصورون أن يرسل رسولا، فالرسول

يستغل مكانته أنه رسول، فيتحول من أن يدعوكم لعبادة الله إلى أن يدعوكم لعبادة نفسه؟!!

وهذا يفهمنا مباشرة أن كل الذي يبني عليه الروافض الاثني عشرية دينهم وغيرهم ممن يشبههم باطل؛ لأن مبنى دينهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى عبادة نفسه، وعبادة أهل بيته! فهذا مضمون كلامهم.

فنفس هذه الآية ترد عليهم، وعلى أي أحد يأتي بأي كلام يشبه هذا؛ كيف أنهم يعتقدون أن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم، والطلب منه والدعاء ديناً!

ما كان لبشر بعد أن يؤتیه الله الكتاب والحكم والنبوة، ويصبح له هذه المكانة، أن يقول للناس كونوا عباداً لي، واطلبوني واسألوني وادعوني! كيف؟!!

الرسول أتى ليكون الناس ربانيين، وليسوا بشريين يطلبون البشر. المهم تعرف لو قال لك العدو هذا من عند الله، فأنت تعرف الذي من عند الله من الذي ليس من عند الله.

الأصول الأساسية.. فكلنا مهما اختلفنا في درجة العلم، ففي أصول أساسية لازم تكون تامة الوضوح؛ ثم بعد ذلك التفاصيل الناس مختلفين في علمها، لكن لا يمكن أبدًا تشكيّن أن الدين يدعوك إلى الشرك، أو ما يشبه ذلك، أو إلى أي مسألة باطلة في أصول الايمان بالقضاء والقدر، أو أي مسألة باطلة في عقيدتك في الكتب.

ففي كل ركن من الأركان أصول لازم ما تفوتك أبدًا.

نأتي في آية (٨٠) يكتمل المعنى، يعني كما أنه لا يمكن أن يأمركم بعبادته، فكذلك لا يمكن أن يأمركم بـ

{وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا} (١)

ليس شرطًا أن يدعو إلى عبادته، بل ولا يمكن أن يدعو إلى عبادة الملائكة، والنبيين، يعني عبادة غير الله؛ لا يمكن أن يقول لهم اتخذوهم أربابًا، وادعوهم واسألوهم، لكن كونوا ربانيين وليس أربابا لغير الله.

الآن سيحكم الله على هذه الدعوى حكمًا لا يفارقها أبدًا:

{أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}

(١) [سورة آل عمران ٨٠]

والكفر هو الشرك هنا؛ يعني تكفرون بعد إسلامكم بعد ما كنتم
ربانيين مسلمين، مستسلمين لرب العالمين، تصبحوا كافرين بالحق عن
طريق الشرك.

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ} ^(١) هنا أيضا تعريض بما وقع من أهل
الكتاب من نشرهم للباطل، وأن الأنبياء أمرهم ألا يؤمنوا بأحد
بعدهم.

كما يقول اليهود إن النسخ في دينهم ممنوع، ومن ثم ما في دين يأتي
ينسخ دينهم، وإذا جاء رسول لابد أن يكون على نفس شريعتهم
بالضبط، يعني الذي حلله موسى يحلله والذي حرمه موسى يحرمه،
وأي تغيير يبطل أن يكون هذا رسول من عند الله!

وعلى كل حال حتى هذه الدعوى هم كذابون فيها؛ لأنهم بنفسيهم كما
في البقرة ما آمنوا بموسى عليه السلام، لكن على كل حال هم يفترون
على الأنبياء أنهم قالوا لهم لا تؤمنوا لأي أحد يأتي بعدي إلا على
شريعته.

(١) [سورة آل عمران ٨١]

فالله عزوجل يعرّض بهم هنا، وأن هذه هي الحقيقة التي حصلت في عالم الغيب؛ **ما هي الحقيقة؟**

{لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ} الحقيقة أن الله أخذ العهد على النبيين مهما آتيتكم من علم وحكمة عظيمة؛ فماذا سيفعلون؟

{ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ}

أي مهما آتيتكم من علم وحكمة عظيمة جاء رسول من بعدكم صفته أنه مصدق لما معكم؛ يعني معه أدلة على أنه رسول، وأهم دليل أنه رسول أن يكون موافقًا فيما أتى به للرسول.

الآن سيأتي محل الميثاق:

{لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ}

أي أخذ الله ميثاق النبيين أنه مهما بلغ علمكم الذي آتاكم الله إياه، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم وعرفتم أنه رسول؛ **فما الواجب عليكم؟ أمرين**

تؤمنون به وتنصرونه؛ جاء في زمانكم، أو جاء بعدكم.

يعني هذا الميثاق، الله أعلم كيف أخذ لأنه شأن غيبي، كيف جمع الأنبياء، وكيف أخذ الميثاق؟ فكل هذا شأن غيبي، لكن بالنسبة لك

تعتقدين إن هذا الميثاق أُخذ على الأنبياء أن أي نبي يأتيكم تعرفون أنه نبي لأنه مصدق لما معكم، فالواجب عليكم تؤمنون به، وتنصرونه أنتم وأتباعكم.

إن جاء في زمانكم فأنتم ربانيين؛ فما تتنافسوا معه، وهذا مستحيل في حق الأنبياء، بل تؤمنون به وتنصرونه

وإن جاء في غير زمانكم المفروض أتباعكم يكونوا ربانيين مادام جاء من الرب فتتبعونه.

فهذا معنى محل الميثاق: أنه مستحيل يكون الرسول أمرهم ألا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم؛ فهذا تعريض بهم كما مر معنا أنهم قالوا {وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ}

سنرى كيف هذا ميثاق غليظ:

{قَالَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي} إصري يعني الميثاق

الغليظ الشديد المؤكد

{قَالُوا أَقْرَرْنَا} يعني اعترفنا {قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ

الشَّاهِدِينَ}

إذا معنى ذلك أن الله عزّ وجل أخذ هذا الميثاق من النبيين أن يكون هذا حالهم، وأن يعلموا أتباعهم.

فمن جهة تعليم الأتباع أكيد الأنبياء قاموا بدورهم، وعلموا أتباعهم.

{فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}

وهنا لازم نوّكد حتى لا تخطئون في هذه العقيدة، فمن تولى من أقوامهم، لا يمكن أن يكون من الرسل، لا يمكن الضمير يكون عائد على الرسل وإنما من الأقوام وإن لم يكن لها سابق ذكر، لكن هذا ما نعتقده أن الرسل لا يمكن بعد أن يعطيهم الله الرسالة يتولوا.

وهذا الموطن يشبه الموطن الأول

**{فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا
آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}** (١)

ثم تختم الآيتين ثم قوله عزوجل: **{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَاكِرِينَ}** (١)

(١) [سورة آل عمران ٥٢ - ٥٣]

فالضمير في {وَمَكْرُوا} لو رجعتيه لأقرب مذكور يصير الكلام خطأ على الحواريين، إنما المقصود أنك ستعودين إلى {فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ} فهنا نضبط القاعدة: أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور مناسب، وليس أقرب مذكور إطلاقاً.

طيب هنا ما هو مذكور! إنما المذكور أنبياءهم، وما فيه خبر عن أقوامهم، نقول: لا؛ هذا يقدر، إذا لم يكن مذكوراً يقدر بناء على فهمك للكلام.

{فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ} من الأقوام، وخصوصاً الجملة التي تُختم بها الآية {فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} ^(٢) لا يمكن أن يُحكم على الرسل بهذا، ولكن من تولى من الأقوام.

سيبدأ الآن الخطاب للأقوام الذين تولوا:

{أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ} أيتولون فيبغون غير دين الله؟!

الله عزّ وجل يقول لهم: كيف يطلبون غيره، ويرغبون في غير دين الله؟!

(١) [سورة آل عمران ٥٤]

(٢) [سورة آل عمران ٨٢]

هذا لا يحسن.. وستأتي الأسباب:

{وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا} (١)

هذا السبب الأول: أن كل من في السماوات والأرض أسلم لكن على

نوعين: نوع طوعًا، ونوع كرهًا.

١/ **أما الطوع** فهم المؤمنون المسلمون المنقادون لعبادة ربهم.

٢/ **أما الكره** الجميع منقادون مستسلمون للأقدار، فلا خروج لهم

عن قضائه وقدره،

فالأولى لك أن تكون مستسلمًا طوعًا، ولذلك لما تسمعين -الله

يعافينا ويهدي جميع الشباب لطريق الصواب- شاب يقول لك، أو

شابة في سبب إلحادهم وتركهم للدين أنهم دعوا ربهم وما استجاب

لهم، طبعًا ماهي بهذه البساطة لكنهم يعقدون المسألة لكن هذا مجمل

ما يقولونه، سنفترض والعياذ بالله أنك أُلحِدت فماذا سيكون؟

ستخرج عن الاستسلام له كرهًا؟! فالإلحاد أخرجك عن الاستسلام

له طوعًا فقط، لكن لن يخرجك عن الاستسلام له كرهًا.

(١) [سورة آل عمران ٨٣]

فهب أنك خرجت من الدين، فهل سيأتيك مرادك؟!

ما يأتيك مرادك، وما تعاقب إلا نفسك.

فكأنه يقال أنت تحت حكم الله، فكن طوعًا خير لك من أن تكون كرهًا.

وأي أحد يقول أنا طلبت، سألت، رجوت، ورأيت الظلم في الدنيا، طيب إذا رأيت هذا فخرجك عن الإيمان طوعًا ماذا سيفعل؟ ما أثره؟ فهذا المعنى واضح فكيف يتولون عن الإسلام ويتركونه، وهم في نهاية الأمر مستسلمون لله.

فمن يستسلم طوعًا يكسب الخيرين، ومن يستسلم كرهًا لا خير في حاله؛ لأنه في النهاية مستسلمًا لرب العالمين، لكن لن يقع عليه إلا ما قد قُدّر له. فهذا كان الأمر الأول.

السبب الثاني: {وَالِيهِ يُرْجَعُونَ}

أنه في النهاية مرجعكم إلى الله، فكيف لا تستسلمون طوعًا.

سيكون في سبب ثالث، لكن سيكون متأخر قليلًا.

الآن سيخاطب الله أهل الطوع، الذين استسلموا طوعاً:

{قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ}

معنى استسلامكم لله طوعاً مضمون هذه الآية الذي مبدأها الإيمان بالله ثم الكتب والرسول:

{وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ} (١)

يعني المستسلم لله، مؤمن بالله وبالكتب وبالرسول.

ومن إيمانه بالكتب والرسول أنه {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ} معنى ذلك

الحب لهم جميعاً.

{وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} يعني آمننا بالله، واستسلمنا لله.

وهذه الآية ممكن تحمل معنى الإسلام:

١- الاستسلام لله بالتوحيد: {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ}.

٢- الانقياد له بالطاعة: {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}.

(١) [سورة آل عمران ٨٤]

٣- البراءة من الشرك وأهله: يعني حب أهل الايمان، وهو الإيمان

بالرسل {لَا نُفَرِّقُ} في المحبة {بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ}.

هذا خلاف الخيانة الحاصلة من أهل الكتاب.

إذا نربط بين آية (٨١) وبين (٨٤) ما هو الرابط؟

كل رسول أخذ عليه العهد، أنه لو جاء رسول بعده يؤمن به، وينصره، تصوري هذه الآية عن الرسل كلهم أخذ ميثاقهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ثم في بعض التفسيرات منها تفسير ابن عباس وعلي رضي الله عنهما، أن كل الرسل أخذ عليهم العهد أن يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم.. فأصبحت الآية تحمل المعنيين آية (٨١)

✓ إما أن الأنبياء يؤمن بعضهم ببعض

✓ أو أن الأنبياء جميعا أخذ عليهم العهد يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهذا هو تفسير بن عباس وعلي رضي الله عنهما ولذلك هذا الأقوى عند من يختار تفسير السلف ويقف عليه.

فإذا كان الأنبياء أخذ عليهم العهد أن يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم، فيكون هذا حالك؛ أنك أنت في المقابل يا من يتبع الرسول ستؤمن بالله وبكل الرسل.

إذا الرابط بين آية (٨١) وآية (٨٤):

أنت أنت أيها المؤمن تؤمن بالله وبجميع الرسل كما أن جميع الرسل أخذ عليهم العهد وعلى أتباعهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وعلى المعنى الأول في الآية (٨١) - أن الرسل بعضهم يؤمن ببعض - فمعنى ذلك أن الذي سيكون خاتمهم سيؤمن هو وأتباعه بجميع الرسل؛ ففي النهاية الآية تعود لنفس المعنى

أنت مطلوب منك كما أمرك رسولك الذي أخذ عليه الميثاق أن يؤمن بجميع الرسل السابقين؛ كل الرسل أخذ عليهم الميثاق في اللاحقين، والنبى صلى الله عليه وسلم وأتباعه أن يؤمنوا بكل الأنبياء السابقين لأنه خاتم الرسل.

نأتي الآية التالية (٨٥) كأنها معطوفة على آية (٨٣) وهي السبب الثالث في آية (٨٣) كيف يبغون غير الإسلام ديناً:

{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (١)

(١) [سورة آل عمران ٨٥]

ومعنى هذا إذا رجع إلى الله سيكون من الخاسرين، إذا لم يحصل منه الاستسلام لله.

طيب لماذا إذا لم يستسلم لله، لن يُقبل منه دينه؟

لأن أصل الدين أن تستسلم لرب العالمين، فإذا ما استسلمت لرب العالمين فأنت معناها أنك تتبع هواك.

يعني نترك الكلام عن الله، ونتكلم عن الوالدين:

يأتي يقول أنا مطيع لوالدي وبار بهما، لكن بره على هواه! إذا طلبوا منه كذا لا يستسلم لهم، وإذا منعوه من كذا لا يستسلم لهم!

وفي النهاية يمدح نفسه، أنه بار! لماذا؟

هو من عنده يخترع أعمالاً ليست مطلوبة، ولا أمره بها، ولا تسمن ولا تغني من جوع ويقول: أنا بار!

متى تكون باراً؟

إذا استسلمت لوالديك فأطعتهم فيما أمروك، واجتنبت ما نهوك عنه بهذا تكون مستسلمًا لهما، ومن ثمّ تكون بارًا بهم.

لكن تترك ما أمروك به، وينهوك عنه، وتصف نفسك أنك بار بأعمال
أنت اخترعتها فهذا ليس بر.

طيب تعالي للكلام عن رب العالمين:

ماذا تقولين؟

الله شرع شريعة من العابد؟ الذي يستسلم لله، ويأتمر بما أمر الله،
وينتهي عما نهى الله؛ أما هو يذهب يحضر بدعا من عنده، ويعملها
ويقول أنا عابد، ومستسلم لرب العالمين؛ أكيد هذا ليس عبادة وليس
ديناً.

إذا لن يقبل الله ديناً إلا الاستسلام له، أما الهوى والأموار على ما يرغب
الإنسان، وإنا وجدنا آباءنا على أمة وغيرها من المعاني فكلها غير
مقبولة، لكن أستسلم لله باتباع دين الله.

من أين أعرف دين الله؟ من خلال الرسل.

ولذلك آية (٨٥) وإن كانت مكملة لآية (٨٣) لكنها تامة المتابعة لـ
(٨٤)

**{وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ
مِنْهُ} فإيماننا بالله، وإيماننا بالرسل يأتون بالاستسلام؛ آمنت أن الله**

موجود، وأمنت أنه أعطاك وآواك وكفاك وأنه مستحق للشكر، فخلاص تمام، إذا آمنت بهذا فلازم تؤمن أنه أرسل رسولاً يعلمك ما المنهج الذي تعيش به؛ يعني كيف تشكره؟ كيف تذكره؟ كيف تطلب منه؟ وكيف تعيش؟ فأنت مادام آمنت بالله، لازم تؤمن أنه أرسل لك رسول، والرسول الذي جاءك أتاك، علمك الأعمال والمطلوب منك أنك تستسلم.

إذا ابتغيت غير هذا الاستسلام ديناً فلن يقبل منك، لأن معناه أنك اخترت من عندك، ولا يمكن أن يطاع الله إلا بما شرع رسول الله.

فمن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه.. لماذا؟

لأنه ليس طائعاً لله، وإنما يكون طائعاً لهواه، أو إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون، أو مقتدون! وهذا باطل فما هذا هو الاستسلام.

سنرى الآن هذا المعنى في الآية التالية:

{كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} (١)

(١) [سورة آل عمران ٨٦]

يعني هؤلاء القوم بعدما عرفوا الحق، وعرفوا الرسالة، وعرفوا الرب
كفروا بعد إيمانهم، يعني رفضوا متابعة الرسول.

{وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ} يعني كفروا بعد إيمانهم، وبعد شهادتهم
أن الرسول حق.

{وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} يعني ليس لهم عذر في كفرهم، لأن البيّنات كانت
واضحة لهم.

{وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} إذا هذا دليل على استحقاقهم
للخسارة كما في آية (٨٥) **{وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}**^(١) وهو من
ابتغى غير الإسلام دينًا.

ما صورة من ابتغى غير الإسلام دينًا؟

{كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} هم يعرفون أسس الدين؛ فيعرفون وجود
الرب، يعرفون كمال الرب، وأنه يرسل رسول وأنه يأمر بأوامر،
ورسولهم من المؤكد قال لهم آمنوا بأي رسول يأتي من بعدي؛ فبعد
إيمانهم كفروا، وبعدما شهدوا أن الرسول حق كفروا به، وبعدما
جاءتهم البيّنات كفروا به، ولذلك يستحقون أن يكونوا في الآخرة من

(١) [سورة آل عمران ٨٥]

الخاسرين، والله لا يهدي القوم الظالمين لأنفسهم الذين ردوا الحق لمجرد القومية، لمجرد العصبية، لمجرد النصرة لأنفسهم.

الآن يأتي وعيدهم:

{أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} (١)

لماذا هذا الوعيد المغلظ؟

بسبب ما ورد في آية (٨٦) وهو أن كل أسباب النجاة اجتمعت لهم، لكنهم أعرضوا عنها؛ فكفروا بعد إيمانهم، كفروا بعد أن شهدوا أن الرسول حق، كفروا بعد أن جاءتهم البينات؛ فهذا أعلى حال في العناد، فيستحقون أن يلعنهم الله، والملائكة، والناس أجمعين.

{خَالِدِينَ فِيهَا} والضمير عائد على ماذا؟

- في قوله قوي أنه عائد على اللعنة؛ يعني خالدون في لعنة الله.

- أو تعود على مقدر وهو النار أي خالدون في النار.

{لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} (٢) فمعنى ذلك إصرارهم

على هذه الحال سبب هذا التخليط في العقوبة.

(١) [سورة آل عمران ٨٧]

(٢) [سورة آل عمران ٨٨]

سيأتي استثناء:

{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} (١)

هذا الأمر الأول: بعدما كفروا تابوا بعد هذا كله، وهذا إبقاء الأمل

لهم، يعني مهما حصل من ذنوب، فلزال الباب مفتوح لهم.

ثم شرط آخر:

{وَأَصْلَحُوا} والإصلاح في حقهم، سيكون بتبيين الحق، ونشر الحق،

وبيان أنه رسول، وأن الآيات التي أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم

أتت في كتبهم..

وهذا كله:

{فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} هذا لأن الله غفور رحيم، سيعاملهم بلازم

هذين الاسمين؛ بمعنى سيغفر لهم ويرحمهم.

فعرفنا في هذه الآيات رد على الخيانة السابقة، وتعريض بالكذابين

الذين وقع منهم الكذب والافتراء.

(١) [سورة آل عمران ٨٩]

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ} (١)

إذا هنا الخبر عن قوم كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا، يعني ليسوا مثل الذين قبلهم تابوا إنما ازدادوا عنادا وكفرا؛ فهؤلاء لن تقبل توبتهم، وهذه الآية من المشكلات، وسنكمل قراءتها إجمالا، ثم نستفتح بها اللقاء القادم.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ} على
كفره {مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ} في الآخرة {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}

آية (٨٦) إلى آية (٩١) كلها تابعة لبعض، كلها متتابعة عن أحوال أهل الكفر من أهل الكتاب، وهنا ننتهي عن الكلام عن الذين كفروا من أهل الكتاب.

(١) [سورة آل عمران ٩٠]

اللقاء الحادي عشر من آية (٩٢-١٢٠)

٢٤ ربيع الأول ١٤٤١ هـ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله؛ نبدأ من مكان ما انتهينا.

كنا المرة الماضية تناقشنا في المقطع الرابع من (٧٩-٩٢)

وبقي لنا آية واحدة وهي (٩٢) ما تناقشنا فيها.

آية (٩٢) هي نهاية المقطع السابق وافتتاح التالي.

كان المقطع السابق يدور حول بيان حقيقة ما دعا إليه الأنبياء، ومن ثم النبي صلى الله عليه وسلم؛ فكل الأنبياء لا يمكن أن يدعوا إلى الشرك، لا يمكن.

ولذلك بدأ هذا المقطع بقوله تعالى:

{مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ

لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ} **إِذَا يَأْمُرُ النَّاسَ بِمَاذَا؟** {وَلَكِنْ

كُونُوا رَبَّانِيِّنَ}

فيه شيء آخر لا يمكن أن يقوله:

{وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا} (١)

هذا الأمر وهو اتخاذ النبيين أربابًا، أو أن يدعوكم إلى عبادة نفسه، فهذا يعتبر كفر، ولهذا الله عزّ وجل يقول في نهاية الآية {أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

فأي أحد يأمر أي أحد أن يعبد، أو يعظمه، أو يعبد غير الله فيصير حكم هذا الداعي يدعو إلى الكفر.

طيب الداعي يدعو إلى ماذا؟

إلى أن يكونوا من الربانيين، والربانيون عندهم ثلاث صفات (متعلمين - عاملين - مُعلِّمين)

هذه صفات الربانيين؛ أي أحد آخر لا تعطه ثقتك، بل لازم يكون متعلمًا تعلمًا ربانيًا؛ يعني متعلم الكتاب، ومتعلم السنة.

طيب فيه متعلمين كثيرين!

(١) [سورة آل عمران ٨٠]

لازم يكون عامل بما يعلم، ثم يرقى ليصير أهلاً لأن يكون ربانياً يرقى
لحد التعليم، حتى كلمة الدعوة ما نستعملها، الأصل ليصل أن يكون
ربانيّ أن يُعَلِّم؛ متعلم، يعمل، يُعَلِّم.

ثم بعد هذا تبين لنا أن الله أخذ العهد على كل الأنبياء أن ماذا
يفعلون؟

أن الأنبياء مهما أعطاهم الله، من كتاب، وعلم، وحكمة، وجاءهم
رسول يؤمنوا به، وقلنا إن هذه الآية تحتل أن يكون أي رسول،
وتحتل كما ذكر عن عليّ وابن عباس رضي الله عنهم أنها في
الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا من جهة الرسل وأممهم.

طيب من جهة الرسول وأمته ما المطلوب منهم؟

{قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ
رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (١)

(١) [سورة آل عمران ٨٤]

بهذا عرفنا الأنبياء وأممهم، وعرفنا موقفنا من النبي صلى الله عليه وسلم، وموقف أمته، وبهذا فهمنا إلى ماذا يدعو النبي صلى الله عليه وسلم.

بعد هذا بعد ما أتى من عند النبي صلى الله عليه وسلم، يقال ماذا؟

{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (١)

ثم نوقش حال الذي لا يُقبل منه، وكيف أنه لو تاب له شأن، ولو حضرته الوفاة وهو لم يتب كيف يكون شأنه.

الى أن وصلنا إلى:

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ} (٢) لن يُقبل منهم أي شيء يفتدوا به، ولو كان ملء الأرض ذهبًا.

بهذا انتهينا من أحوال الكافرين.

(١) [سورة آل عمران ٨٥]

(٢) [سورة آل عمران ٩١]

لكن أتت آية تنبه المؤمنين وهي آية (٩٢):

{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ

اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ} (١)

في آية (٩١) ظهر فيها عدم نفع الإنفاق، في مقابل في آية (٩٢) بيان ما ينفع المؤمنين ويُقبل منهم.

إذا الكفار لو افتدوا يوم القيامة بملء الأرض ذهبًا فلن يُقبل منهم، في مقابل أن المؤمنين يُقبل منهم بإنفاقهم ولو كان قليلاً؛ وهنا يُقصد الإنفاق في حال حياتهم وتعبدهم.

نكون في آية (٩٢) أغلقنا السابق؛ وهذا دليل على أن القرآن مثاني، فلما ذكر عدم انتفاع الكفار بإنفاقهم، ذكر انتفاع المؤمنين بإنفاقهم.

إقامة الحجة على أهل الكتاب بِرَدِ الشُّبُهَةِ (٩٣-١٠١)

وأيضاً هذه الآية (٩٢) تفتح لنا النص التالي: من آية (٩٣-١٠١):

(١) [سورة آل عمران ٩٢]

إقامة الحجّة على أهل الكتاب بِرَدِ الشُّبُه:

هناك شبهتين سيُرد عليهم:

١/ - شبهة إنكار النسخ.

٢/ - شبهة استقبال القبلة.

نبدأ الآن في آية (٩٣):

{كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ}

بني إسرائيل يعني بني يعقوب، يقصد كل الطيبات كانت حلال لهم،
وحُرمت الخبائث هذا في شريعة الله من عند آدم والخبائث محرمة.

ثم يأتي الاستثناء:

{إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ}

أي يعقوب في حادثة ما ذكرها أهل العلم أنه حرّم على نفسه بعض
الطعام لسبب ما.

القضية أن الأصل أن الله شرع لهم أن كل الطعام حلّ، ثم أن
إسرائيل حرم على نفسه؛ بمعنى منع على نفسه بعض الطعام.

طيب متى حصل هذا؟

{مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ}

يعني هذا التحريم كان قبل نزول التوراة، من المؤكد لأن يعقوب عليه السلام أب لبني إسرائيل، وبني إسرائيل جاء منهم الأسباط الاثنا عشر أبناء يعقوب، ومن هذه السلالة أتى موسى بعد زمن طويل،

فلما انتقل الاثنا عشر سبطاً مع والدهم إلى مصر، واستقروا في مصر تحت حكم يوسف عليه السلام، وبقوا زمناً طويلاً إلى أن أتاهم موقف فرعون واستعباده، أو سلالة هذه الفراعنة التي استعبدهم، ومن ثم جاء موسى عليه السلام، ولما جاء موسى جاءت التوراة. فالذي حرمه يعقوب على نفسه أكيد كانت قبل أن تنزل التوراة.

وهنا سيتبين أنه في شيء مطوي لأن الله سيأمرهم:

{قُلْ فَاتُّوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا} ليظهر كذب ما ادّعيتم {إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ} في دعواكم.

هذه الآية ذكر فيها مجموعة فهموم:

منها أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أنت لست على شريعة إبراهيم لأنك تأكل لحوم الإبل وألبانها، مع أن ذلك كان حراماً في دين

إبراهيم، فهذه دعوى اليهود أن الحرمة ما كانت من عند إسرائيل، بل كانت الحرمة من إبراهيم؛ فإذا أنت كنت على دين إبراهيم فكان الواجب عليك أن تحرم على نفسك أكل لحوم الإبل وألبانها؛ جعلوا هذا شبهة على النبي صلى الله عليه وسلم.

الآن الجواب عليهم بماذا؟

أن هذا كذب وأن الذي حرّم على نفسه لحوم الإبل وألبانها هو يعقوب من قبل أن تنزل التوراة، ولم يكن إبراهيم عليه السلام على هذا؛ يعني هذا كان حلالاً في دين إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام إلا أن يعقوب حرّمه على نفسه لسبب من الأسباب فبقيت تلك الحرمة في أولاده هذه هي الحقيقة.

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يأتوا بالتوراة، ويستخرجوا منها آية تدل على أن هذا في دين إبراهيم، ومن المؤكد أنهم ما استطاعوا أن يأتوا بذلك؛ هذا قول في تفسير الآية.

هناك قول آخر:

أن تحريم الله عزّ وجل لبعض الطيبات على بني إسرائيل كان عقوبة لهم بدليل قوله تعالى:

{فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} (١)

فبعد نزول التوراة حُرِّمَتْ كثير من الطيبات عقوبة، وهم ينكرون أنها عقوبة ويدَّعون أنها محرمة من لدن آدم عليه السلام.

طيب هم لماذا ينكرون أنها عقوبة؟

لسببين:

١- / إنكارًا للنسخ:

لما درسنا في البقرة عرفنا أن هذه أكبر علة في إنكار نبوة النبي صلى الله عليه وسلم؛ يقولون أنت يا محمد ﷺ لم تأت على شريعة موسى عليه السلام، ولذلك يصير دينك باطل لأنه ما في نسخ في دين الله.

يعني-تعالى الله عما يقولون- يرون النسخ كأن الله يغيّر رأيه!

وهذا من أفسد الفساد أن يمثلوا الله عزّ وجلّ بخلقه، بل هو الحكيم العليم سبحانه وتعالى.

فهذا تفكيرهم الذي يعتمد على التمثيل، لا على تنزيه رب العالمين، وهذا أصل تفكير الإلحاد أن يمثلوا صفات الخالق بصفات المخلوقين.

(١) [سورة النساء ١٥٩]

لما رأوا أن النسخ ممنوع، فأصبحوا يحاربون النسخ في كل موطن؛ فمما يدل على النسخ أن هذه الأطعمة كانت حلالاً، ثم بسبب ظلمهم أصبحت حراماً؛ فنسخ الحكم من الحلّية إلى الحرمة؛ فالآن هذا دليل عليهم.

لأنهم لو قالوا يا محمد ﷺ لن نتبعك لأنك نسخت في الدين، فنقول أنتم في دينكم حصل النسخ {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا} يعني بسبب ظلمهم نسخنا ما كان حلالاً إلى أن يصبح حراماً، لكن هم يقولون هذا كان من عند آدم حراماً!!

فلماذا يرفضون هذا الأمر ويصرّون على أنه من عند آدم؟

إنكاراً للنسخ.

٢- / السبب الثاني: لأن إثبات هذا دليل ذم لهم.

إذا معنى هذا أنهم يهربون من هذا الأمر، ثم الله عزّ وجل يرد على شبههم.

إذا مبدأ هذا الأمر يعني آية (٩٣) لماذا وردت؟

الله يرد على شبهتهم التي تقضي إلى منعهم من إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وهي (النسخ).

فالله يقول لهم: كذبتهم في هذه الشبهة؛ فقص عليهم قصة الطعام أن كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل من قبل أن يحرم إسرائيل على نفسه ثم لما نزلت التوراة نزلت محرمات أخرى بدليل قوله تعالى {فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا}

على كل حال سواء كان التحريم يقصد به التحريم من عند الله بسبب ظلمهم، أو تحريم نفس يعقوب على نفسه فكان حلالاً ثم أصبح حراماً؛ أي حصلت عملية النسخ سواء كان يعقوب الذي قام به أو إشارة إلى ما فعلوا من ظلم؛ ففي النهاية تكذبون في كونكم تقولون لا نسخ في دينكم، بل كام في دينكم نسخ؛ شيء كان حلالاً ثم أصبح حراماً وطبعاً نحن هنا في دائرة الطيبات، أما الخبائث ليس لنا بها شأن هنا.

ولذا لما قرأنا في شأن عيسى عليه السلام، قال لهم ماذا؟

{وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} (١) وهذا كان سبب أن اليهود

امتنعوا عنه، لأنه أحل لهم بعض ما حُرِّم عليهم.

آية (٩٤) و(٩٥) تابعين لـ {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} وعلى ملة إبراهيم؛

(١) [سورة آل عمران ٥٠]

لأنهم قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم أنت لست على ملة إبراهيم
لأنك تأكل لحم الإبل وتشرب ألبانها؛ فكذبهم الله أن هذا لم يكن
محرمًا لأنه خبيث، وإنما حُرْمَ لأن إسرائيل حرمه على نفسه، إنما ملة
إبراهيم عليه السلام باقية على ما هي عليه.

ولذا الله عز وجل ناقشهم هنا على مسألة الكذب، والافتراء،
والتخليط فقال الله:

{فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (١)

لاحظي تكرار الكلام عن الكذب في السورة.

يعني لورجعنا لآية (٧٥) و (٧٨) على من؟

الكلام عن بني إسرائيل أهل الكتاب من علماءهم، في الآيتين (٧٥)
و (٧٨) كله إشارة لكذب بني إسرائيل خاصة، وأهل الكتاب عمومًا.

لاحظي آية (٩٢) فيها كلمة {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ} طيب ما علاقة البر
بالموضوع؟

(١) [سورة آل عمران ٩٤]

سمعتِ عن الكذب {فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} وسمعتِ عن {قُلْ
صَدَقَ اللَّهُ}

فالبر هنا علاقته بالصدق والكذب؛ لأن في الشريعة عندنا أخبر
النبي صلى الله عليه وسلم أن الصدق يهدي الى البر؛ يعني البر هو رأس
المسألة، البر هو المدح المطلق كما مر معنا في سورة البقرة:

{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} (١)

إذا البر كانه اسم التزكية المطلق، فمن سيكون من أهل البر؟

أهل الصدق يصلون إلى البر، أما أهل الكذب ما يصلون إلا إلى
الفجور.

ثم لاحظي {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} فلماذا؟

لأن الصدقة برهان، كلمة الصدقة من الصدق؛ لأن المتصدق يدل
على صدق إنفاقه.

فكأن آية (٩٢) أغلقت الكلام السابق كله، أن هؤلاء كذابين،
كذابين، واستفتحت الكلام التالي أيضاً أنهم أيضاً كذابين.

(١) [سورة البقرة ١٧٧]

فالكذب ضده الصدق، والصدق يوصل إلى البر، لكن كذبهم
أوصلهم للفجور، أما المؤمنون المفروض يكونوا من أهل البر يعني من
أهل الصدق.

والصدق ليس فقط المطابقة اللسانية للأخبار، بل أصل كلمة
الصدق (القوة)؛ ولذلك يقال: قدم صدق: يعني ثابتة، رجل صدق:
يعني قوي في المواقف شجاع وفي الأزمات يخرج منها وما يخون الخ،
سهم صدق: يعني قوي يصيب مكانه.

الأصل في كلمة الصدق: القوة في الصفات الحسنة.

{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} المعنى أن الدرجة العالية
الاسم المزمى هذا لا يصل إليه الإنسان إلا إذا كان صادقًا قويًا في
عقيدته، قويًا في البرهان على عقيدته.

ما البرهان على عقيدته؟

الإنفاق {حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}

ولذلك الصدقة برهان، يعني دليل صدق الإنسان، يعني دليل
قوة الإيمان.

إذا كيف وصلنا إلى البر؟ من الصدق.

تجددين في المقابل أهل الكتاب كاذبين فهداهم كذبهم إلى الفجور.

ولذلك عدنا مرة أخرى للكلام عن الكذب:

{فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (١)

وستظهر كلمة الصدق:

{قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (٢)

فظهر اسم إبراهيم عليه السلام هنا، يعني صدق الله في كون النبي صلى الله عليه وسلم على دين إبراهيم، وأي مشوشات وأي شبه تلقى فكلها كذب.

فما المطلوب منكم الان؟

{فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

سننتقل الآن مباشرة لموضوع آخر يتصل بالصدق والكذب، وهو موضوع البيت،

وموضوع البيت من جهتين سيظهر لنا:

(١) [سورة آل عمران ٩٤]

(٢) [سورة آل عمران ٩٥]

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ} (١)

يعني هذا من الله تقرير، أن أول بيت وضعه الله للناس للذي ببكة، ثم وُصف بصفات الكمال، أنه مبارك، وأنه هدى للعالمين.

{فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ} (٢) تدل على الله، وتدل على الرسالة، وتدل على

صدق ما أتى به الرسل.

{مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ} وعلى هذا البيت يربط كل الناس بإبراهيم عليه

السلام سواء:

➤ مقام إبراهيم هنا تُفهم أنه المقام المشهور الذي جعله الله

آية، بحيث أنه كان أثر قدم إبراهيم عليه السلام عليه، كأنها

أثر قدم على طين، وكانت صخرة صلبة يقف عليها إبراهيم

لكن بقي أثر قدمه، كأنها على طين وبقيت في الزمان محفوظة.

➤ أو المقامات كلها الطواف، والسعي، ومنى، وعرفة،

ومزدلفة، ورمي الجمار، وكل المقامات التي فعلها إبراهيم

بقيت محفوظة على مر الزمان وما ذهبت؛ يعني الجمرات هذه

(١) [سورة آل عمران ٩٦]

(٢) [سورة آل عمران ٩٧]

من إبراهيم إلى اليوم وهي نفس المكان ما تغيرت ومحفوظة
بحفظ الله، مسجد الخيف صلى به سبعون نبياً، ومن المدينة
إلى مكة كان يقول الرسول كَأني أرى موسى كَأني أرى يونس ابن
متى كأنه يراهم وهم يسرون في هذا الطريق؛ فمقامات
إبراهيم بقيت محفوظة.

«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: أَيُّ وَادٍ
هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُوزًا إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَّةِ، ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ
هَرَشَى، فَقَالَ: أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟ قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرَشَى، قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى
يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ
صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي»^(١)

أيضاً هناك فضل عظيم لهذا البيت من أثر البركة:

{وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا}

(١) الراوي: عبدالله بن عباس المصدر: صحيح مسلم. الصفحة أو الرقم: ١٦٦

هنا المقصود ليس الأمن القدري، بل الأمن الشرعي، يعني الواجب عليكم أن من دخله تؤمنونه، وهذا هو الأمن الشرعي وليس الأمن القدري كما يظن الناس.

الأمن القدري أن الله يحفظ أي واحد دخل فيه وليس هذا هو المقصود، لكن المقصود الأمن الشرعي وهو الواجب عليكم أن تؤمنوا أي داخل لهذا البيت، يعني لا تهدروا دمه، وما تقتلوه إلا في أحوال خاصة.

يأتينا الآن الموضوع المهم الذي هو بالنسبة لأهل الكتاب دليل على كذبهم:

{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}

يعني الآن هذه الآية دليل على أي شيء؟

أن الله وضع البيت وعلى أن الله جعل المقامات موجودة وهو مقام إبراهيم، فالواجب على كل تابع لإبراهيم أن يحج البيت مادام أنه مستطيع.

ننظر لأهل الكتاب:

خاصة حج البيت كان أمرًا مهجورًا تمامًا في دينهم، وقد تركوا حج البيت الحرام، وتحولوا إلى جعل بيت المقدس هو مكان الحج، ومنه أتوا بخرافة هيكل سليمان، وتركوا الحج الذي هو فيه متابعة لإبراهيم عليه السلام؛ ولذلك تجدون أن أهل الكتاب أبدًا ما يتكلمون عن الحج، وإذا تكلموا عن الحج وضعوه إلى بيت المقدس.

ولذا نحن نذكر أنفسنا أن الأركان الخمسة للإسلام متفق عليها من جميع الأديان:

﴿ ابتداءً بشهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة الرسول كلُّ على حسب رسوله.﴾

﴿ نأتي للصلاة فكل الأديان فيها صلاة {يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} ^(١) يعني معناها أنها تصلي.

﴿ والصيام {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} ^(٢)

﴿ والزكاة الإنفاق في كل دين.﴾

[١] [سورة آل عمران ٤٣]

[٢] [سورة البقرة ١٨٣]

والحج هنا هو الدليل على أنه قد أُمر به كل الخلق.

إذا الخمسة أركان كل الأديان متفقة عليها.

أيضا الإيمان ستة أركان؛ كل الأديان متفقة عليها.

الأصل أن كل الأديان السماوية متفقة في أركان الإسلام وأركان

الإيمان؛ الفرق في ماذا؟

١- أما أركان الإيمان فما في فرق.

٢- أما أركان الإسلام ففي بعض التفاصيل الموجودة في نفس

العبادات، لكن الأساسية منطبقة فالصلاة فيها ركوع وسجود،

والصيام فيه امتناع، والحج فيه انتقال، والزكاة فيها الإنفاق؛

ففي بعض التفاصيل التابعة الفرق وليست الأساسية، لكن

الأساسية كلها منطبقة، وهذا دين إبراهيم عليه السلام، وهذا

دين الله عزّ وجل.

هم الآن يقال لهم:

{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ} جميعا {حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} ثم

يشار إليهم {وَمَنْ كَفَرَ} بمعنى فمن ترك الحج هذا يقال له: {فَإِنَّ اللَّهَ

غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} إشارة لأهل الكتاب.

وهذا يفهمكم لماذا عمر ابن الخطاب أرسل في البلاد يقول: (من ترك الحج وهو مستطيع، فليمت يهوديًا أو نصرانيًا)؛ **لماذا؟**

لأنهم يصلون ويصومون في دينهم، لكن عند الحج ينكرونه؛ فمن يصلي ويصوم ويتصدق، ثم ينكر الحج فهذا شابه اليهود والنصارى؛ وهذا من فقه عمر رضي الله عنه من دلالة هذه الآية.

الآن الله يخاطبهم في هذا الكفر:

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ} (١)

يعني إنكارهم لمسألة الحج، إنكار يدل على الكفر؛ **لماذا؟**

لأنهم أرادوا أن يقولوا لا نسخ، فكفرهم بالحج كفرًا بالقبلة،

وأن البيت الحرام أفضل من بيت المقدس، ولو كانوا أتباعًا لملة إبراهيم لحجّوا؛ ولهذا قال الله عز وجل لهم {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ}

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (١)

(١) [سورة آل عمران ٩٨]

معناه أن هاتين الآيتين تدلان على أنهم كفروا ولم يكتفوا بالكفر، بل انتقلوا من الكفر إلى الصّد؛ يعني جمعوا في وصفهم بين أن يكونوا ضالين مضلين، أمام الربانيين الذين كان ما موقفهم؟ **متعلمين، عاملين، مُعلّمين.**

والآن سيظهر لنا مكرهم وخداعهم للمسلمين في الآيات التالية، كأن الآيات ستأخذنا لمكان آخر؛ يعني سنترك أهل الكتاب وخبثهم في أنفسهم، وسنلحظ جهدهم في إضلال المسلمين،

ومن هنا سندخل على الجزء الثاني من السورة وهو الكلام عن الغزوة، وتلبّخ أهل النفاق لأهل الإيمان، وإفساد أهل النفاق ومعاونتهم لحياة أهل الإسلام؛ بمعنى **هل أهل الكتاب في كفرهم وضلالهم يكتفوا بنفسهم؟ لا أبداً..**

مباشرة تأتي الآيات تنقلك من حالهم من كذبهم، ومن تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم إلى إيدائهم للمسلمين.

وأنت هنا فرّقي بين رؤوس عاملة مجتهدة في إفساد المسلمين، وبين أميين عاميين تابعين، ممكن يكونوا ما فاهمين أي شيء في الموضوع.

فما تقابلي الأميين في الشوارع أو الأماكن، ولما تسألهم عن أي شيء،
هل تفسدون هل تقصدون؟! فيقولوا لك، لا بالعكس نحن نحبكم!

فأنت تصدقهم، وتكذبين الكتاب!!

هذا ما هو افتراء ولا استقراء للواقع، ولا ملاحظة لفئة، بل هذا كلام
الله الذي أمامه ما فيه أحد يتكلم.

فاذا سألت من أردت، وقال لك خلاف ما في الكتاب تصدقين
الكتاب وتكذبينهم كلهم.

لكن المهم تفهمني أن نفس المجتمع، كالمجتمع الإسلامي فيه ناشطين
داعين إلى الله يعرفون الحق من الباطل، فالمجتمع الإسلامي فيه هذه
الفئة، وفيه فئة فيها جهل، فيها تبعية، ولو سألتها ما تعرف تفرق،
أنت تحكمين على المجتمع بالجاهلين، أم بالعالمين العاملين؟

الجواب: بالعالمين، العاملين.

أيضاً مجتمعاتهم بنفس الطريقة، وهذا شيء طبيعي في المجتمع، فما
كل المجتمع على مستوى واحد، لكن الذي ما يفهم هذا الأمر يراجع
الحرب القريبة؛ حرب البوسنة والهرسك، وينظر كم من الدماء سالت
لأجل كلمة لا إله إلا الله، وكانوا أصلاً الناس وقتها في تلك الديار ليسوا

بأولئك المتمسكين بالدين، المظهرين له ليحاربوهم هذه الحرب الشرسة، لكن ستبقى هذه المسألة بهذه الطريقة يسكتون، يسكتون ويملؤون قلوبهم وأول ما تأتيهم فرصة يهجمون عليهم، ويهجمون على المسلمين المجاورين لهم ويذهبون بهم!

يعني قبل الحرب كانوا يتزوجون من بعضهم وكانت دولة واحدة، ثم صارت هذه التفرقة بينهم لأسباب كثيرة، وما كان في سبب رئيسي إلا اليهود.

اليهود، لا بارك الله فيهم، في أي مكان يحلون يثيرون الناس!

يعني هم نصارى الآن الذين قاتلوا، لكن الذين أثار المسألة الأساسية هم اليهود، ومن يرى الواقع يفهم.

فلا تأت تصف أحد بالبراءة، وما زالت دماء المسلمين لم تجف بعد من تلك الأرض، في أماكن لازالت في تلك الأرض باقية فيها آثار تلك الحرب، يعني كيف ما تراها وتصديق أن هؤلاء يسالمونك!

وأنت تعتقد أن لو كل الأرض أقسمت أن أهل الكفر يسالمون أهل الإسلام، فالله قال إنهم لا يسالمونهم؛ فكذبى كل من في الأرض وصدّقي ما قال الله عزّ وجل.

ولذا الله عزّ وجل تهديداً لهم قال: **{وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** (١)

يعني أنتم يا أهل الكتاب تصدون عن سبيل الله من آمن وتبغونها عوجاً؛ فلا تحسبنيهم يبغونها مستقيمة، بل وينفقوا في ذلك أموال كما سيأتي بعد ذلك في سورة النساء والمائدة وستكون حسرة عليهم.

فلا تظن أن أهل الكفر يبغونها معتدلة مستقيمة لك؛ تكون ما فهمت كلام الله.

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنُ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ} أنها ستصير عوجاً **{وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** وأما هذه تسلية لنا حقيقةً، أن الله ما بغافل عما يعملون وكل ما يفعلونه في شبابنا من توريد المخدرات بالأطنان الهائلة، كل هذا لأجل التجارة تتوقعين؟! المقصد في الأصل أنهم يبغونها عوجاً.

وانظري كيف الدولة كل مرة قبل أيام الاختبارات، تضبط أرقام هائلة من الحبوب، وكل مرة قبل الاختبارات الشباب في هذا الوقت يكون منشطات، ومن هذا الكلام، ويدخلون لهم في هذا التوقيت ونسأل الله

(١) [سورة آل عمران ٩٩]

يحفظهم جميعا، لكن لازم تفهمون ما هم نائمين وإنما هم يبغونها عوجا.

وانظري في وسائل التواصل التي هوّنت الجرائم؛ كلام ماله نهاية. لكن لابد أن نفهم أن أهل الكتاب أهل الباطل، لا يمكن أن يتركوا أهل الإيمان مؤمنين، وليس شرطاً كما تعلمون أن يدخلوا في دينهم، لكن أهم شيء ما تبقى مؤمناً؛ **فيبدوون بتغييب العقول، وينتهون بتغييب العقائد؛** يغيبون عقلك بالمسكرات والمخدرات وبنشرها وبيعها بسهولة وبأشكال مختلفة، إلى أن يصلوا إلى مسألة تغييب العقائد. على كل حال نوكد هنا أن ما قاله الله هو الحق، ولو رأّت أعيننا غير ذلك، ولو سمعنا بأذاننا غير ذلك.. كله كذب، والحق ما قاله الله.

الخطاب الآن للمؤمنين بعدما كشف لنا الكافرين:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ }^(١)

(١) [سورة آل عمران ١٠٠]

الآن الكلام واضح؛ يشككوكم خصوصًا أنهم أهل كتاب؛
فالتشكيك في مبادئ الحق وفي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم،
هذه طريقتهم التشكيك.

{وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} (١)

يعني هذا من أعيب ما يكون، وهنا طبعًا الخطاب في الأصل
للصحابة الكرام الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكل من
أتى بعدهم.

وما الحل؟

{وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}

هذا هو الحل في عدو مجتهد في تشكيكك في الحق، وكشف عداوته،
وتفاصيل العداوة أمر فيه صعوبة.. فيماذا تُكَلِّف؟ **بالاعتصام.**

إذا إلى آية (١٠١) كأنه مجمل الموقف منهم، أنك أنت تُكلف
بالاعتصام.

(١) [سورة آل عمران ١٠١]

سنبدأ من آية (١٠٢)؛ يعني هنا يصلح أنك تبدئي من آية (١٠٠)،
ويصلح تبدئي من آية (١٠٢)

والتقسيم عندنا كان من آية (٩٣-٩٩) وهذا أيضاً يصلح، ونبدأ من
(١٠٩-١٠٠) في التحذير من إضلال أهل الكتاب ، والأمر بمجامع
الطاعات، ومعاهد الخيرات.

يعني الآن الخطاب سيأتي للمؤمنين:

التحذير من إضلال أهل الكتاب، والأمر بمجامع الطاعات،
ومعاهد الخيرات (١٠٩-١٠٠)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ }^(١) هذه مجموعة أوامر

في آية (١٠١): أتى الحل الإجمالي الذي هو الاعتصام.

الآن أتى الحل التفصيلي:

أول شيء { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ }

إذا هذا الأمر الأول الذي أمرنا به.

(١) [سورة آل عمران ١٠٢]

ما معنى: {وَلَا تَمُوتُنَّ}؟ يعني: ما هو باختياري أن أموت إلا وأنا مسلم، وإنما طلب أسباب الثبات.

اتق الله حق تقاته، واطلب أسباب الثبات.

الأمر الثاني: طلب أسباب الثبات.

طلب أسباب الثبات: يعني لا تعرّض نفسك للإشكالات؛ وهذا ما قصده في الكلام الأول أن وسائل الاتصال تعتبر كالمهاوي إذا دخلتها تهوي؛ ما أقصد وسائل الاتصال كلها، لكن أقصد هناك أبواب في وسائل الاتصال تُبعد الإنسان عن الثبات سواء يُقصد بذلك المعصية وكبائر الذنوب، أو يقصد بذلك الشُّبه التي تدخل الإنسان في فقدته لدينه.

إذا هاتان وصيتان في آية (١٠٢).

طيب في آية (١٠٣)؟

{وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا} (١) هذه الوصية الثالثة.

(١) [سورة آل عمران ١٠٣]

{وَلَا تَفَرَّقُوا} الوصية الرابعة، وهذا الذي يسعى له أهل الباطل،

هو افتراق أهل الايمان.

{وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ

مِنْهَا} هذا الأمر الخامس: وهو ذكر نعمة الله في الألفة.

{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}

{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ} هذا الأمر السادس: وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} (١)

هذا الأمر السابع: وهو عدم مشابهة أهل الكتاب في الافتراق

والاختلاف، يعني تأكيد لـ: {وَلَا تَفَرَّقُوا}

{وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} يعني أهل الكتاب لهم عذاب عظيم؛

لأنهم تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات، فالمفروض لما تأتي

البيّنات تتضح الأمور وما يتفرقوا ويختلفوا.

(١) [سورة آل عمران ١٠٥]

وقد مر معنا سابقا أنه هذا كان شأنهم، ولما جاءت البيئات افترقوا،
فأنتم يا أهل الإيمان إذا جاءتكم البيئات المفروض تجتمعوا.

{وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} متى؟

**{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ
أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا
الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ
آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ قَدْ وَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ} (١)**

يعني هذه الآيات الآن وصفت كيف سيكون حال الخلق يوم
القيامة، بين قومٍ ابيضت وجوههم وقومٍ اسودت وجوههم، ذكر
الجزاء؛ وهذا الجزاء إنما كان بسبب ما فعلوا ولذلك **{وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ
ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ}**

تتميمًا لمعنى: **{وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ}** ستأتي آية (١٠٩)

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} (٢)

(١) [سورة آل عمران ١٠٦-١٠٨]

(٢) [سورة آل عمران ١٠٩]

يعني هذا المعنى دقيق جدا في الربط بين أن {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}، وأنه سبحانه ما يريد ظلماً للعالمين:

والمعنى: أنه الملك الذي يملك السماوات والأرض، قدوس سلام منزه عن النقائص، ومن ذلك منزه سبحانه وتعالى عن الظلم؛ فمالك الأمر، كامل الصفات، منزه عن الظلم سبحانه وتعالى.

ملخص هذا المقطع:

لما عاب الله على أهل الكتاب، كفرهم، وسعيهم في الإضلال:

أمر المؤمنين بأمرين:

١/- التقوى المبنية على الإيمان.

٢ /- السعي لهداية الناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وسلحهم بسلاح الاعتصام الذي به يقاومون رغبة أهل الكتاب بإضلال أهل الإيمان.

خيرية أمة محمد صلى الله عليه وسلم (١١٠-١١٥)

الآيات التالية ستكون فيها أيضا كلام عن أمة النبي صلى الله عليه وسلم وخيريتها: من آية (١١٠-١١٥)

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} (١)

إذا هذه الآية فيها ترغيب للمؤمنين للقوة في إيمانهم، وترك الالتفات
إلى أقوال الكفار وأفعالهم.

فماذا قيل لهم؟

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} صفتكم {تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} ثم الخبر عن أهل الكتاب {وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ
الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} ثم يأتي الإنصاف {مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
الْفَاسِقُونَ}

ثم الله عزوجل يقوي قلوب المؤمنين الآن:

{لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى} (١) لتزداد القوة المعنوية للمؤمنين، يعني ما
يتحصل منهم ذهاب دينكم، بل دينكم باقٍ إلا أن أذى يصيبكم وهو في
ميزان حسناتكم.

(١) [سورة آل عمران ١١٠]

{وَأَنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ} وهذا شأنهم أنهم إن قاتلوا تولوا؛

لأن ليس معهم الشجاعة الإيمانية، وطبعًا هنا كل الخطاب عن المؤمنين الذين استقر الإيمان في قلوبهم فأتى بالشجاعة الإيمانية، فإذا ذهب الشجاعة الإيمانية خلاص تساويتم أنتم والكفار من جهة مسألة النصر.

فإذا تساوا فالذي هو أكثر شجاعة دنيوية هو الذي ينتصر، لكن إذا كان الإنسان معه الشجاعة الإيمانية فلازم تغلب الشجاعة الإيمانية؛ وهي الشجاعة المبنية على الإيمان والتوكل على الله، ولذلك {ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ} يعني أكيد هؤلاء لا يُنصرون.

سيزيد القوة المعنوية للمؤمنين بالخبر عن اليهود وأحوالهم:

{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَشَاءُونَ} (٢)

يعني هؤلاء أهل ذلة، ولذلك هؤلاء دائما يقومون بالمنظمات السرية فما عندهم قوة للمواجهة؛ لأنهم جبناء حريصين على الحياة والأموال، فما عندهم قوة مواجهة، إنما عندهم المنظمات السرية التي تكون مفسدة، حتى لو ظهرت في الظاهر أنها منظمة مصلحة فهي تكون من

(١) [سورة آل عمران ١١١]

(٢) [سورة آل عمران ١١٢]

الداخل مفسدة بحيث تخرب الديار وتخرب الناس وإيمانهم،
فيستفيدوا منهم مادياً، ويخربوهم اجتماعياً، فأقل هجوم على مثل
هؤلاء يذهب بهم.

إذا هم في الحقيقة ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا، فما في أي
شجاعة إيمانية؛ ولذلك هم أهل المنظمات السرية يعني الماسونية
وغيرها من العلامات الفارقة في التاريخ؛ من مؤسسها اليهود؛ والسبب
في كونها سرية أنهم ضربت عليهم الذلة فما في مواجهة ودولة وجيش،
بل في فقط من الأسفل، بحيث يأتي الخراب ويستفيدوا مادياً، ويصير
المجتمع سهل كأنه خشب مسندة يدفعونه فينتهي بعدما خربوه من
الداخل.

ولذلك قال الله: **{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا}** فليسوا أهلاً
للمواجهة، وإنما شغلهم كله في المنظمات السرية.

{إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ} مثل ما يساندوهم النصارى.

{وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} أي قوم باءوا بغضب من الله؛ فمن المؤكد
لو كان عندك شجاعة إيمانية فسيذهبون وينتهون، لكن أنت لازم
يكون عندك شجاعة إيمانية.

{وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ}

دائماً يفعلون دور الضعيف المسكين، ومن أجل ذلك طول الوقت يقولون لك: حرقنا هتلر، وحرقنا هتلر، ويكون، ويكون على أنفسهم طول الوقت، ويجعلون أنفسهم مساكين، ولعبة الإعلام أنه يطلعهم مساكين؛ فأنت لو ما ظهر لك أنهم مساكين، فهذا شأن آخر، وهو أنك ترين الحقيقة من جهة أخرى، لكن العالم يراهم مساكين.

فلا تتوقعين أن المسلمين جميعاً يرونهم على حقيقتهم، لا، بل الإعلام وصل للمسلمين، وصار بعض المسلمين يرونهم مساكين! والمشكلة أيضاً أنهم يحتكون بأشخاص، فيأتي يقول لك: طبيب يهودي عالجنى وطيب وأخلاقه طيبة!

يعني طبيب يهودي يعالجك طيب وأخلاقه طيبة، ونكذب كتاب الله لأنك مررت بتجربة؟!!!

فهذه هي المشكلة الكبيرة أننا نترك أحكام الله، ونفكر في التجارب الشخصية التي مررنا بها، وكأن ما فيه أحد يقدر يخدعك وأنت فاهم! طيب نفترض أن أخلاقه طيبة هل ما أنصفهم الله في الكتاب، فقال: منهم أمة كذا وأمة كذا؟

فأنت اسمع كلام الله ما تسمع كلام نفسك ولا تجارب غيرك ولا أحد يقنعك.

طيب إذا كانت اليابان التي هي مجرمة حرب، واقروا عن إجرامها في الصين، لما رموا عليها هيروشيما وصارت في موقف الضعف، وألزموها ما يكون عندها جيش، فما تقعد تلك الدولة السيئة وقامت ثلاثين عاما تقوم ببرامج تحسين صورتها في العالم ودفعت ملايين لأجل ذلك، ثم في النهاية أولادنا وبناتنا يقولون ما شاء الله هذه بنت (كيوت)!

ف (كيوت) كلمة يابانية وانتشرت لأجل تحسين الصورة، ووصلوا للذي يريدوه في أقل من ثلاثين عاما!

يعني أنت جالس تحت لعبة إعلامية، تنخدع بهؤلاء وتنخدع بهؤلاء، وخلصنا من الغرب نذهب للشرق!

المهم العاقل هو الذي لما تأتيه البيئات فما يكذبها لأنه رأى بعينه، أنت عينك ترى السراب ماءً، وأذنك تسمع الأصوات ضلالة، فكيف تأتي تقول ما مر به من تجربة هو الحق، وما قال الله ليس حق؟! حتى لو مررت بتجربة، وحتى لو حلفت بالله أنك وجدتهم طيبين، تكذب نفسك، وتصدّق القرآن.

ولا تنسوا أن القرآن قد أنصفهم، وسيأتي في ختام هذا المقطع،

وقد مرّ علينا لما ربنا قال: **{وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ}** (١)

فأنصفهم الله، وليس نحن متهجمين عليهم وخلاص.

المهم القرآن يُتلى تأخذ منه أجر، لكن أعظم من ذلك يُتلى لتفكر منه، ويكون نافذتك إلى الدنيا التي ترى منها، وعينك التي ترى منه الحقائق، ليس كلام تقرأه وتعيش بطريقة مختلفة فنسأل الله ألا يبلينا بموالة من غضب الله عليهم؛ فهذه بلوى عظيمة أن يصير في النفس رضا على من باء بغضب من الله.

{وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ} ولماذا حصل هذا؟

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} فالكفر بآيات الله كافٍ لأن يحصل لهم هذا، ولكنهم زادوا على ذلك **{وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ}** وهذا من أعظم الجرائم؛ قتلوا زكريا، ويحيى، وكادوا أن يقتلوا عيسى وغيرهم من الأنبياء ممن لم يُذكروا، الذين قتلوهم وحرقوهم وفعلوا

(١) [سورة آل عمران ٧٥]

بهم الأفاعيل وكله على دعوى أنهم كذابين وأنهم ليسوا أنبياء من عند الله!

{ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}

فخلاص عرفنا الآن أنت يا مؤمن اجعل عندك شجاعة إيمانية، لأن هؤلاء القوم ضربت عليهم الذلة وضربت عليهم المسكنة وباءوا بغضب من الله؛ فلا يمكن وأنت مؤمن عندك الشجاعة الإيمانية أن ينتصروا عليك.

لكن إذا تساوى الأمر من جهة الشجاعة ولم تكن إيمانية وكانت دنيوية؛ فالذي عنده أكثر قوة هو الذي يغلب، بل من سنن الله أن أهل معرفة الله إن خذلوا دين الله سلط الله عليهم من لا يعرف الله، وهذا الذي نعيشه أن القوم خذلوا دين الله، ففي المقابل يسلط الله عليهم من لا يعرفه.

وأنت فكري في نفسك ولا تفكري في غيرك أبدًا.

انصر الله ودين الله في نفسك، ولا تفكري في أي أحد غيرك، ثم إذا فكر الناس في أنفسهم صرف الله عنهم البلاء الذي هم فيه.

سننظر الآن للإنصاف بعد هذا الخبر:

{لَيْسُوا سَوَاءً} (١)

يعني ربنا بيّن أن هذا الحكم العام فيه استثناءات.

{مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ

يَسْجُدُونَ}

صفتهم **هذه الأولى**؛ وهؤلاء هم الذين آمنوا برسلمهم في وقت رسلمهم،

ثم الذين آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وهم من أهل الكتاب، أو

قبل الرسول صلى الله عليه وسلم آمنوا برسلمهم.

{يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَيَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ} (٢)

هذه ثماني صفات لهم:

١/ أنهم أمة قائمة – ٢/ يتلون آيات الله أناء الليل - ٣/ يسجدون

- ٤/ يؤمنون بالله واليوم الآخر – ٥/ يأمرون بالمعروف - ٦/ وينهون

عن المنكر

- ٧/ يسارعون في الخيرات – ٨/ وأولئك من الصالحين.

(١) [سورة آل عمران ١١٣]

(٢) [سورة آل عمران ١١٤]

الآن الله عزوجل يتكلم عن صفات الذين آمنوا من أهل الكتاب:

{وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} (١)

إذا معنى ذلك هذا هو الإنصاف، يعني ليس لأنهم من أهل الكتاب فخلاص لا يُقبل منهم شيء، وإنما هم أهل كتاب إذا آمنوا قبل منهم.

تحذير المؤمنين من الكفار عمومًا والمنافقين خصوصًا (١١٦)-

(١٢٠)

الآن نبدأ من (١١٦-١٢٠) تحذير المؤمنين من الكفار عمومًا، وهنا يضاف إليهم المنافقين خصوصًا:

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۗ

وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢)

معنى ذلك بعدما استثنى الله عز وجل من الكفار من آمن من أهل الكتاب، عاد إلى أهل الكتاب مبينًا بطلان مكرهم، وفي ذلك تحذير للمؤمنين، فهنا بين سبحانه أن أموالهم وأولادهم لن تغني عنهم.

لماذا الخير عن أموالهم وأولادهم؟

(١) [سورة آل عمران ١١٥]

(٢) [سورة آل عمران ١١٦]

{مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (١) لإفساد المسلمين

{كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ
وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}

يعني هذا مثل ضرب لبطلان ما أرادوا من وراء إنفاقهم؛ يعني هم أنفقوا لإفساد المجتمع المسلم، فهذا المال الذي أنفقوه كمثل ريح تأتي على حرث قوم تصيبه فتفسده، فيكونوا صرفوا أموال، صرفوا أموال كثيرة، ثم تأتي هذه الريح كأن هذا زرع تأتي ريح فتذهبه.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ} (٢)

وهنا التحذير الآن منهم عمومًا، من أهل الكتاب ومن والاهم من المنافقين ألا يتخذونهم بطانة؛ يعني ما يكونوا أهل مشورتهم، ولا أهل خصوصيتهم.

{لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا}

مثل هؤلاء ما يقصروا فيكم؛ يخبئوكم ويشيروا عليكم بالأراء التي تفسدكم.

(١) [سورة آل عمران ١١٧]

(٢) [سورة آل عمران ١١٨]

{وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدَ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ}

يعني ما يستطيعون أن يمنعوا أفواههم من أن تُخرج كلمات البغضاء الواضحة، فأنت لا تحملها على محمل غير الواضح.

{وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} يعني يخرج من فلتات لسانهم ما يدل

على حقدهم على أهل الإيمان، وما تخفي صدورهم أكبر مما أعلنوه

لكن أهم شيء: {قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ} فالآيات بيّنة على التمييز بين

فريق الإيمان وفريق النفاق، وأنت اختار من يكون بطانتك، وخاصة شأنك.

{إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} إذا كنت عاقلا فاعرف لمن تسمع، لمن تقرأ، لمن

تتابع في الأفكار.

وهنا البطانة ليس شرطا أن يكون شخصا ملتصقا بك، بل الأفكار

الكلام الذي تقرأه الكلام الذي تسمعه، الأفكار التي تتداولها كل هذا

من بطانتك؛ فهؤلاء ما يقصروا فيك، ويخبلوك ويجعلوا آراءك عن

الحياة، ووقت ما تتخذ قرارا يجعلوها فاسدة و{قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ} إن

كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ

{هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ} (١) وهذا حاصل أن أهل

الإيمان يحصل منهم حب لبعض رموز أهل الكفر، وهم في المقابل يتبرؤون منهم وينشرون في كل مكان أنهم لا يريدون المسلمين، ولا يريدون أن يكونوا جزء منهم، ولا يهمهم أن يكونوا أتباعهم من المسلمين.

{وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ} أنتم تؤمنون بالكتاب كله وهم يكفرون.

{وَإِذَا لَقُّوَكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ}

وهذا كفرهم؛ أنهم في الظاهر يؤمنون وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ.

فالله يقول لهم: {قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ} موتوا بغيظكم، سينصر الله الدين، ويرفع شأن أهله مهما أنفقتم وفعلتم.

{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} عليهم بما حصل في قلوبهم من غيظ على نصرة الدين.

سيظهر لنا أكثر بوضوح ما في قلوبهم من كراهية:

(١) [سورة آل عمران ١١٩]

{إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسُوهُمْ} (١) وهذا لا يمكن يكون منهج

الصديق، بل أكيد هذا منهج العدو.

{وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا} يعني يشمت بك.

ماذا تفعل إذا أصابك سيئة؟

{وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا}

وهذه بشارات متكررة، ففي آية (١١١) قال الله {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا

أَذَى} وهنا {لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا}

{إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} وكل هذا طمأنة للمسلمين أن مكر أهل

الكتاب لن يحقق إلا بهم، مادام أنهم أهل إيمان، ويحملون الشجاعة

الإيمانية، ومستقيمين على دين الله.

سيأتي هذا الحال الآن {إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ

سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا} واضحة في غزوة أحد وما فيها من أحداث، وسيظهر

أهل النفاق، وسيظهر من يعاونهم من أهل الكتاب، وسيظهر ما في

نفوسهم في هذه المحنة، صحيح أنها محنة مرت بالمسلمين، لكنها أبرزت

(١) [سورة آل عمران ١٢٠]

ما للمسلمين من قوة إيمانية وشجاعة، وأبرزت ما للمنافقين ومن
يعاونوهم من أهل الكتاب من حقد وكراهية على المسلمين.

فالذي كان مستورا خرج وكان هذا في صالح المسلمين، وهكذا الفتن
والبلاءات تأتي فيتميز الناس، وحتى تتميز نفسك لنفسك وتعلم أنت
من في هذا الموقع..

في كل حادثة يُبتلى بها العبد يظهر حقيقة ما في وجدانه، فيستطيع
تحسين ما في وجدانه، قبل أن يلقي ربه.

وهذا الشيء المهم في المصائب أن كل حادثة تقع على العبد تُظهر
للعبد ما في وجدانه، فيسارع إلى تطهيره قبل أن يلقي ربه؛ وهذه فائدة
الفتن.

اللَّهُ يعيدنا من الفتن ويثبتنا.

والحمد لله رب العالمين، بهذا انتهينا من هذا الفصل الدراسي.